تاريخ بابر شاه

وقائع فرغانة

تصنيف

ظهير الدين محمد بابر شاه

ترجمة وتقديم وتعليق

أ.د/ ماجدة مخلوف

تاريخ بابر شاه

المعروف بـ

بابرنامه

وقائع فرغانة

تصنيف

ظهير الدين محمد بابر شاه

مؤسس الدولة التيمورية في الهند

ترجمة وتقديم وتعليق

الدكتورة ماجدة مخلوف

أستاذ الدراسات التركية بجامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٢٨٤٥
الترقيم الدولي	977-344-022-2

دار الآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

آل عمران : ٢٦

تقديم

تزخر اللغات الشرقية الإسلامية بتراث إنساني ضخم في مجالات الفكر والأدب والتاريخ. والترجمة من هذه اللغات إلى اللغة العربية، يعتبر بلا شك إثراءً للثقافة الإسلامية والإنسانية.

ومن الآثار الفريدة في اللغة التركية بلهجتها الجغتائية، كتاب بابُر المعروف باسم "بابُر نامه". وقد أجمع المؤرخون من شرق وغرب على أن هذا الكتاب أثر فريد سواء من حيث المحتوى أوالأسلوب.

وكتاب بابُر هو السيرة الذاتية لظهير الدين محمد بابُر شاه مؤسس الدولة التيمورية التى يعرفها الأوربيون باسم "دولة المغول في الهند". وقد كتبه بابُر فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى، العاشر الهجرى، بهدف تسجيل جهوده وجهاده في سبيل تأسيس دولته. وبذلك المحتوى صار الكتاب نموذجا فريدا فيما يتعلق بتاريخ فارس والهند فى تلك الفترة لأنه الأصل فى هذا التاريخ.

وبسبب تفرد هذا الأثر تمت ترجمته أكثر من مرة إلى اللغات الفارسية والإنجليزية والفرنسية والأردية، وترجم أيضا إلى الألمانية والروسية والتركية الحديثة ولم يُترجم من قبل إلى اللغة العربية.

ولما كان بابُر نامه مصدرا أساسيا لكل من يتصدى للكتابة عن الإسلام فى شبه القارة الهندية، فقد أشار الدكتور أحمد محمود الساداتى – فى كتابه الذى يحمل عنوان تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم – إلى أهمية الترجمة العربية

لكتاب بـــابُر بقوله : "وقد نُقلت هذه السيرة إلى الفارسية، كما نقلت إلى اللغات الأوروبية الحديثة، ونرجو أن يتهيأ لهذه السيرة القيِّمة الممتعة مَن ينقلها بدوره إلى العربية ".

وقد وفقنا الله سبحانه وتعالى إلى ترجمةِ هذا الكتاب إلى اللغة العربية. ومهدنا لهذه الترجمة، بدراسة حول بابُر شاه والدولة التيمورية، والأوضاع السياسية فى عصره، ثم منهجه فى الكتابة التاريخية، وخصائص هذا المنهج. كما عرَّفنا بالكتاب ومحتواه وأهميته التاريخية وأهم الترجمات التى تمت له إلى اللغات الفارسية والإنجليزية والفرنسية والتركية الحديثة، ثم التعريف بالترجمة العربية والنهج الذى اتبعناه فى الترجمة.

وسبق وأن مهدنا لهذه الترجمة، بدراسة مستقلة عن الجوانب الإنسانية والأدبية لشخصية بـــابُر شاه صدرت فى كتاب بعنوان " الجوانب الإنسانية والأدبية لدى بابر شاه " من خلال كتابه " بـــابُر نامـــه "، لتصبح إلى جانب هذه الدراسة – موضوع هذا الكتاب الذى بين أيديكم – دراستان تكمل بعضهما البعض لتشكل فهما واحدا وأساسيا للمصنف ولتصنيفه فى وقت واحد.

ومما هو جدير بالذكر أن بابر شاه وكتابه لم يظفرا بالدراسات الكافية فى اللغة التركية رغم أن بابر تركى وكتابه مكتوب باللغة التركية فى لهجتها الجغتائية، ويؤكد هذا التصور قوائم المراجع التى ذيلت مادة بابر، ومادة بابر نامه فى دوائر المعارف وإنما جرى تناول سيرة بابر شاه من خلال كتب التاريخ العام للهند أو تاريخ الإسلام العام أو تاريخ الترك العام، بما فى ذلك الدراسة التى مهّد بها حكمت بايور للترجمة

التركية لبابر نامه والتى جاءت فى إطار تناول التاريخ العام للتيموريين. كما أن المكتبة العربية لم تفرد دراسة علمية مستقلة عن بابر شاه أوعن كتابه، باستثناء الدراسة التى انجزها الدكتور أحمد محمود الساداتى (رحمه الله) فى رسالته للدكتوراه. لذا كانت الصعوبة كبيرة فى إنجاز هذه الدراسة التى آمل أن تملأ فراغا فى المكتبة العربية.

والله من وراء القصد.

ماجدة مخلوف

مصر الجديدة / القاهرة

١/١٢/٢٠٠٠م

تنويه

نود الإشارة هنا إلى الآتي :

١) الكلمات الواردة في سياق الترجمة العربية والموضوعة بين قوسين (...) هي من وضعنا، وذلك حسبما يقتضى سياق الجملة العربية، لتوضيح بعض المعانى التى بدت غامضة فى العبارة التركية من النص.

٢) التزمنا مبدأ البناء على حركة الحكاية فى أسماء الأعلام، أى عزل اسم العلم عن سياق الجملة وبناءه على الحركة والحرف الذى هو عليه. مثال ذلك : قال " أبو سعيد " ، أو رأيت" أبو سعيد "، أو نظرت إلى " أبو سعيد".

القسم الأول
الدراسة

تمهيد

الدولة التيمورية حتى نهاية القرن الخامس عشر

أسس الأمير تيمور الجرجاني ، المعروف باسم تيمورلنك (ت:٨٠٨هـ = ١٤٠٥م) دولة واسعة ، نُسبت إليه ، وضمت مناطق من الهند وأفغانستان الحالية وكل بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراقين وجنوب القوقاز وأجزاء من الشام وشرق الأناضول وغيرها ، واتخذ مدينة سَمَرْقَنْد عاصمة لها . وتعرضت هذه الدولة التيمورية للانقسام بعد وفاة تيمورلنك سواء بسبب التمرد على " سلطان أو الرغبة في الانفصال والاستقلال التي سادت بين أبنائه وأحفاده[1] .

ترك تيمور لنك أربعة أبناء يمثلون الأسرة التيمورية هم :

١– غياث الدين جهانكير ميرزا : وقد توفي أثناء حياة تيمور لنك ، فأصبح ابنه بير محمد ميرزا وليا للعهد للأمير تيمور وكان يحكُم في كابل وغزنه والهند[2] . وانتهت أسرته في أواخر القرن الخامس عشر .

٢–معز الدين عمر شيخ ميرزا : وقد توفي أثناء حياة تيمور لنك أيضا ، وحكم أبناؤه بير محمد رستم ميرزا ، وإسكندر ميرزا ، وبايقرا ميرزا ، في شيراز وأصفهان وهمدان وما حولها ، واختص كل واحد منهم بمنطقة منها .

---

[1] Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu ,Istanbul 1941 , s.8

[2] انظر ، حسن بيرنيا ، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض ساسانيان ، از انتشارات كتابخانه خيام ، بدون تاريخ طبع ، ص ٦٣٠ .

وانتهى نسله فى منتصف القرن السادس عشر.

٣- جلال الدين ميرانشاه ميرزا : وقد حَكَم هو وابنه عمر ميرزا فى خراسان والعراقين وآذربيجان وديار بكر[٣]. وانتهت أسرته فى مطلع القرن السابع عشر باستثناء ظهير الدين بابُر شاه الذى ظلت أسرته تحكم فى الهند حتى منتصف القرن التاسع عشر.

٤- مُعين الدين شاهرخ ميرزا : وحَكَم فى هراة، وطوس، ومشهد، ومرو، ونيسابور، وسبزوار[٤] من خراسان وانتهت أسرته فى مطلع القرن السادس عشر[٥].

والتيموريون مثل السلاجقة، لم يسعَ أى منهما إلى إقامة حكومة مركزية، وساروا على نهج الأعراف التركية – حتى ذلك الوقت – فى جعل كل أمير على رأس إمارة وهذا ما أثار بينهم الأطماع والنزاعات بشكل دائم[٦]. فلم يكن هناك قانون أو نظام يحكم انتقال الحكم من سلطان إلى آخر، إنما اعتمد الأمر كله على قوة الأمير وقدرته على التغلب على منافسيه وانتزاع العرش. وهو ما جعل الدولة التيمورية عرضة للنزاعات الداخلية والصراعات حول السلطنة عقب موت كل سلطان بدءً من تيمور لنك حتى نهاية الدولة التيمورية فيما وراء النهر وخراسان

---

[٣] انظر، منجم باشي، جامع الدول، ج٢، مخطوط، ٥٠٢٠ بايزيد، ورقه ٢٦٦.

[٤] سبزوار، مدينة تقع فى فى خراسان فى الغرب من نيشابور.

[٥] Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti,(*Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayi, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946) 'de,s.28

وأيضا،حسن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٠.

[6] Yılmaz öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,ötüken Yayınevi,Istanbul 198,s.116.

على يد الأوزبك فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى [٧] .

بعد تيمور لنك استطاع أصغر أبنائه الأربعة معين الدين شاهرخ ميرزا (ت: ٨٥١هـ = ١٤٤٧م) أن ينتزع العرش من يد ابن أخيه محمد بن جهانكيرميرزا، ويجمع كل أجزاء هذه الدولة الواسعة باستثناء سوريا والأناضول، وأن يحافظ عليها طوال تسع وأربعين سنة هى مدة حكمه. ترك شاهرخ سمرقند عاصمة أبيه واتخذ من هراة عاصمة له أنشأ فيها الآثار العظيمة. وكان شاهرخ ميرزا أكبر أمراء التيموريين الأحياء آنذاك وأكفأ بنى جلدته وأقدرهم، وراعيا للفنون والعلوم، كما كان بلاطه صورة صادقة لما بلغته الثقافة فى عصره الذى اعتبره المؤرخون بمثابة العصر الذهبى لهذه المنطقة، فقد تمتع فيه أهل ما وراء النهر بالأمن والرفاهية [٨] .

توزعت الدولة التيمورية عقب وفاة شاهرخ بين الأمراء التيموريين [٩]، وكان أهمهم ابنه أولغ بك [١٠] (٨٥٠هـ = ١٤٤٦م) وكان أميرا فى حياة والده على سمرقند التى اتخذها عاصمة له كما فعل جده تيمورلنك [١١] .

وجه أولغ بك اهتمامه الأول إلى العلوم لكنه لم يهتم بالإدارة والحكم بنفس

---

[7] Hikmet Bayur, a.g.e ,s 56.

[٨] انظر، حسن بوريا، المرجع السابق، ص ٦٣٤، وأيضا، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارا، ترجمة أحمد محمود الساداتى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩٦٥، ص٢٦٣.

[٩] حول كيفية هذا التقسيم، انظر، Hikmet Bayur,a.g.e.,s. 57.

[١٠] اسمه الأصلى محمد تورغاى، كان فى العشرين من عمره عند اعتلائه عرش سمرقند والاضطلاع بحكومة ما وراء النهر. انظر، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارى، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٥.

[١١] حسن بوريا، المرجع السابق، ص٦٣٥.

القدر الذى وجهه إلى العلوم، وصرف اهتمامهن أحوال شعبه الذى يحيا على الأرض ويعيش عليها، ليشتغل بعلم الفلك ورصد النجوم"[12].

نجم عن فشل أولغ بك فى إدارة وحكم بلاده أن انقض عليه ابنه عبد اللطيف وكان ذلك عام ٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م، لكن لم يتح لعبد اللطيف بن أولغ بك أن يبقى طويلا فى الحكم بعد قتله أبيه، إذ قتل بدوره بعد بضعة شهور من ذلك الحدث "[13].

تولى عبد الله ميرزا الحكم فى سمرقند بعد مقتل أولغ بك وعبد اللطيف. وعبد الله هذا إبن ابراهيم ميرزا وأحد أحفاد شاهرخ.

وفى الوقت الذى أعلن فيه عبد الله نفسه سلطانا فى سمرقند، أعلن أبو سعيد ميرزا بن محمد ميرزا بن ميرانشاه بن تيمورلنك، نفسه سلطانا فى بخارا[14].

تقدم أبو سعيد ميرزا هذا لينازع الأمير الجديد عبد الله السلطنة، لكن أبو سعيد هزم ولجأ إلى الأمير أبو الخير خان الأوزبك طلبا لمساعدته، فجاء أبو الخير على رأس جيش كبير من الأوزبك، لمساعدة أبو سعيد ميرزا. وهاجم بهذه القوة عبد الله وانتزع منه تاجه وحياته فى معركة واحدة "[15].

---

[12] يصف منجم باشى أولغ بك بأنه "كان ملكا عاقلا فاضلا له فضيلة باهرة فى الحكميات سيما فى الرياضة، وله مؤلفات جليلة مفيدة، ولم يجتمع فى مجلس أحد من الملوك ما اجتمع فى مجلسه من العلماء والحكماء، انظر، منجم باشى، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج٢، ورقة ٢٥١أ.

[13] انظر، ظهير الدين محمد بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٥أ.

[14] انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٥٢أ وانظر أيضا Hikmet Bayur,a.g.e.,s61

[15] انظر، فامبرى،نفس المرجع،ص ٢٧١ـ ٢٧٢. وانظر أيضا، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٥٢ب.

بهذا النصر استطاع أبو سعيد ميرزا - فى أواخر عام ٨٥٥ هـ = ١٤٥٢م- أن يجمع كلا من سمرقند وبخارا مرة أخرى، وأن يحافظ على ما تبقى من الدولة التيمورية. وبعد أن تمكن السلطان أبو سعيد ميرزا من الاستيلاء على سمرقند بمساعدة الأوزبك، أراد أن يبعدهم عن عاصمته سمرقند لأسباب استراتيجية[١٦].

كان مقتل زعيم الأوزبك الشيخ حيدر بن أبوالخير خان (سنة ٨٣٧هـ = ١٤٦٨م) أثناء صراعه مع يونس خان، خان شعب المغول وجد بابر شاه، ضربة قوية أضعفت الأوزبك وشتتت أمرهم لفترة من الزمن، وبذلك استطاع أبو سعيد ميرزا والتيموريون عامة أن يتخلصوا من خطر الأوزبك مؤقتا، وأن تكون لأبو سعيد اليد العليا فى المناطق التى يحكمها[١٧].

استطاع محمد شيبانى[١٨] (المعروف باسم شيباق خان) حفيد أبوالخيرخان والمولود سنة ٨٥٥ هـ = ١٤٥١م أن ينج بنفسه بعد موت جده وأبيه، فهرب ببضع

---

[١٦] يقول فاميري أن السلطان أبو سعيد ميرزا أراد أن يبعد الأوزبك فلجأ معهم إلى الحيلة تارة وإلى القوة تارة أخرى حتى ينجح فى مسعاه. ولم يكن صنيع أبو سعيد ميرزا هذا ليتفق يقينا مع ما كان يجب عليه من العرفان بالجميل نحوهم، فاورث التيموريين العداء الدائم بينهم وبين الأوزبك، انظرفامبرى، نفس المرجع، ص١/٢٧٢. ويقول منجم باشى فى وصف معاملة السلطان أبو سعيد ميرزا لأبي الخير غير ما قاله فاميرى ، فيقول إن السلطان أبو سعيد بعد مساعدة الأوزبك له"شرع فى ضيافة أبي الخير خان وأضافة ضيافة ملوكية وقدم إليه وإلى أمرائه هدايا جليلة من الجواهر الثمينة والملابس النفيسة والخيول الضامرة والسروج المذهبة وغير ذلك فرجع إلى بلاده"انظر منجم باشى ، ج٢، ورقة ٢٦٩أ.

17 Hikmet Bayur, a.g.e.,s69.

[١٨] محمد شيباق خان ، هو خان الأوزبك الذى انتزع أملاك التيموريين وقضى على دولتهم فى بلاد ما وراء النهر وخراسان وخاض حروبا طويلة فى هذا السبيل ضد بابر وأبناء السلطان حسين بايقرا، حتى قتله الشاه إسماعيل الصفوى بعد ذلك سنة٩١٦ هـ = ١٥١٠م. انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة٢٦٥ب. وانظر أيضاعبد الحسين نوائى ، شاه اسماعيل صفوى ، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاب شد، ١٣٦٧،ص١٢٤

مئات من رجاله، ودخل فى خدمة عبد العلى ترخان عامل السلطان أحمد ميرزا سلطان سمرقند فى بخارا، وبلغ عنده مكانة رفيعة[١٩] .

بعد مقتل السلطان أبو سعيد ميرزا[٢٠] على يد أوزون حسن زعيم تركمان الشاة البيضاء سنة ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ م[٢١]، انقسمت الدولة التيمورية فيما وراء النهر بين أبنائه وتنازعوا فيما بينهم، وملكهم الطمع وتسبب هذا فى خراب الديار، فقد جلس إبنه الأكبر السلطان أحمد ميرزا فى سمرقند وما يحول بخـــارا وكان والده قد تنازل له عن السلطنة أثناء حياته[٢٢] . أما ابنه الثانى السلطان محمود مــيرزا له فقد حكم منطقة ما حول بدخشان ويدخل فيها المنطقة الواقعة بين هندكوش وجبال حصار[٢٣] . أما الإبن الثالث عمر شيخ ميرزا والد بابر، فكان له حكم بخارا وما حولها، وهؤلاء الأبناء الثلاثة كانوا مرتبطين برباط المصاهرة مع يونس خــــان، خان شعب المغول. أما الإبن الرابع وهو أولغ بك ميرزا فكان له كابل وغزنه[٢٤] . فى ذلك الوقت كان السلطان حسين ميرزا بايقرا من أحفاد عمر شــيخ مــيرزا، يحكم باقتدار فى كل من خراسان وما حولها ويتخذ من هراة عاصمة له، والجدير بالذكر أنه عندما تولى بابر عرش فرغانه سنة ٩٠٠ هـ = ١٤٩٤م، كان السلطان حســـين

---

[19] Hikmet Bayur, a.g.e.,s69

[٢٠] يقول منجم باشى فى وصف السلطان أبو سعيد ميرزا، إنه كان ملكا عادلا عاقلا يحب العلماء والصلحـــاء والمشـــايخ ويعتقد فيهم لا سيما النقشبندية، انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة ٢٧٠ب.

[٢١] حسن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٨.

[٢٢] انظر، بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٥ب.

[٢٣] المنطقة الجبلية الواقعة فى الجنوب الشرقى من سمرقند.

[24] Hikmet Bayur, a.g.e.,s.68.

ميرزا يحكم منذ خمس وعشرين سنة، وكان يعتبر – آنذاك – أقوى حكام التيموريين وأكثرهم اقتدارا[٢٤].

فى ذلك الوقت كانت خانية المغول المنحدرة من نسل جغتاى خان مقسمة إلى ثلاث مناطق كبيرة. فبعد موت يونس خان، اقتسم ملكه أبناؤه الثلاثة على الوجه التالى : محمود خان وتولى حكم سيرام وتاشكند، وتولى أحمد خان حكم كل المنطقة الواقعة شرق "أوليا آطه " فى "ترفان"[٢٦]، أما أبو بكر فقد تولى حكم منطقة كاشغر ونهر تاريم[٢٧] وكان يحكم باعتباره أميرا مستقلا. ومن الملاحظ أن منطقة سيرام وتاشكند التى تولى حكمها محمود خان، كانت انتقلت إلى يونس خان من السلطان أحمد ميرزا سلطان سمرقند[٢٨].

---

25 Halis Biyiktay; a.g.e. s8.

25 Halis Biyiktay, a.g.e. s8.

٢٦ تقع ترفان هذه كما رأيتها فى الأطلس العربى فى شرق جبال تيان شان، فى الشمال من تركستان الشرقية المعروفة الآن باسم مقاطعة سنكيانج فى الصين. انظر، الأطلس العربى، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية، ط١، سنة ١٩٦٥، ص٥٤/ز/٢.

٢٧ ويكتب أيضا تارم، وهو نهر كبير فى تركستان الشرقية يتبع الصين الآن.. انظر، الأطلس العربى، ص٥٥/ز/٢.

28 Halis Biyiktay, a.g.e. s8.

ظهير الدين محمد بابرشاه

(٨٨٨هـ– ٩٣٧ هـ =١٤٨٢م – ١٥٣٠م)

يعتبر ظهير الدين محمد بابر شــاه [٢٩]، التركي التيموري [٣٠] مؤسس الدولة التيمورية في الهند، واحدا من أبرز الشخصيات التركية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادى)، سواء على المستوى السياسى أو المستوى الأدبى، ولا يختلف في هذا عن معاصريه من السلاطين الأتراك الكبار وهم السلطان بـايزيد الثانى، والسلطان سليم الأول (ت : ٩٢٧هـ =١٥٢٠م)، والسلطان سليمان القانونى (ت : ٩٧٤هـ = ١٥٦٦ م) العثمانيون، والشـاه إسماعيل الصفـوى (ت :٩٣١هـ = ١٥٢٤م)، والسـلطان حسين بـايقرا سلطان هـراة التيمـورى (ت : ٩١١هـ =١٥٠٤م).

اعتلى بابر عرش فرغانه عام ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤ م وهو فى الثانية عشر من عمره خلفا لوالده عمر شـيخ مـيرزا. واضطر عقب اعتلائه العرش إلى خوض حروب طويلة ضد أقاربه فى سبيل استرداد كل ما فقده من ملك والده في فرغانـه

---

[٢٩] ولد بابر فى فرغانه فى ١٤ فبراير ١٤٨٢م (٨٨٨هـ) وقد أطلق عليه شيخ عربى يدعى نصر الدين عبيد الله اسم ظهير الدين محمد، بينما أطلق عليه أهله من الأتراك اسم "بابر" التزاما بالأعراف التركية، وبذلك أصبح اسمه ظهير الدين محمد بابر.انظر، Bilâl Yücel,Bâbür Divâni, Atatürk kültür Merkezi Yayini,sayi:81,ankara 1995,s.9.

[٣٠] يعتبر المؤرخون تيمور لنك تركيا على اعتبار أنه نشأ فى قبيلة مغولية متركة هى قبيلة بارلاس، وكانت هذه القبيلة تحكم وقتذاك الأماكن الواقعة على نهر كشكة، ويحدثنا رشيد الدين بأن (قاراجار) وهو الأمير الجغتائى الذى اعتبر فيما بعد جـدا لتيمور، كان منسوبا إلى قبيلة برلاس جده. انظر، بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان،الهيئـة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، ط٢، ص٢٣٦. كما أن المؤرخ التركى حكمت بايور يذكر بابر باعتباره تركى ويفرق بينه وبين المغول وبابر نفسه يذكر أنه تركى وليس مغولى، فى تفصيل أن بابر تركى وليس مغولى، انظر، Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2Ankara 1947,s.2-3.

وما حولها، وأيضا ضد أعدائه من الأوزبك فى محاولة منه للحفاظ على ما تبقى من الدولة التيمورية فيما وراء النهر وخراسان. استغرقت هذه الحروب الفترة الأولى من حكمه حتى عام ٩١٠ هـ = ١٥٠٤ م، ولم يظفر فيها بشيء، بل ضاعت منه – فى هذه الفترة – فرغانه وكان بابر آنذاك فى الواحدة والعشرين من عمره، كما نجح الأوزبك فى طرد التيموريين من تركستان وخراسان. واتجه بابر بنظره جنوبا ففتح كابل فى العام نفسه، وأخذ غزنه واستطاع خلال فترة قصيرة أن يستولى على قسم كبير من أفغانستان ويأخذ تاشكند وبخارا وسمرقند. وبعد موت السلطان حسين بايقرا استولى الأوزبك على هراة ونجحوا فى طرد بابر مرة أخرى من المناطق التى أخذها مما وراء النهر، وانتهت الدولة التيمورية فيما وراء النهر وخراسان وكادت أن تطوى صفحتها كما حدث مع السلاجقة من قبل. لكن بابر تمكن بعزيمته أن يفتح صفحة جديدة للتيموريين فى الهند كتب لها الاستمرار لعدة قرون. ذلك أن كابل كانت تقع على الطريق المؤدي إلى الهند مما شجع بابر على أن يتجه ببصره جنوبا ناحية اقليم البنجاب من بلاد الهند[٣١] بأمل أن يستعيد هناك ما كان للتيموريين من ملك ودولة[٣٢] فالاتجاه ناحية الهند كان الطريق المتاح أمامه، بعد أن أغلق الأوزبك طريق عودته إلى ما وراء النهر باستيلائهم على هراة، كما أن أمراء الأفغان استنجدوا ببابر شاه ليخلصهم من وطأة حكم ومظالم اللودهيين[٣٣]. فاجتمعت لدى بابر الأسباب الخارجية والطموح الذاتى لفتح الهند، وخاض بابر فى هذا

---

٣١ Michael Edwardes, A History of India, farrar Straus and Cuddahy, New York, p.131.

٣٢ انظر، Yilmaz öztuna, Büyük Türkiye Tarihi c2,s.150

33 Anil çeçen, Türk Devletleri, inkilap kitapevi,Istanbul 1986 s.239.

السبيل حروبا طويلة حتى استطاع أن يدخل الهند مظفرا بعد انتصاره على "ابراهيم اللودهي"[34] في بـــانى بــت سنة ٩٣٢ هـ = ١٥٢٦ م، وأن يؤسس هناك دولة التيموريين التي يعرفها الأوربيون باسم دولة المغول العظام[35]. اتخذ بــابر من دهلــي عاصمة له، واستمرت أسرته تحكم في الهند أكثر من ثلاثة قـرون، حتى قضى الإنكليز على الدولة التيمورية في الهند سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٧م[36].

علاقة بابر بالعالم الإسلامي(التركي) في مطلع القرن السادس عشر

شهد مطلع القرن السادس عشر سيادة ونـزاع الأسـر التركيـة الحاكمـة فـي المنطقة الممتدة من تركستان حتى نهاية أملاك الدولة العثمانيـة في البلقان. كان هذه الأسـر التركية الحاكمة هي التيموريون والصفويون والعثمانيون والمماليك. فقد سـاد التيموريون فيما وراء النهر وخراسان، والصفويون، في إيران والعراق، والعثمانيون في

---

[34] إبراهيم اللودهي، وتكتب أيضا اللودى، آخر حكام اللودهيين في دهلي. لم يحسن إبراهيم تدبير ملكه، فقامت الثـــورات ضده في كل مكان، كما ثارت النزاعات بينه وبين دولت خان اللودهي حاكم لاهور، فلجأ هذا الأخير إلى بابر الذى كـــان يسيطر على كابل وما حولها، فسار إليه بابر وقتله في باني بت، ودخل دهلي واستولى على عرشها. انظر،ظهير الدين محمـــد بابر شاه بابر نامه، نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، لندن ١٩٠٥، ورقة ٢٦١أ- ورقة٢٦٨ب.

[35] يطلق المؤرخون الأوروبيون على الدولة التيمورية في الهند اسم دولة المغول على اعتبار أن نسب بابر يمتد من ناحية أمه إلى جنكيز خان وأن نصف دمائه مغولية وأنه حظي بمساعدتهم أثناء فتوحاته. انظر،

Edward G. Browne, A Litrary History Of Persia, vol.3,Cambridge,1928,P.٣٩١

لكن بابر نفسه يؤكد أنه تركي من التيموريين ولا يبدى حبا أو تقديرا للمغول، انظر بابر نامه،ورقة ٦ب، وما جاء في هذا البحث عن رأى بابر في المغول.وقد جرى،ببلاد الهند إطلاق لفظ المغول على الغزاة القادمين من ناحيـــة الشـــمال الغـــربي وذلك إبتداءا من عصر جنكيز خان، ولا تنصرف هذه التسمية على أى معنى دال على الجنس، إنما قصد بها الغازي القـوي، ومن هنا كان إطلاقها على أسرة بابر، انظر،أحمد محمود الساداتي،ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية في الهندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣ــ ١٩٥٤، ص٨٠، نقلا محمد حيدر دوغـلات، تـاريخ رشـيدى، ص٨٨ــ ٩٢.

[36] انظر، علي أكبر دهخدا، لغت نامه، چاپ سيروس، تهران ١٣٣٦هجرى شمسي،ج٩، ص ٩٥. وأيضا،

Edward G. Browne, P.393

الأناضول والروملي والبلقان، والمماليك، في الشام ومصر والحجاز. وتعود هذه النزاعات إلى أسباب دينية وأخرى سياسية.

فقد ورث بابر فيما وراء النهر نزاع التيموريين فيما بينهم من ناحية، ونزاع التيموريين مع الشيبانيين من ناحية أخرى.

في الوقت نفسه كانت الدولة الصفوية الناهضة في الغرب تضع أسس عظمتها المقبلة على حساب التيموريين، وفي الجنوب كان السلطان التيموري حسين ميرزا بايقرا يجلس قويا على عرش هراة ويعمل على بعث أمجاد خراسان[٣٧]. كما تعاظم أمر محمد الشيباني الأوزبكي، واستطاع أن يرسي دعائم دولة قوية لعبت دورا هاما ليس في تاريخ آسيا الوسطى فحسب بل في تاريخ إيران لمدة قرن بأكمله، وهي دولة الأوزبك. وكانت سمرقند هي الهدف الطبيعي لشيباني خان. وقد شهدت المنطقة حروبا متصلة بين التيموريين والأوزبك الشيبانيين في زمن شيبق خان، بهدف السيادة على وسط آسيا. واستطاع شيباق خان الأوزبكي أن ينتزع هراة من السلطان حسين ميرزا بايقرا، وسعى في الوقت نفسه لانتزاع سمرقند من يد بابر. وكان التيموريون وعلى رأسهم بابر يسعون لطلب المساعدة من المغول، وهم في الوقت نفسه أخواله، لأنه يرى أن الأوزبك يمثلون خطرا على المغول والأتراك على حد سواء[٣٨]، لكن هذه الحروب انتهت بهزيمة بابر أمام شيباق خان في سوبول سنة ٩٠٦هـ = ١٥٠٠م، وبضياع فرغانة وسمرقند منه ومن البيت

---

[٣٧] انظر، فامبري، تاريخ بخارا، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.

[٣٨] انظر، بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٨٨ب وما بعدها

التيموري[39].

كانت أبرز هذه الحروب التي أثرت على مسار الأحداث فيما وراء النهر وخراسان حرب السلطان سليم الأول العثماني السني، مع الشاه اسماعيل الصفوي الشيعي، والتي انتصر فيها العثمانيون ومنى فيها الشاه اسماعيل بهزيمة قاسية في جالديران سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م. بينما دارت في تركستان حروب الأوزبك مع الصفويين من ناحية ومع التيموريين من ناحية أخرى، هذه الحروب شكلت مسار التحركات السياسية للصفويين والتيموريين في وقت واحد.

وقد أراد الشاه اسماعيل الصفوي أن يمهد لحربه مع السلطان سليم بتأمين جبهته الشرقية ليتفرغ لمواجهة العثمانيين ناحية الغرب.[40] فحارب مع شيباق خان، حاكم الأوزبك سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠ م، وسعى في الوقت نفسه لكسب مودة بابر، فأرسل رسولا إلى بابر سنة ١٥١١ م، ومعه البيكم خوانزاده شقيقة بابر التي وقعت في يد شيباق خان أثنا استيلائه على سمرقند سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م، وقد أعادها الشاه إسماعيل الصفوي إلى بابر ومعها كل متاعها وأموالها وخدمها في موكب يليق بها وكان لهذا التصرف من جانب الشاه أثره الطيب في نفس بابر. وخرج بابر لاستقبالها أثناء وجوده في قوندوز، وسعد جدا بالمعاملة التي لقيتها عند الشاه[41].

في الوقت نفسه كان بابر يسعى لإيجاد حليف قوي له ضد الأوزبك ووجد

---

[39] انظر، بابر نامه ،ورقة ٨٨أ–ب.

[40] Fernand Grenard,Bâbur,Orhan yüksek tercümesi, s. 106.

[41] انظر بابر شاه، بابرنامه، ورقة ٩أ.

هذا الحليف ممثلا فى الشاه إسماعيل الصفوى. وأعرب بـــابر عن رغبته فى إقامة علاقات طيبة معه عندما انتصر الشاه إسماعيل الصفوى على شيباق خـــان فى مرو سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠ م، ودخل هراة منتصرا [٤٢]: أرسل بابر رسولا إلى الشاه إسماعيل الصفوى فى هراة محملا بالهدايا القيمة فى العام نفســه، ليهنئه بفتح مرو، وسأله العون والمساعدة [٤٣] والتحالف ضد الأوزبك عدوهما المشترك [٤٤]. فقد كان بـــابر يدرك عدم قدرته على التصدي بمفرده للأوزبك بعد أن استولوا على هراة وانتزعوها من يد السلطان حسين بايقرا أقوى الحكام التيموريين فى ذلك الوقت. وقد أحسن الشاه إستقبال هذا الرسول ووعده بتقديم المساعدة [٤٥]. وبهذا التحالف استرد بابر بخارا، وسمرقند، وتاشـــكند، وفرغانـــه وغيرها من الأقاليم من يد الأوزبـك، وجلـس علـى عـرش التيموريين فـى ســــــمرقند للمـرة الثالثـة سنة ٩١٧هـ = ١٥١١م قبل أن ينتزعها الأوزبك منه نهائيا [٤٦].

وجدير بالذكر أن معظم تفاصيل علاقات التعاون بين التيموريين والصفويين فى هذه المرحلة، تقع ضمن الأجزاء المفقودة من كتاب بابر [٤٧] وهى الفترة من ٩١٤هـ -

---

[42] Fernand Grenard. a.g.e..s.97.

[٤٣] انظر. محمد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد١٩٩٦، ص٢٠٧.

[44] Y Hikmet Bayur.Hindistan Tarihi.c.2.s.15

[٤٥] منوجهر پارسادوست، شاه اسماعيل اول پادشاهي با اثرهاى دير پاى در ايران وايرانى، چاپ اول ١٣٧٥، ص٣٣٠

[٤٦] انظر Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan çeviren Abdürrab Yelgar Türk Tarih Kurumu, Basımevi, Ankara 1987.s.122.

[٤٧] الأجزاء المفقودة من وقائع بابر هي الفترة من بقية عام ٩٠٨هـ إلى غاية عام ٩٠٨هـــ (يوليـــو ١٥٠٣ إلى مـــايو ١٥٠٤م)، ومن عام ٩١٤هـــ إلى المحرم من عام ٩٢٥هـــ وهى أكبر الأجزاء المفقودة من هذا الكتاب وتبلغ حوالى أحـــد عشر عاما تقابل الفترة من مايو ١٥٠٨ إلى يناير ١٥١٩م. والفترة الثالثة من ٩٢٦هـــ إلى ٩٣٢هـــ (ديسمبر ١٥٢٠ إلى ديسمبر ١٥٢٥.. أنظر. بابر شاه، بابر نامه.

٩٢٥هـ = ١٥٠٩م – ١٥١٩م"[٤٨]. لكن ما تذكره المراجع التاريخية الفارسية تفيد أن بابر اتبع سياسة الوفاق مع الشاه اسماعيل الصفوى للتحالف معه ضد الأوزبك[٤٩] فى الوقت نفسه أراد الشاه اسماعيل أن يستفيد من نفوذ هذا الأمير التيمورى بابر، بأمل أن يبسط نفوذه على منطقة تركستان.

كان تفاوض بابر مع الشاه اسماعيل الصفوى لمساندته عسكريا يبدو أمرا صعبا بالنسبة لبابر، لأن الأخير كان سنيا. وكان قبول الشاه يتطلب أن يقوم بابر بسك عملة باسم الشاه الصفوي الشيعي[٥٠]، وأن تقام الصلاة أيضا باسم أئمة الشيعة. وقد اضطر بابر إلى قبول هذه الشروط لأن سمرقند كانت تستحق أن يتعاون مع الشاه اسماعيل الصفوى[٥١]. وفى سبيل استرداد سمرقند اضطر بابر إلى اعتناق المذهب الشيعي لفترة رغم خروجه فى هذا على مذهب أتراك تركستان وهم من أهل السنة[٥٢].

أمر بابر بقراءة الخطبة باسم الشاه إسماعيل الصفوى وحسب المراسم

---

48 يقول حكمت بايور فى مقدمة الترجمة التركية لوقائع بابر نامه، إن البعض يدعي البعض أن هذه الأجزاء المفقودة تتصل بالفترة التى تخجل بابر منها ولا يريد الخوض فيها وهى الفترة التى اعتنق فى هذه الفترة المذهب الشيعي لمدة أربع سنوات أو أقل، وأنه لم يكتب وقائعها وتركها تبدو وكأنها قد فقدت. ويعلق على هذا الادعاء بأن أحد لم يقدم دليل على صدقه، كما أن هذه السنوات الأربع التى أعتنق فيها المذهب الشيعي ليست مبررا كافيا لأن يخفى بابر وقائع أحد عشر عاما كاملة من مذكراته، ثم يسوق الجميع عددا من الأدلة التى تبين خطأ ذلك التوقع، والتى تفيد أن هذه الأجزاء فقدت بالفعل، أنظر Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti ،s, 18-19.

٤٩ منوجهر پارسادوست، ص ٣٣١.

٥٠ يضم المتحف البريطانى عملة تحمل إسم السلطان بابر بهادر تحيط به أسماء أئمة الشيعة الإثنى عشر، وعلى الوجه الآخر عبارة لاإله إلا الله على ولى الله. أنظر، Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2, s.2/15.

51 Le Livre De BABUR , Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduit du turc tchagatay par Jean Louis BACQUE GRAMMONT, paris1985. p.17-18.

52 Anil çeçen, a.g.e.,s.238.

الشيعية. كما سك عملة من الفضة تحمل على أحد وجهيها عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولى الله"، وعلى الوجه الآخر إسم السلطان " بابر بهادر" ولم يبين عليها تاريخ أو مكان السك. وله عملة أخرى تحمل على أحد وجهيها أسماء الأئمة الإثنى عشر للشيعة، وليس عليها تاريخ أو مكان سكها أيضا. والجدير بالملاحظة أن العملتين لا تحملان اسم الشاه اسماعيل الصفوى[53]. كما اضطر إلى أن يجعل جنده يلبسون غطاء رأس القزلباش[54]، وذلك ليبرهن على مساندته وتبعيته أحيانا للشاه اسماعيل الصفوى[55] رغم اعتقاد بابر أن عقيدة أهل الشيعة "عقيدة فاسدة"[56]، بما يجعلنا نرجح أنه كان تكتيكا سياسيا من جانب بابر ليستفيد من مساندة الشاه اسماعيل له.

حمل بابر والقزلباش على بخارا وسمرقند، وأخذهما من ولاتهما الشيبانيين (عبيد خان حاكم بخارا وتيمور سلطان حاكم سمرقند) وأصبح بابر المتصرف فيهما[57]. لكن هزيمة الشاه أمام السلطان سليم الأول سنة ٩٢٠هـ = ١٥١٤م، بددت آمال بابر في تركستان، خاصة بعد ضياع هراة وسمرقند وبخارا وانتقالهم مرة أخرى إلى يد الأوزبك، فولى بابر وجهه شطر الجنوب ناحية الهند وكان يتوق أن يفتحها[58]. ومع ذلك ظل على علاقة طيبة بالصفويين من أبناء الشاه إسماعيل إذ كان

53 Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi özeti,s.103

54 M.F.Köprülü,a.g.e., c .2, s.181/1.

55 Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2,7,s.15.

٥٦ انظر، بابر شاه، بابرنامه، ورقة ٦٨ب.

٥٧ منوجهر پارسادوست، ص ٣٣١.

٥٨ انظر، Gülbeden,a.g.e.,s.123

يتبادل الرسل مع الأمير طهماسب إبن الشاه اسماعيل فى فارس ويسعد لانتصاره على الأوزبك[٥٩].

ولم تكن علاقة بابر بالعثمانيين بمثل ما كانت عليه مع الصفويين. والسبب فى ذلك هو تعرض بابر لخطر شيباق خان الأوزبكى الذى قضى على دولة التيموريين فى ما وراء النهر، وفى الوقت نفسه كان العثمانيون يعملون على تدعيم الأوزبك فى موقفهم العدائى من الصفويين[٦٠]. وقد عاصر من العثمانيين سلاطين ثلاث، أولهم **السلطان بايزيد الثانى** (٨٨٦– ٩١٨هـ = ١٤٨١–١٥١٢م)، **وكان مشغولا بنزاعه من أخيه الأمير جـم وما يجرى فى الشمال الأفريقى والتحالف الأوربى الصليبى** ضد الدولة العثمانية. والثانى هو **السلطان سليم الأول** (٩١٨–٩٢٧هـ =١٥١٢–١٥٢٠م)، وكان مشغولا بالحرب مع الصفويين لوقف الدعاية الشيعية فى الأناضول[٦١]، والحرب مع الدولة المملوكية فى مصر من ناحية أخرى. والثالث هو **السلطان**

---

[٥٩] انظر بابر شاه، بابر نامه ورقة ٢٤٧أ.

[٦٠] ونرى أن السبب فى هذا الدعم أن الأوزبك كالعثمانيين كانوا من أهل السنة وكانوا يمثلون القوة المؤهلة فى ما وراء النهر للتصدى للشاه اسماعيل الصفوى العدو المشترك لهما. وكان السلطان سليم الأول يتبادل الرسائل مع عبيد خان الأوزبك أثناء صراع السلطان سليم مع الشاه اسماعيل الصفوى عدو العثمانيين والأوزبك المشترك. فيصف السلطان سليم الأول عبيد خان الأوزبك بأنه (باسط الأمن والأمان، ناشر العدل والإحسان) كما يصف عبيد خان الأوزبك السلطان سليم الأول بأنه (السلطان المظفر، كهف الغزاة والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين قامع الفجرة والملحدين) أنظر. وانظر أيضا. عبد الحسين نوائى، شاه اسماعيل صفوى، ص١١٥–١٢٧. ولعل هذا التعاون بين الأوزبك والعثمانيين هو الذى دفع بابر إلى التعاون مع الشاه اسماعيل الصفوى ليحمى دولته الناشئة من خطر الأوزبك.

[٦١] جدير بالذكر هنا أن السلطان سليم الأول كان حريصا على الاحتفاظ بعلاقة طيبة مع الأمراء التيموريين باعتبارهم من الأتراك أهل السنة، و يقول منجم باشى إن بديع الزمان ميرزا، إبن السلطان حسين بايقرا سلطان هراة، بعد ضياع هراة و قتل الأوزبك أكثر أخوته، هرب خوفا على حياته من الأوزبك ولجأ إلى الشاه اسماعيل الصفوى، وكان موجودا لدى الشاه اسماعيل الصفوى أثناء موقعة جالديران التى دارت بين الشاه إسماعيل والسلطان سليم الأول سنة ١٥١٤م، وعندما انهزم الشاه اسماعيل "حضر بديع الزمان ميرزا عند السلطان سليم، فبالغ السلطان فى إكرامه وطيب قلبه بالمواعيد الجميلة، فحمله معه إلى الروم "وظل هناك حتى توفى ودفن بقرب إلى أيوب الأنصارى". انظر. منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٦٥ب، ٢٦٦أ. وانظر أيضا. عبد الحسين نوائى، المرجع السابق، ص ٣٦٧.

سليمــــــان القـــــانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ = ١٥٢٠- ١٥٦٦م)، الذي ورث الدولة بجبهتين شيعية وأوروبية صليبية استنفذتا عصره الذهبي في قتال دائم ورغم هذا مد يد العون لبــــابر شــاه في تحركه لفتح الهند، فأمده بفرقة من المدفعيين العثمانيين بقيادة مصطفى بك الرومي، مكنت بــابر من الانتصار على ابراهيــم اللودهي في بني بت سنة ١٥٢٧[٦٢] . كما كان بابر يرسل الهدايا والنذور، إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وهما في حوزة العثمانيين[٦٣] .

بابر نامه

كتاب بابر المعروف باسم بابرنامه. كتبه بـابر في العقد الثالث من القرن السادس عشر الميلادي باللغة التركية في لهجتها الجغتائية. سجل بابر في كتابه هذا جهوده وجهاده في سبيل تأسيس دولته، والحروب التي خاضها ضد أقاربه والأوزبك في سبيل الحفاظ على ما تبقى من الدولة التيمورية في بلاد ما وراء النهر وخراسان قبل أن ينتزعها الأوزبـــك، ثم انتصاره على اللودهيين، ونجاحه في الحفاظ على ما تبقى من سلطان الدولة التيمورية ليكتب لها عمرا جديدا في بلاد الهند.

تخلل هذا التسجيل، وصف تاريخي وحضاري وجغرافي للمدن الهامة التي رآها أثناء فتوحاته وانطوت تحت لواء دولته ؛ وهي فرغانه، وكابل، وبخـارا،

---

[٦٢] انظر بابر شاه، بابر نامه ورقة ٣٢١ب عبد الحسين نوائي ، المرجع السابق ، ص ٣٨٠ وأيضا ، Yilmaz Özuna,a.g.e,s.151.

[٦٣] انظر بابر شاه، بابر نامه، ورقة ٢٩٤آ.

وسَمَرقند، والهند .

كتب بابُر كتابه هذا في السنوات الأخيرة من عمره، بعد أن تجاوز المحن التي خاضها طوال حياته. وفيه يظهر بـــابُر شاعرا وسياسيا وفيلسوفا فذا ممتازا بين فلاسفة العصر الوسيط[٦٤] .

ولهذه المذكرات أسماء عدة اشتهرت بها ؛ هي " وقايع "، " وقايع نامه "، " واقعات بابرى"، " وقايع نامه، بادشاهي "، " بابريه "، وأطلق على ترجمتها الفارسية إسم " توزك بابرى "، لكن أشهرها جميعا هو اسم " بابُر نامه"[٦٥] .

بدأ بــــابُر مذكراته بدون تقديم أو تمهيد بذكر جلوسه على عرش فرغانـــه وهو في الثانية عشر من عمره، واستمر في تسجيل الأحداث التي مرت به حتى قبيل وفاته بعام واحد. أي من عـام ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤م، إلى عام ٩٣٦هـ = ١٥٢٩م، باستثناء بعض السنوات التي لم تصل إلينا وتشمل أربع فترات هي :

- من صَفَر ٩٠٩هـ = يوليو ١٥٠٣م إلى ذي الحجة ٩١٠هـ = مايو ١٥٠٤م.
- من صَفَر ٩١٥هـ = مايو ١٥٠٩م إلى ٥ محرم ٩٢٥هـ = ٢يناير ١٥١٩م.
- من ٢٥ محرم ٩٢٧هـ = ١٣ديسمبر ١٥٢٠ م إلى ٦ صَفَر ٩٣٢هـ= ١٧أكتوبر ١٥٢٥م باستثناء عدة أيام من عام ١٥٢١م.
- من محرم ٩٣٦هـ = سبتمبر ١٥٢٩م إلى ٩٣٧هـ = ١٥٣٠م[٦٦] .

---

[٦٤] فامبيري، نفس المرجع، ص ٢٨٦.

[65] tikA kuraF rem_حn..Babur náme Maddesi,I.A.T.D.V.,c.4.,s.404/2.

[٦٦] انظر، بابُر نامه ورقة ١١٩ب، ١٢٠أ، ٢١٦أ-ب، ٢٥١أ-ب، ٣٨٢أ، وأيضا Omer Faruk Aktma.g.e.,s.404

وقد دون بـــابر وقائعه على شكل الحوليات، فذكر الوقـائع تبعا لسـنوات جريانها، وهى الطريقة التقليدية المتبعة فى تدوين الوقائع فى الأدب الإسلامى فى عصره. وإن كانت الأجزاء الأولى من كتابه هذا أكثر حيوية فى التسجيل، وأكثر ميلا إلى التفسير من الأجزاء الأخيرة منه والتى جاءت أشبه باليوميات.

القيمة التاريخية لبابر نامه

وصف بابر كتابه هذا فى أكثر من موضع بأنه "تاريخ" ووصفه أيضا بأنه " وقائع "، وذكر أن الهدف من هذه الوقائع هو ذكر الحقائق.

وقدكتبه بـــابر فى السنوات الأخيرة من عمره، بعـد أن تجاوز المحن التـى خاضـها طـوال حياتـه، فتضمن الكتـاب خلاصـة فكـره ورؤيتـه وتفسـيره وتحليله لوقائع وأحداث عاشها وعاصرها، بعد أن صار بإمكانه فهمـها وتفسـير مغزاهـا، وبالتـالى فالكتاب يعبر عن ثقافة بـابر وفكـره وخلقـه، ويحمـل الكثـير مـن سماتـه الإنسانية.

ولا يوجد فى كل كتب الأدب التركية والفارسية على السواء كتاب مثل بـابر نامه يحوى مثل هذه الأخبار الغزيرة[٦٧] التى تضمنها كتابه هذا فيما يتعلق بتاريخ الهند وبلاد ما وراء النهر فى نهاية حكم الدولة التيمورية هناك والكتاب بهذه الكيفية يصلح لأن يكون ميدانا لعدد من الدراسات التاريخية والحضارية فيما يتعلق بالأتراك والمغول وشبه القارة الهندية وبلاد ما وراء النهر.

---

[٦٧] انظر، قاميرى، نفس المرجع، ص٢٨٧.

ويعتبر بابُر نامه مصدرا أساسيا في معرفة التاريخ الاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا في مطلع القرن السادس عشر. ذلك لأن بابُر أحاط بكل ما يدور حوله، ووَصَف كل ما يحيط به من عادات أهله، والنظم السياسية والإدارية والعسكرية، والأوضاع والاجتماعية والأعراف والنظم السائدة في عصره. هذا فضلا عن معلوماته عن الجغرافيا والمناخ والحيوان والنبات وخصائص كل منها. رغم أننا لانستطيع أن نحدد على وجه الدقة المصادر التى استقى منها بابُر الأوصاف الجغرافية الدقيقة التى تضمنتها وقائعه[68].

وقد حدثنا بابُر أكثر من مرة عن أعراف الأتراك والمغول في دواوين الحكم والمجالس، ومآدبهم، وعند الخروج للقتال[69]. وأزيائهم[70]، وأخلاقهم[71]، وكيف

[68] Le Livre De BABUR. p.21

[69] مثال ذلك وصفه لاستعداد الجيش المغولى عند الخروج للقتال. فيقول بابُر "نظموا صفوف جناحي اليمين والشمال تنظيما جيدا. وفحصوا الطوغ وفق عادة المغول. وترجل الخان من فوق جواده وعرس أحد المغول أمام الخان تسعة طوغات وأمسك في يده قطعة قماش بيضاء طويلة مربوطة بعظمة ساق ثور أمامية. كما ربط إلى أسفل قليلا ثلاث قطع طويلة من القماش بطرف طوغات ثلاثة ومرَّ بها أسفل صارى الطوغ. ووطأ الخان بقدمه على طرف إحدى هذه القطع الثلاثة، وأنا على طرف القطعة الثانية المربوطة بأحد الطوغات كما داس السلطان محمد خانيكه على طرف القطعة الثالثة وأمسك ذلك المغولى في يده عظمة ساق الثور الأمامية المربوطة وقال أشياء بالمغولية وهو يشير وينظر إلى الطوغ. وكان الخان وكل الواقفين في الأطراف ينثرون القميز على الطوغ بينما الأبواق والطبول تعزف نغمة واحدة. وأطلق الجُند المصطفون وكل الموجودين صيحة الحرب سويا وكرروها ثلاث مرات. وكان الجنود يجوبون حولنا فوق الجياد ويطلقون صيحة الحرب. وهذه النظم التى وضعها جنكيز خان للمغول، ما زالت مرعية حتى الآن كما وضعها. واصطفت أجنحة الميمنة والميسرة والقلب كل في مكانه كما كان يفعل آباؤهم ووقف على رأس جناحي الميمنة والميسرة أصحاب المكانة الأرفع". انظر، بابُر شاه، بابُرنامه، ورقة ١٠٠أ-ب.

[70] يقول بابُر في وصف ملابس المغول:"في صباح اليوم التالى أنعم على الخان الصغير، وحسب العادات المغولية، بطاقم كامل من الرأس إلى القدم، كما أعطاني حزامه، وجواد خاص مسرج. كان الطاقم عبارة عن غطاء رأس مغولى موشي. والملابس كانت من الأطلس الصيني الموشي أيضا. كذلك الحزام كان حزاما صينيا وقد علقت في طرفه الشمالي ثلاث أو أربع وحدات من العنبر تشبه الكيس الذى تعلقه النساء في رقبتهن كذلك في الطرف الأيمن ثلاث أو أربع وحدات تشبهها. وقد تم تجهيزها كلها حسب الأصول القديمة". "كان رجال الخان الصغير يلبسون حسب عادة المغول تماما. كانوا يضعون أغطية الرأس بالشكل المغولى وملابسهم من الأطلس الصيني وموشاة وكنانة السهام من الجلد الأخضر الفاخر بالشكل المغولى، وسروجهم وجيادهم المغولية كان مزينة بشكل لم أر مثله من قبل.انظر،بابُر شاه، بابُر نامه ورقة ١٠٣أ.

يتداوون[72]، وماذا يأكلون. وعرفنا من عادات الأتراك فى تلك الفترة أن ألذ ما يأكلون هو الشواء من لحم الخيل، وألذ الفواكه البطيخ والعنب. كما عرض بابر للآداب المرعية عند اللقاء والتحية والهدايا وأعلاها ما يكون من تسع وحدات فأعظم مراتب التحية الانحناء تسع مرات وأعظم الهدايا تسع هدايا . وكما وصف آداب الطعام ومجالس اللهو، وأزياء عصره وطريقة لف العمامة وأنواع الرياضات التى يمارسها الناس آنذاك وأهمها الصيد، والمصارعة، وسباق الخيل، ومبارزة السيف، والسباحة، وكلها رياضات وثيقة الصلة بطبيعة حياتهم القتالية فى هذه البيئة الجغرافية الصعبة. فقدم لنا بابر صورة لا مغالاة فيها للأحوال الإجتماعية والأخلاقية والحضارية التى كانت تسود بلاد ما وراء النهر فى أخريات عهد الدولة التيمورية هناك.

وتبين من الكتاب أن التيموريين عرفوا تنظيم الجيوش وكان تنظيمها

---

[71] من هذه الأخلاق التى شاعت بين الترك والمغول فى ذلك الوقت وأشار إليها بابر أكثر من مرة، هى الثأر ممن اعتدى أو أساء إليهم ويقول بابر فى ذلك:"كانت بيشكيت أثناء ذلك فى يد عبد المنان بن المولى حيدر. وكان للمولى ابن آخر أصغر من هذا اسمه مؤمن،عديم الاكتراث لا ترجى منه فائدة ، وقد زارنى أثناء وجودى فى "سمرقند وأبديت له رعاية فائقة. ولا أعرف إن كان نويان كوكلداش قد أساء معاملته فى سمرقند أم لا، فبلاشك هذه المعاملة غير اللائقة بقصد. وعندما علمنا بعودة مهاجمى الأوزبك أرسلنا رجلا إلى الخان ثم غادرنا بيشكيت وأقمنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيام فى قرى آهنكران .ودعا مؤمن ابن المولى حيدر، نويان كوكلداش وأحمد قاسم وآخرين إلى وليمة طعام بناء على تعارفهما السابق فى سمرقند.وكانوا فى بيشكيت عندما غادرناها. وأقام لهم مؤمن هذه المأدبة على حافة جرف هاو. ونزلنا نحن بإحدى قرى آهنكران اسمها سام سيرك. وفى الصباح علمنا بوفاة نويان كوكلداش على أثر سقوطه من شفا الجرف الهاو وهو ثمل . وذهب "حاك نزار"خال نويان وعدة أشخاص للبحث عن جثمانه حيث سقط. وعثروا على جثته ودفنوها فى بيشكيت ورجعوا. وقد عثروا على جثته أسفل المكان الذى أقيمت فيه المأدبة ، والذى يرتفع عن الأرض بمقدار رمية سهم. وجال بخاطر البعض أن مؤمن لم ينسَ ثأره منذ أيام سمرقند ، وأنه فعل هذا بنويان عمدا ، ولا أحد يعرف حقيقة الأمر "أنظربابر شاه، بابر نامه ورقة ٩٨أ-ب.

[72] يصف لنا بابر بعض أساليب العلاج المتبعة بين المغول فى ذلك الوقت فيقول:"أرسل لى الخان جرّاحه المغولى واسمه"اتكه بخش "للعناية بجرحى. والمغول يطلقون على الجراح الماهر اسم "بخش". وقد كان جراحا حاذقا. فكان يداوى مخ الإنسان وإن خرج من موضعه. ويضع دواء يشبه المرهم فوق بعض الجروح، كما يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل. وقد أمر بحرق المضع للجرح الذى فى ساقى رغم بضع الفتيل. كما أطعمنى ذات مرة شيئا يشبه الجذر. وقد حكوا عنه إنه ذات مرة انكسرت عظمة دقيقة فى ساق أحدهم، وتمزق مكانها تماما بمقدار أربعة أصابع وصار مهترئا. فشق اللحم وأخرج العظام تماما، ووضع مكانها دواءً على هيئة التراب، فقام هذا الدواء مقام العظام. وقالوا أشياء كثيرة بهذه الغرابة وكلها تثير العجب. وقد عجز الجراحون فى الولاية عن القيام بمثل هذه العلاجات. أنظربابر شاه، بابر نامه، ورقة ١٠٨ب- ١٠٩أ.

عبارة عن صفوف اليمين والشمال والقلب والمقدمة[٧٣]، وعرفوا ما يسمى الآن بحرب الاستنزاف[٧٤]، وتكتيك القتال، والالتفاف من خلف العدو، والكر والفر بشكل مفاجئ[٧٥].

ويمكن الاستفادة أيضا من هذا الكتاب في فهم التاريخ الاجتماعي وتقاليد الشعوب في زمن كتابته. فمن العادات التي ذكرها بابُر في كتابه أن المقاتل التركي عندما يرغب في الاستسلام "علق السيف وكنانة السهام في رقبته[٧٦]" ويذهب إلى عدوه بهذا الشكل، أما عند الأفغان، فإن المقاتل عندما يعجز عن مقاومة خصمه يذهب إليه واضعا الحشائش بين أسنانه ويقول لخصمه: " أنا ثور لك "، وهي من العادات الغريبة التي شاهدها بابُر في بلاد الأفغان[٧٧].

وتعتبر بابُر نامه أحد المصادر الأساسية بالنسبة لسيرة شيباق خان الأوزبكي، وتسجل سعيه لانتزاع بلاد ما وراء النهر من يد التيموريين وفي الوقت نفسه تضع بابُر نامه أيدينا على الأسباب التي أطاحت بملك التيموريين هناك، وما كان يدور بينهم من نزاعات وشتات أمرهم بصورة أعجزتهم عن المحافظة على دولة آبائهم التيموريين.

---

[٧٣] انظر، بابُر شاه، بابُر نامه، ورقة ٨٩أ.

[٧٤] انظر، بابُر شاه، بابُرنامه، ورقة ٧١أ ــ ب.

[٧٥] يقول بابُر في وصف مثل هذه الخطط القتالية "كانت حركة الالتفاف مهارة كبيرة يمتاز بها الأوزبك في معاركهم، فلا تكون الحرب عندهم أبدا بغير التفاف، ومن خطط الحرب أيضا عندهم أن يطلق كل الأمراء والجنود الذين في المقدمة والمؤخرة السهام دفعة واحدة، ثم يرجعوا مدبرين بسرعة ثم يعودوا فينقضوا مرة أخرى دفعة واحدة ". انظر، بابُر شاه، بابُر نامه،ورقة ٩٠أ.

[٧٦] انظر،بابُر شاه، بابُرنامه ورقة ٩٣ب.

[٧٧] انظر،بابُر شاه، بابُر نامه ورقة ١٤٧أ.

ومما يزيد من أهمية بابُر نامــــه، هـذه التراجم التى كتبها بــابُر لعدد من الشخصيات التاريخية الهامة التى عرفها، مثل ترجمة والده الشيخ عمـــر ميــرزا، والسلطان محمود ميرزا، وابنه السلطان باى سنقر ميرزا، والسلطـــان أحمـد ميرزا، والسلطان حسين بايقرا وعصره، ومير على شـــير نوالـــى. فأحاط بنَسَب كل واحـد منهم ومولـده، وشـكله وشمائله، وأخلاقـه وأطـواره، ومعاركه وولايته، وأولاده ونسائه، وجواريه وأمرائـه. وتتميز من بين هـذه التراجم ترجمته للسلطان حسين بـايقرا وعصره قبل أن يستولى عليها الشيبانيـون، فقد رسم لنا صورة تنبض بالحياة تعبر عن المكانة الرفيعة التى بلغتها هراة فى ذلك الوقت وثرائها برجالات الأدب والعلم والفن.

كذلك حرص بـــابُر فى مذكراته هذه على وصف المدن الهامة التى رآها وعاش فيها أثناء فتوحاته، وحرص أن يصف موقعها، وجبالها ووديانها ومناخها، وما بها من أنهار وأودية وقلاع، ومحاصيل وثمار ونبات، وحيوان وطير، وخصائص أهلها، وعاداتهم، وبعض المظاهر الحضارية التى شاهدها فى تلك المناطق.

لهذا كله يُعتبر كتاب بابُــر" بـــابُر نامـــه "، عملا فريدا فى اللغة التركية الجغتائية فيما يتعلق بتاريخ فـــارس والهنـد[78]. كما يعتبر بـــابُر نامـــه مصدرا أساسيا فى معرفة التاريخ الاجتماعى والحضارى لمنطقة وسط آسيا فى مطلع القرن السادس عشر.

[78] Edward G. Browne,ibid, p.453.454

منهج بابُر في الكتابه التاريخية

قد تدفع كتابة السيرة الذاتية، صاحبها أحيانا للمبالغة والزهو، لأنها ستكون حديثا عن النفس والزهو بها وإعلاء لقيمتها، ولكن إذا كان صاحبها معتدلا وكان الصدق دَيدَنه فستكون سيرته الذاتية أكثر انطباقا على حياته، لأنها – في هذه الحالة – لن تكون مجال تخمين أوافتراض، لكنها ستكون – بالضرورة – مجال تحقيق وتثبت.

وهناك بعض الشخصيات المؤثرة في التاريخ تنهض لكتابة مذكراتها، فتميل أحيانا إلى عدم الالتزام الدقيق بالحقائق تبريرا لأخطائها أو دَرْءً للمسؤولية، أو تأكيدا لنجاحها ومن ثم الإساءة إلى أعدائها أو غير ذلك من مظاهر عدم الالتزام بالحقائق. وفي هذه الحالة تضعف الثقة في قيمتها المرجعية – ولو أحيانا لافتقارها إلى الصدق والواقعية، وتكون بذلك أقرب إلى كونها رسالة للدفاع عن النفس.

أما كتاب بابُر فيتميز – كما يرى الكثير من المؤرخين المشتغلين ببابُر وتاريخ آسيا الوسطى – بالصدق الكامل والموضوعية وتصوير الوقائع حسبما جرت دون إغفال لأوجه النقص أو التقصير أوالإهمال أو غير ذلك من مظاهر الضعف الإنساني، مما جعل بابُر يبدو فيها بطلا إنسانيا وليس بطلا أسطوريا[79]. وإذا قورنت مذكرات بابُر هذه بما كتبه المؤرخون الذين عاشوا نفس الفترة و شهدوا نفس الأحداث نرى أن بابُر قد أحسن عرض جهوده، كما أنه لم يتعمد إخفاء أي تصرف

---

[79] M.F.Köprülü,a.g.e.,s.184..

قد يسيئ إليه، ولم يغير في الوقائع التي سجلها لكي يبالغ في نجاحه[80] فالموضوعية التي دون بها بابر وقائعه لها دلالة حضارية، وهذه الموضوعية هي ما تفتقده الكتابات التاريخية لتلك الفترة[81].

وسبب اهتمام بابر بكتابة هذا "التاريخ" ترجع بالدرجة الأولى إلى أنه كان جزءا من الوقائع التي سجلها، كما كان وثيق الصلة بأطراف هذه الوقائع، فضلا عن ثقافته الواسعة التي تبدو لنا من خلال كتابه بابر نامه[82]، والتي يمكن من خلالها أن يضع ما هو ضروري وهام من الأحداث في اطاره الصحيح، وهذه الثقافة مكنته من إبداء الرأي والتعليق على بعض ما جاء به.

وقد وضع بابر لنفسه منهجا التزم به في كتابة " وقائعه " التي هي مذكراته، هذا المنهج يعتمد على :

أولا : الصدق والموضوعية في سرد الوقائع :

التزم بابر بالصدق والموضوعية فيما يكتب من وقائع[83]، وهما اثنان من السمات التي يجب أن يتحلى بها كل من يتصدى لكتابة التاريخ. وقد التزم بابر بهذا

---

[80] هذا ما يذهب إليه كاتب مقدمة الجمع التاريخي التركي في تقديمه لترجمة بابر نامه إلى اللغة التركية الحديثة وإن كان لنا تحفظ طفيف في هذا الشأن سنذكره في حينه. انظر.
Hikmet Bayur. Vekayi. tarihi özeti s.7.

[81] Le Livre De BABUR.p.21

[82] مثال ذلك إلمامه بتاريخ سمرقند وكذلك إلمامه بتاريخ من سبقه لفتح الهند من الفاتحين المسلمين أنظر بابر نامه، ص٢٦٩أ، وعن ثقافة بابر انظر ما كتبناه في هذا الجانب من شخصيت أنظر، ماجده مخلوف، نفس المرجع، ص٢٦–٣٤.

[83] وعبر عن هذا بقوله : "إن الهدف مما ذكرت – من وقائع – ليس قذف الآخرين بالحجارة، بل ذكر الواقع بحالته. كما لا أهدف من وراء هذا الإعلاء من شأن، وإنما ذكر الحقيقة". بابر نامه، ص ٨٩أ. ويقول أيضا:"إني ملتزم بذكر حقيقة كل كلمة وكل واقعة كما حدثت: بابر شاه، بابر نامه ورقة ٢٠١أ.

الجانب من منهجه بسبب إدراكه للقيمة التاريخية لما يسجله من وقائع وصفها بأنها "تاريخ"[٨٤]، فلم يخف شيئا يمكن أن يؤخذ عليه، كما لم يعمل على اختلاق بطولات وأعمال ليست له من باب الزهو والفخر. وإذا ما قورنت مذكراته بما كتبه المؤرخون المعاصرون له، نجد أن بابُر، لم يغير فى ذكر الوقائع، بالمبالغة أوالنقصان، سواء بالنسبة لنفسه، أو لمن ورد ذكرهم من شخصيات تاريخية عاصرها واحتك بها "[٨٥]. وتبدو هذه الموضوعية أيضا فى تعريفه بعدد كبير من الشخصيات التى ورد ذِكرها فى كتابه، ولا تحول رابطة دمٍ أو رحمٍ بينه وبين الحقيقة، سواء كانت هذه الحقيقة مزية أو نقيصة[٨٦].

ما حرص بابُر على حجبه وأسبابه :

ورغم هذا الصدق والواقعية التى اتصف بها بابُر، إلا أن للنفس الإنسانية ضعفها، فنرى أن بابُر قد حجب جانبا من بعض الوقائع التى تتعلق بشيباق خان والتى وردت فى مصادر تاريخية أخرى معاصرة له بشىء من التفصيل.

مثال ذلك ما ذكره بابُر فى واقعة وقوع أخته خوانزاده بيكم فى يد شيباق خان أثناء خروج بابُر من سَمَرقَنْد للمرة الثانية عام ٩٠٧هـ =١٥٠١م، وقد ذكرها بابُر بشكل مختصر فى عبارة عارضة قال فيها : "وأثناء خروجنا هذه المرة وقعت

---

[٨٤] انظر، بابُر شاه، بابُر نامه، ورقة٢٧أ، ورقة ٥٠ب.

[85] Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi Özeti ،s,7.

[٨٦] انظر بابُر نامه ورقة ٢٠١أ و أيضا ما ذكره بابُر عن بعض أقاربه مثل السلطان محمود ميرزا، ولم يمنعه عداؤه لشيباق خان عن إبداء إعجابه بمهارته القتالية وتحركاته العسكرية.

أختي الكبرى خوانزاده بيكم في يد شيباق خان"[87].

وقد ذكر محمد حيدر دوغلات ابن اخت بابُر هذه الواقعة تفصيلا في كتابه المعروف باسم "تاريخ رشيدى" حيث يقول : إن "بابُر شـــاه كان قد زوّج أخته خوانزاده بيكم لشيباق خـان أثناء محاصرته لسَمَرقَنْد، فداءً لنفسه، وقد سُرَّ شيباق خـــان لهذا، وبعد ذلك خشى أن تؤذيه البيكم لمصلحة أخيها، فطلقها وزوّجها إلى سيد هادى أحد رجال الأوزبك العظام، وكان مرموق المكانة لدى الخان والسلاطين وكل الأوزبك"[88].

كذلك ذكرت كلبدن إبنة بـــابُر في همايون نامه[89] وهي بصدد الحديث عن محاصرة شيباق خان لسمرقند وبداخلها بـــابُر شـــاه الذى لم يصله لأى عون من أقاربه، ثم قالت :"وفي هذه الأثناء أرسل شيباق خان إلى بابُر شـــاه قائلا (إذا أعطيتني أختك خوانزاده بيكـم ، يعود السلام بيننا، وتقوم بيننا أواصر الاتحاد) فاضطر (بابُر) تحت وطأة الضرورة أن يزوج خوانزاده بيكم إلى شيباق خـان، ثم خرج من سمرقند"[90].

والواقع أننا أُميَلُ إلى الأخذ بهذين القولين، وذلك إذا نظرنا إلى شعور بـــابُر وإحساسه بالنجاة بعد خروجه من سَمَرقَنْد رغم ضياعها منه.

---

[87] انظر، بابُرنامه، ورقة ٩٥أ.

[88] انظر، محمد حيدر دوغلات، نفس المرجع، ص ٢٧٠

[89] كلبدن هي إبنة بابُر شاه ، وهذا الكتاب "همايون نامه"هو سيرة همايون الابن الأكبر لبابُر شاه بقلم شقيقته كُلبدن، وهـو مكتوب في أصله بالفارسية ، وتمت ترجمته إلى اللغة التركية وأصدرة مجمع التاريخ التركي عام١٩٨٧، وهي الترجمة الـتي رجعنا إليها .

[90] انظر Gülbeden,Hümayunnâme,s.116.

كما يبدو بـابُر وكأنه غير ملتزم بالواقع كما كنا نتوقع منه، ففي ذكره لواقعة محاصرة شيباق خان له في سمرقند للمرة الثانية (ضمن وقائع سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م، وسنة ٩٠٧ هـ = ١٥٠١م)، يصور وطأة هذه المحاصرة ووقعها عليه هو شخصيا وعلى جنوده وكذلك على أهل سمرقند، ثم يذكر فجأة وبلا مقدمات واقعة قيام شيباق خان بعرض الصلح عليه، فيتقبل. ويُرجع قبوله هذا إلى يأسه من وصول أي نجدة له[91]. ويبدو أن حادثة طلب شيباق خان الصلح مع بـابُر –رغم تفوقه– حادثة غير منطقية، ولا تستند إلى الواقع، ولم يلتزم فيها بمنهجه العام. فما الدافع لأن يعرض شيباق الصلح وهو في الموقف الأقوى، بينما بابُر محاصر وقد انفض من حوله رجاله وملأه اليأس كما يقول. مما يجعلنا نتصور أنه فرح بهذا الصلح وكتبت له النجاة بخروجه من سمرقند، ويؤكد نظرتنا هذه – وهذا حسب رؤيتنا – وصفه هو شخصيا لحاله بعد هذا الصلح[92]. وهذا حسب تصورنا يشير إلى أن خروجه من سمرقند كان يغلفه الإحساس بالخطر والموت وليس خروجا بناء على مصالحة من عدوه الأوزبكي[93].

---

[91] يقول بابُر في هذا الموقف ما ملخصه: "طالت فترة الحصار ولم تصلنا بعد المؤونة، وبدأ الناس والجند في مغادرة القلعـة والهرب منها بعد أن ملأهم اليأس، وجاء شيباق خان وهو يعلم تماما حال أهل القلعة وعجزهم ونزل بجوار غار العشـاق. واشتدت الأزمة واستبد الضيق بالجند وأهل المدينة وبدأ رجالي المقربون وذوي المكانـة في الهروب قفزا من فوق الأسـوار، واستبد اليأس بي وبمن معي. وبينما نحن على هذا النحو أبدى شيباق خان الرغبة في الصلح. وعقدنا الصلح" انظر بابُرنامـه ورقة ٩٤أ – ٩٥ب.

[92] يصف بابُرشعوره بعد خروجه من سمرقند هذه المرة بقوله: "وزالت من القلب رهبة الموت ومن الناس وطأة الجـوع، ولم يكن قد لقينا في حياتنا مثل هذه الراحة ... فقد أحسسنا بالراحة والرخاء ونجونا من بلاء العدو ووطـأة الجـوع" انظـر بابُرنامه ورقة ٩٥ب.

[93] هذا يبدو ماذكره فامبيري عن هذه الواقعة من أن "بابُروجد نفسه أشبه بمعزول في حصونه المهجورة، هنالك اتخذ سبيله هربا في الليل؛ ففقد من بوابة شيخ زاده وربما بجهته "هو الأقرب للتصور انظر.فامبري، تاريخ بخارا، ص٣٠٧.وأظن أن هذا الـرأى مستقى من شيبانى نامه التي يرجع إليها فامبيري كثيرا فيما يتصل بتاريخ شيبانى خان وقد حاولت الاطلاع عليها ولم أستطع.

وباستثناء ما يتعلق بشيباق خـان - عدوه وعدو أسرته اللدود - تناول بابر بصدق وواقعية ملامح حياته الخاصة والسياسية والعسكرية والفكرية والأدبية. كما تناول بنفس الصدق والواقعية حظ هذه الحياة من النقص والكمال والإخفاق والنجاح، ولم يخجل من شرح أسباب هزائمه وأخطائه ونقاط ضعفه. وقد شرح كل هذا بهدوء وبشكل طبيعي، وتكلم عن ذاته باعتباره إنسان فى المقام الأول وليس بطلا أو مؤسس دولة.

ثانيا : ربط النتائج بالأسباب :

تميز منهج بـابُر بالحرص على ربط النتائج بالأسباب، فهو لا يدوّن الوقـائع فحسب إنما يعبر عن فكره الخاص تجاهها[٦٤]. ومرجع هذا أن بابُر كان جزءً أساسيا فى هذه الوقائع وليس مجرد راوٍ أو مسجل لها. وكان بـابُر بهذه الرؤية -كما نرى- متميزا بهذا المنهج الموضوعى. وهذه الرؤية التى استخدمها بـابُر تدخل فيها عوامل إيمانية وعقدية تمثل لديه إطارا لتفسير الأحداث. وهذه العوامل الإيمانية تعبر عن جانب بارز فى شخصية بابُر، وهذا ما يشير إليه دائما فى مواضع النصر، فنراه يفسر الإنتصارات فى مواقف كثيرة بأن مرجعها توفيق الله وقدرته، أو حسن طالعه. أما فى مواضع الإخفاق فيرجعها دائما إلى أسباب موضوعية، مثل الإهمال الناتج عن

[٦٤] مثال ذلك ما كتبه بابر عن اختلافه عن السلطانين محمود الغزنوى وشهاب الدين الغورى اللذين سبقاه لفتح الهند فيتاول أوجه الاختلاف بينه وبينهما قائلا: "إن ما قمت به يختلف عما قام به هذين السلطانين. ذلك لأنه عندما استولى السلطان محمود الغزنوى على بلاد الهند، كان عرشه فى خراسان، وسلاطين خوارزم خاضعون له، كما بسط جناحه أيضا على سلطان سمرقند. وكان جنده يزيدون على المائة ألف. "كما يشير أيضا إلى انقسام الهند لعدد من الإمارات كـل منها يخضع لأمير مستقل. ثم أن السلطان شهاب الدين الغورى، جاء إلى الهند بمائة وعشرين ألف فارس كذلك كانت الهند لا تخضع لسلطان واحد وكان خراسان فى يد أخيه الأكبر غياث الدين الغورى ". انظر، بابر نامه، ورقة ٢٦٩أ- ب.

عدم التجربة [95]، أو قطع الرأى على عجل وبدون إمعانِ فِكر، خاصة فى وقت الحرب، أو عدم توخى الدقة والتروى فى اتخاذ القرارات [96].

أما رؤيته التأملية فمرجعها – فى تصورنا – تنوع ثقافة بابُر وثرائها . فقد كان ملما إلماما جيدا بتاريخ المنطقة التى يتحرك فيها وتاريخ آبائه وأجداده التيموريين وتاريخ الفاتحين السابقين له الذين تحركوا فى الرقعة التى تحرك فيها مثل السلطان محمود الغزنوى [97] والسلطان شهاب الدين الغورى [98] وهما من بين الأمراء الأتراك، الذين سبقوه لفتح الهند . كذلك كان بابُر يتمتع بثقافة إسلامية وفقهية واسعة لعبت دورا كبيرا فى تحديد أولويات اهتماماته عند فتحه البلدان وإدارتها وبالتالى يستطيع – فى اطار هذه الثقافة – أن يضع لها تصورا عمليا ناجحا [99].

ثالثا : الاهتمام بالتفاصيل :

تمثل السمة الثالثة لمنهج بابُر فى كتابة التاريخ فى الاهتمام بدقائق وتفاصيل ما يحيط به من أحداث ومظاهر حضارية ولكل من هذه العناصر صلة قوية بفهم

---

[95] بابُر نامه، ورقة ١١١أ.

[96] انظر، بابُر نامه، ورقة ٦٤أ.

[97] السلطان محمود الغزنوى، هو السلطان محمود بن سبكتكين والملقب يمين الدولة وأمين الملة، واحد من أكبر رجالات الإسلام، وجه غزواته نحو الهند فهبط على وديانها خمس عشرة أو سبع عشرة مره فى الفترة بين ٣٩١-٤١٧هـ (١٠٠١-١٠٢٦م).وعرف باسم فاتح الهند. لأنه أول من استطاع أن يقيم فيها حكما إسلاميا.وتوفى سنة ٤٢١هـ=١٠٣٠م.انظر، أحمد السعيد سليمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

[98] السلطان شهاب الدين الغورى، مؤسس دولة الغوريين فى الهند. فقد استطاع أن يدخل الهند ويستولى على لاهور من يد الغزنويين سنة ٥٨٢هـ= ١١٨٦م، ولم يطل حكم الغوريين هناك اذ سرعان ما انتهى حكمهم بعد ما يناهز عقدين من الزمان. انظر، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند، ط ٣،القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٨ وما بعدها.

[99] فى هذا انظر رسالة بابُر إلى عامله على كابل، بابُر نامه،ورقة ٣٥٩أ وما بعدها.

وتفسير أحداث التاريخ، وهذا الاهتمام الدقيق من جانب بابر، بكل ما يدور حوله ويشاهده مرجعه معرفته الجيدة بالتاريخ، هذه المعرفة التي تتجلى واضحة في كتابه بابُر نامه فضلا عن فهمه العميق للأحداث التي عرض لها[١٠٠].

وهذا الولع بالتفاصيل دفعه إلى العناية بوصف ما يراه وصفا دقيقا. فيذكر مثلا ترتيب الجيش عند الخروج إلى القتال ثم يذكر أسماء القادة في كل جناح من أجنحته[١٠١]، ولا يفوته أن يذكر أبرز ما قام به أي واحد منهم من أعمال أثناء القتال[١٠٢]، وكيف قُتل أحدهم أثناء المعركة مثلا[١٠٣].

والأمر المثير للدهشة أن بابُر بدأ في تسجيل وقائعه هذه بعد عام ١٥٢٧م، وكانت بداية كتابته للأحداث بدأ من عام توليه عرش فرغانه أي عام ١٤٩٤م ومعنى هذا أنه سجلها بعد حدوثها بأكثر من ثلاثين عام، ومع هذا ذكر تفاصيل دقيقة قلّت أم كثرت أهميتها وكأنها حدثت توا[١٠٤].

كما التزم أيضا بتقديم وصف تفصلي لجغرافية المنطقة التي تحرك فيها وما فيها من جبال وأنهار وسهول ووديان وهذه العناصر صلة قوية بفهم وتفسير تحركات بابُر،

---

[١٠٠] تأكيدا لهذا الاهتمام، انظر ما كتبه بابُر عن سيرة جده يونس خان، انظر، بابُر نامه ورقة٩أ وما بعدها، وما كتبه عند من تاريخ سمرقند،انظر، بابُر نامه ورقة ٤٤ب وما بعدها.

[١٠١] مثال ذلك، انظر بابُر نامه،ورقة ٢٠٩ب وما بعدها.

[١٠٢] مثال ذلك أن بابُر لا يفوته وهو يصف معركته مع تنبل حول أنديجان أن يذكر أسماء من أجادوا في استخدام السيف، بابُر نامه ص٧٠أ، وأن آخرين أبلوا بلاء حسنا، أو صمدوا في مواجهة العدو، انظر بابُر نامه ورقة٩٣أ–ب.،

[١٠٣] انظر ما قاله حول موت أحد رجاله، بابُر نامه ورقة ٦٥ب.

[١٠٤] مثال ذلك انظر ما ذكره بابُر عن توليه عرش فرغانه عقب موت والده وما دار هذه الأثناء من وقائع، انظر، بابُر نامه، ورقة ١٥ب، ١٦أ.

فالجغرافيا كما يقولون هي ساحة التاريخ"[١٠٥].

رابعا : تدوين كل ما يراه أو يتناهى الى سمعه :

التزم بابُر بتدوين كل ما يراه أو يتناهى الى سمعه[١٠٦]، وهذا ما جعل كتابه غنيا بشتى أنواع المعلومات الشخصية والعامة وفى موضوعات متفرقه. وهذه الرغبة في تدوين كل ما يراه أو يسمعه،كانت تدفعه أحيانا إلى ترك الموضوع الأساسي الذى يسجله، ليذكر موضوعات فرعية وقد ينتقل من هذه الفرعيات إلى موضوعات أخرى تتفرع عنها، ثم يعود مرة أخرى للحديث عن الموضوع الأساسي[١٠٧]. ويحرص على يسجل فورا كل ما يتذكره أو يعرفه[١٠٨]. ولا تفسير لهذا - في تصورنا - سوى حرص بابُرعلى وصف كل ما تقع عليه عيناه وما يعرفه أو يجول بخاطره.

---

[١٠٥] مثال ذلك، انظر وصف بابر لجغرافية فرغانة، بابر نامه،ورقة ١ب وما بعدها.

[١٠٦] يقول بابر:"لقد ذكرت من قبل، ما أعرفه عن ولايات الهند وخصائص الهنود. وإذا بدى للعين بعد ذلك شيء سأكتبه. وإذا تناهى للسمع شيء سأعلنه". انظر، بابر نامه، ورقة ٢٩٣أ.

[١٠٧] مثال ذلك، عندما كان بابر يتحدث عن قراره الذهاب إلى خاله السلطان محمود خان في تاشكند، بعد أن تمكن من الخروج من سمرقند بصعوبة وتركها لشيباق خان، يذكر أنه أثناء سيره نزل بولاية "مسيخا"وهنا يقطع الحديث عن الموضوع الأساسي ليصف هذه الولاية وأهلها وما لها من أغنام وخيل، ثم يحدث عن كبير هذه القرية ثم يحدثنا عن أم هذا الرجل التي تجاوزت الواحد والعشرين بعد المائة وأحفادها ويسترسل في التفاصيل فيقول أن أحد أحفاد أحفاد هذه المرأة العجوز، كان ذو لحية حالكة السواد. ثم يعود مرة أخرى ليستأنف الموضوع الأساسي الذي كان يتحدث عنه. وهنا الاسترسال في التفاصيل إنما يدلل على رغبة بابر في تدوين كل ما تقع عليه عيناه أو يرد بخاطره مهما قل شأنه أو قلت أهميته. انظر، بابر نامه، ورقة ٩٧أ.

[١٠٨] كثيرا ما قطع بابرتسجيله لأحد المواقف الصعبة التي اعترضته ليصف لنا نوع من البطيخ، ثم يستأنف ما انقطع عن تسجيل مثال ذلك يحدثنا بابر عن ضرورة إصرار المرء على بلوغ الهدف ثم توجهه إلى خاله الخان لطلب العون، وتحركه لاقتحام قلعة "نسوخ" إحدى قلاع خوجند، وفجأة يقول:" وفى المساء وضعنا السلالم (على جدران القلعة) وشرعنا في الهجوم. وكان الوقت أوان البطيخ. وينمو في "نسوخ" نوع من البطيخ اسمه بطيخ "إسماعيل شيخي". قشرته صفراء، وقليل البذر، وهو نوع ممتاز. وبذره يشبه بذر التفاح. وله قشرة سميكة بمقدار أربعة أصابع. وطعمه لذيذ جدا. ولا يوجد بطيخ مثله في تلك الأنحاء "ثم يستأنف حديثه بنفس الاهتمام ويقول "وفي صباح اليوم التالي أثار أمراء المغول مسألة قلة عدد رجالنا، بما لا يكفي لتحقيق الاستيلاء على القلعة". انظر بابر نامه ورقة ٥٦أ وهنا نلاحظ النقلة في حديثه عن الشروع في الهجوم، ويتلوه فورا الحديث عن البطيخ.

خامسا : بساطة العرض ودقته :

استخدم بابر فى كتابة وقائع كتابه أسلوبا، يعتمد على سرد الوقائع بتفاصيلها، ووصف ما يستحق الوصف من مشاهدات أو معارك وصفا دقيقا دون محسنات لفظية أو بلاغية قد تطغى على المعنى أو تستأثر باهتمام القارئ، وهو بهذه البساطة الأسلوبية يبدو متميزا على كتاب التواريخ والوقائع فى عصره. فإذا قارنا ما كتبه بابر فى وصفه لفتح الهند، بما كتبه المؤرخ العثمانى خواجه سعد الدين[١٠٩] فى القرن السابع عشر، وهو يصف فتح استانبول فى عهد السلطان محمد الفاتح، لأدركنا الفارق الكبير بين الأسلوبين وما تميز به بابر نامه من حيث بساطة التعبير وجمال العبارة فى الوقت نفسه[١١٠].

سادسا : تناول الفترة الزمنية التى يؤرخ لها بشكل مباشر ودون تمهيد :

اختص منهج بابر بمزية تجعله مختلفا عن معظم كتاب التاريخ المعاصرين له،هذه المزية هى تناوله موضوع كتابه بشكل مباشر دون تمهيد، فبدأ كتابه بالحديث عن توليه عرش فرغانه، دون كتابة أى مقدمات[١١١]. وهو بهذا يختلف عن كثير من المؤرخين

---

[١٠٩] خواجه سعد الدين، هو المؤرخ العثماني سعد الدين صاحب المصنف المعروف باسم تاج التواريخ، وهذا الكتاب المشار إليه يتضمن تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى وفاة السلطان سليم. انظر، خواجه سعد الدين، تاج التواريخ، استانبول ١٢٧٩هـ. ومما هو جدير بالذكر أن خواجه سعد الدين من كبار المؤرخين العثمانيين ومن أشهرهم، وجاء بعد بابر بحوالي قرن من الزمان، ومع ذلك يبدو أسلوب بابر أكثر بساطة ووضوحا وعبارته أكثر جمالا.

[١١٠] يصف الدكتور حسين مجيب المصري أسلوب سعد الدين بقوله: "وهذا المؤرخ يحبس عنايته على تزويق العبارة، ويستعرض تمكنه من ناصية اللغة، وتفقهه في أساليبها". انظر، حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، ط١، دار الفكرة، القاهرة ١٩٥٠، ص٢٨٦.

[١١١] بدأ بابر تسجيل وقائعه بقوله: "اعتليت عرش السلطنة في ولاية فرغانة في يوم الثلاثاء الخامس من رمضان من عام ثمانمائة وتسع وتسعين وأنا في الثانية عشر من عمري". انظر، بابر نامه، ص ١ب.

المسلمين الذين درجوا على التمهيد لكتبهم بذكر تاريخ البشرية منذ آدم عليه السلام مرورا بتواريخ الأنبياء والرسل حتى يصل إلى الفترة التى يود الكتابة عنها، مثلما فعل جنابى فى تاريخه المعروف باسم " العيلم الزاخر فى أخبار الأوائل والأواخر"، وغياث الدين خواندمير فى كتابه " حبيب السير فى أخبار أفراد البشر"[١١٢]. كما يختلف بابر فى منهجه الزمنى عن بعض المؤرخين المسلمين الذين أرخوا لدولة واحدة مثلما فعل سعد الدين فى كتابه تاج التواريخ فقد أرخ منذ قيام الدولة العثمانية حتى زمن السلطان سليمان القانونى، أو كما فعل المؤرخ المصرى إبن أبى السرورالبكرى الذى كان يبدأ تواريخه دائما من بداية الخليقة كالمؤرخين التقليديين[١١٣].

سابعا : الحرص على إبداء الرأى فى الوقائع :

لم يستغرق بابر فى ذكر وقائعه أو تدوين سيرته كما هى فقط، إنما عرض لنا عرضا شاملا لجريات الأحداث فى منطقته خاصة تلك التى تتعلق بالبيت التيموري. وهذه الأحداث كتبها بابر ولم يغفل إبداء رأيه فيها بما يعبر عن فلسفة التاريخ عنده ورؤيته التاريخية. فقد عاصر بابر إنحسار سلطة التيموريين عن بلاد ما وراء النهر وخراسان وضياع ملكهم هناك وانتقاله إلى يد الأوزبك، لهذا حرص أن يفسر هذه الوقائع بذكر أسبابها وربط بينها وبين انهيار الدولة التيمورية.

[١١٢] انظر، حربي أمين سليمان، المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٥٠ ، ٥٦.

[١١٣] ابن أبي السرور البكرى مؤرخ مصرى عاش فى النصف الأول من القرن السابع عشر(١٥٩٦–١٦٥٠م)، صاحب المصنف المعروف باسم "الكواكب السائرة فى أخبار مصر القاهرة". انظر، ليلي عبد اللطيف أحمد، دراسات فى تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، القاهرة ١٩٧٩، ص١٣١.

من هذه الأسباب :

١) انهيار الجانب الأخلاقى لدى الأمراء التيموريين فى أواخر عهدهم[١١٤] .

٢) شتات أمر التيموريين وعدم توحدهم أمام الأوزبك[١١٥] .

٣) تفشى المظالم فى بلاط بعض الأمراء التيموريين مما عجل بانهيار فى بعض الولايات[١١٦] .

٤) تنازع الأمراء التيموريين فيما بينهم[١١٧] .

٥) عدم معرفة السلاطين التيموريين أو خانات المغول بما يقوم به بعض أمرائهم من أفعال تُذهب بهيبة واحترام السلاطين والخانات[١١٨] .

٦) إرجاع كل الأمور إلى الله بعد ذكره الأسباب[١١٩] .

---

[١١٤] ، ويقول بابر فى وصفه للحياة الأخلاقية عند الأمراء التيموريين فى أخريات أيام الدولة التيمورية : "أطلق هؤلاء الأمراء العنان لشهواتهم ومتعتهم، فلم يردعهم اقتراب سلطان عاقل ومجرب مثل والدهم، إلى مسافة نصف يوم منهم، أو دخول شهر عزيز مبارك كشهر رمضان، من الانغماس فى الخمر والمتعة واللهو بغير حياء من والدهم أو خوف من الله. وبلا شك فإن رجال هذا دأبهم لابد وأن تحل بهم هزيمة كهذه، وأن تؤول بكل من على شاكلتهم "انظر بابرنامه، ورقة ٤١ب.

[١١٥] "يصف بابر تخلى الأمراء التيموريين عن مساعدته أثناء محاصرة الأوزبك له فى سمرقند عاصمة التيموريين العريقة بقوله: "أرسلنا السفراء والرجال مرارا إلى الأطراف والجوار دون جدوى، فلم تلق من أحدهم مساعدة أو عونا. فأولئك الذين امتنعوا عن مساعدتنا فى أوقات الرخاء والقوة، كيف لهم أن يساعدونا فى هذا الوقت العصيب ... ونحن ننتظر العون والمساعدة من الأطراف والجوار، بينما كل واحد منهم فى واد. "،"أما السلطان حسين ميرزا (بايقرا) وهو سلطان مجرب، فلم يأت أحد من عنده قط، رغم أنه خير من يعرف أفعال وأطوار شيباق خان،... بل لم يرسل لنا سفيرا ليشد من أزرنا وهى مساعدة معنوية، كذلك لم يأت أحد من عند بديع الزمان ميرزا "انظر بابرنامه، ورقة ٨٨أ،٩٤].

[١١٦] يقول بابر فى هذا أن حكم السلطان محمود ميرزا فى سمرقند لم يستمر لأكثر من خمسة شهور من جراء ظلمه وفساده. خاصة وأن أمراءه وكل رجاله ساروا على نفس منواله ظلما وفسوقا، فاختل ميزان العدالة مما عجل بزوال حكمه. انظر بابرنامه، ورقة٢٣ب–٢٤].

[١١٧] يعبر بابر عن رؤيته أن بعض صغائر الأمور قد تثير الخلافات بين أمراء الأسرة الحاكمة الواحدة إلى الحد الذين يصرفهم من التصدى للخطر الحقيقى الذى يتربص بهم الذى يتمثل فى الأعداء الغرباء، كما حدث بينه وبين أبناء السلطان حسين بايقرا. ويقول فى هذا الصدد بقوله: "إن النزاع يلحق بالأسر العريقة "انظر، بابر نامه، ورقة٢٠٨].

[١١٨] انظر، بابر نامه، ورقة ٨٩أ].

[١١٩] اهتمام بابر بالنظر فى الأسباب لا يحول دون تعبيره عن يقينه بأن الأمر كله، وزوال الملك والقوة بيد الله. ويفسر ما ألم ببعض رجال التيموريين الأشداء وانكسارهم أمامه وهو فى الموقف الضعيف، فسيرا إيمانيا ويردد الآية

ترجمة بابُر نامة إلى اللغات الشرقية والأوروبية

تُرجمت بابُر نامة إلى الإنجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية والأوردية وإلى التركية الحديثة عن التركية الجغتائية وإلى الروسية والالمانية. وأقدم هذه الترجمات هى الترجمة الفارسية.

أولا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الفارسية :

١) أقدم الترجمات إلى الفارسية هى الترجمة الموجودة فى المكتبة الوطنية فى طهران تحت رقم ٦٧٩ ضمن كليات بابُر ومدون عليها ما يفيد أن ترجمتها تمت أثناء حياة بابُر. وهذه الترجمة تكرر طبعها الآن باللغة الفارسية وهى الأساس للترجمات التى تمت إلى اللغات الأوروبية[120].

٢) الترجمة الفارسية التى قام بها باينده حسن الغزنوى ومحمد قولى مغول الحصارى بأمر من بهروز خان وبدأت ترجمتها سنة ١٥٨٦م.

٣) الترجمة الفارسية التى قام بها عبد الرحيم خان بن بايرام خان سنة ١٥٩٠م بأمر أكبر شاه حفيد بابُر والتى يُعتقد أنها ترجمة طبق الأصل لنسخة

--- القرآنية "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علي كل شيء قدير"(سورة آل عمران الآية رقم ٢٦). يقول بابُر "إن الله لقوى قدير. فهذا الرجل (خسرو شاه) كان له من الأتباع حوالى عشرين أو ثلاثين ألفا وكانت له السيادة الكاملة على ولايات السلطان محمود ميرزا وكانت غطاغطة رجاله تدفعنا للارتحال من مكان إلى مكان، وها هو ذا فى يوم ونصف اليوم، يصبح فى موقف ذليل وحقير وعاجز امام مالئ أو مالق وحسين رجلا فقراء مهزومين مثلنا"انظر، بابُر نامه، ورقة ١٢٤-ب.

[120] Reşit RahmetiArat,(Gazi Zahiriddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren izahlı indeksi ve notları hazırlayan Reşit Rahmeti Arat önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur, türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946,) de s.141,

حيدر آباد التى نشرتها السيدة بفريدج بعد ذلك"[١٢١] . وهذه الترجمة مزودة بمنمنمات فى بعض أجزائها وطبعت فى بمباى سنة ١٨٩٠ م = ١٣٠٨هـ باسم "بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى" . وهى الترجمة التى اعتمد عليها وليم ارسكين وجوهان ليدن فى ترجمتهما للنص إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٨٢٦م"[١٢٢] .

وهذه الترجمة الفارسية الأخيرة التى تمت فى عهد أكبر خان"[١٢٣] وهى الترجمة التى اطلعت عليها وحسبما تبين لى بعد النظر فيها أنها ليست مطابقة تماما للنص الجغتائى الأصلى فى بعض أجزائها، مثال ذلك قول بابر : " عندما حاصر السلطان حسين ميرزا قوندوز"[١٢٤] فقدجاءت فى الترجمة الفارسية " وعندما أمعن السلطان حسين ميرزا القتل فى قوندوز "[١٢٥] . كما أغفلت الترجمة الفارسية أيضا ترجمة الأوراق من ١١٨ب إلى مطلع الورقة ١٢٠أ من النص الأصلى ، وهى الأوراق التى تتضمن أداء بابر للصلاة ورؤيته للشيخ عبيد الله فى المنام يبشره بالنصر، وقراره الذهاب إلى خراسان"[١٢٦] .

ثانيا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الإنجليزية :

ترجمت بابر نامه إلى اللغة الإنجليزية ترجمتان :

---

[١٢١] انظر، Fernand Grenard.a.g.e.,s.205.

[122] Omer Faruk Akun. a.g.e.,s.407.

[١٢٣] انظر، بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى، وهى نسخة من الترجمة التى تمت فى عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملكها ميرزا محمد شيرازى، المكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ١٢٢٥٠.

[١٢٤] بابر نامه ورقة ١٢٩أ.

[١٢٥] انظر، بابر نامه ، موسوم به توزك بابرى ، ص ١٩.

[١٢٦] انظر، بابر نامه، موسوم به توزك بابرى ، ص ٤٥.

الترجمة الأولى ؛ هى الترجمة التى قام بها كل من ؛ و. ارسكين وجوهان ليدن وصدرت فى لندن عام ١٨٢٨ م وهى ترجمة عن الترجمة الفارسية التى قام بها عبد الرحيم خان سنة ١٥٩٠م. وأعادت أكسفورد نشر هذه الترجمة مع تعليقات سنة١٩٢١م قام بها سير لوكاس كنج. كما صدر مختصر لهذه الترجمة قام بإعداده كالدكوت وصدر فى لندن عام ١٨٤٤م.

الترجمة الثانية ؛ كانت الترجمة الثانية لبابر نامه إلى اللغة الإنجليزية، عن النص الجغتائى المعروف باسم نسخة "حيدر آباد"[127] وليس عن الفارسية كالترجمة الأولى، وقامت بها أ. س بفريدج وصدرت فى لندن فى ثلاثة أجزاء الأول منها الخاص بوقائع فرغانه، صدر عام ١٩١٢م، والثانى الخاص بوقائع كابل صدر سنة ١٩١٤م، ثم الجزء الثالث الخاص بوقائع الهند وصدر عام ١٩١٧م. وصدرت الترجمة كلها فى جزئين فى لندن سنة ١٩٢١م.

وقد مهدت السيدة بفريدج لهذه الترجمة بمقدمة وأضافت إليها عناوين جانبية لتوضيح النص. كما حاولت سد الفراغ الناتج عن فقد بعض أجزائها من مصادر أخرى للربط بين الأحداث.

---

127 من المعرف أنه يوجد لبابر نامه نسختان واحدة تعرف باسم نسخة قازان، والأخرى وهى الأكمل وتعرف باسم نسخة حيدر آباد. انظر،ما كتبه رشيد رحمتى ارات فى هذا الصدد فى تقديمه لنص بابر نامه الذى قام بنقله من الجغتائية إلى اللغة التركية الحديثة،

Reşit Rahmeti Arat,a.g.e.,s.140

ويقول ستانلى لين بول إحدى نسخ بابر نامه كانت فى حوزة حيدر دوغلات إبن عم بابر وهذه النسخة ربما يكون قد حصل عليها أثناء زيارته للهند فى السنوات العشر التالية لوفاة بابر. ونسخة أخرى تعتبر بمثابة النسخة الأصلية للنص، وربما تكون منسوخة عن النسخة الأصليةالتى كتبها بابر بنفسه، وهذه النسخة كتبها ابنه همايون فى عام ١٥٥٣. وهى المعروفة باسم نسخة حيدر اباد. انظر:

Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899,p.14.

وتذكر السيدة بفريدج أن هذه الترجمة تمت عن النسخة الجغتائية المعروفة باسم نسخة "حيدر آباد"، والتى سبق لها أن نشرتها نشرا مصورا سنة ١٩٠٥م بمناسبة ذكرى المستشرق "جب"، وهذا النشر يتضمن فى نهايته فهرسا لأسماء الأعلام وآخر لأسماء الأماكن. ورغم هذا النشر ومعرفتها بالمخطوط لم تلتزم السيدة بفريدج بترجمة كل ما جاء فى هذه النسخة، حيث أغفلت فى الجزء الخاص بوقائع فرغانه حوالى أربع صفحات كاملة هى الصفحات من ١١٨ب إلى الفقرة الأولى من ١٢أ[١٢٨]. وهو نفس ما حدث فى الترجمة الفارسية التى تمت فى عهد أكبر خان عن نسخة حيدر آباد. ولعلها اعتمدت على الترجمة عن الفارسية اعتمادا كبيرا وليس على النص التركى مباشرة، حيث أن الترجمة الفارسية تتفق معها فى هذا الحذف. ورغم هذا فترجمتها الإنجليزية تحوى على تعليقات هامة جدا.

ثالثا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الفرنسية :

ترجمت بابر نامه إلى الفرنسية ترجمتان :

الترجمة الأولى ؛ وقام بها "باوه دوكورتى" وهى ترجمة للنص الذى اكتشفه " إيلمنسكى " من بابر نامه، ونشره سنة ١٨٥٧م والمعروف باسم "نسخة قازان"[١٢٩]. وهذه الترجمة الفرنسية، هى أول ترجمة لبابر نامه عن الجغتائية إلى

---

128 Annetta Susannah Beveridge. Babur Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text. Delhi. 1970.
وهى ترجمة السيدة بفريدج لبابر نامه إلى الأنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٨٢، مقارنة بالنص الجغتائى ورقة ١١٨ب.

129 Stanley Lane - poole.Rulers of India,p.15.

اللغات الأوروبية. وصدرت في باريس سنة ١٨٧١ م في مجلدين [١٣٠].

والترجمة الثانية؛ صدرت في باريس سنة ١٩٨٥م عن النص الجغتائي لبابُر نامه المعروف باسم نسخة حيدر آباد. وقام بها جان لويس باكي جرامون. وهذه الترجمة من إصدارات مجموعة الشرقية في المطبعة الوطنية في باريس [١٣١].

وقد جاءت هذه الترجمة في مجلد واحد في طبعة فاخرة في ورق مصقول من القطع الكبير وغلاف أنيق، كما ازدانت بمجموعة كبيرة من الصور الملونة المعروفة بالمنمنمات، تعبر عن مواقف مختلفة من حياة بابُر. وصور أخرى فوتوغرافية للمنطقة التي تدور فيها وقائع الكتاب.

ولهذه الترجمة تقديم في صفحة واحدة كتبها الناشر، ثم مقدمة للمترجم في عشر صفحات. وقد وضّح المترجم الفرنسي في المقدمة أن هذه الترجمة اعتمدت على ثلاث مخطوطات:

المخطوطة الأولى، عبارة عن نسخة لبابُر نامه تم نسخها في القرن الثامن عشر وموجودة في مكتبة حيدر آباد وتقع في ٣٨٢ ورقة وتحتوي النص بأكمله.

المخطوطة الثانية، وهي نسخة مخطوطة من بابُر نامه، تعروف باسم "نسخة الفنستون". والفنستون هذا هو حاكم بومباي سنة ١٨٠٨ م. وهذه النسخة موجودة في المكتبة الوطنية في ادنبره باسكوتلانده وتقع في ٢٧٢ ورقة تحت رقم ٣.١٨. ١٨، وبها تعليقات في الهوامش يرجح أنها لهمايون بن بابُر.

130 Ömer Faruk Akun.a.g.e..c.4, s.407/3.

131 Le Livre De BABUR.Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduir du turc tchagatay par Jean Louis BACQEÜ GRAMMONT.paris 1985.

المخطوطة الثالثة ، وهى مخطوطة لبابر نامه تعروف باسم "مخطوطة طهران" مودعة فى المكتبة الوطنية بطهران. وهذه المخطوطة بها تعليقات ويتصور - المترجم الفرنسى - أنها منقولة عن النص الأصلى لبابرنامه، أى قبل نسخة حيدر آباد "[132].

وقد ذيل المترجم الفرنسى هذه الترجمة بجداول تبين نسب التيموريين وملحق بنموذج للخط البابري الذى ابتكره بابر ثم فهارس للأشخاص والأماكن "[133].

أما عن منهج المترجم - حسب قوله- إنه اهتم بترجمة الأسلوب بدقة أكثر من اهتمامه بترجمة اللفظ"[134]، وقد قام بوضع عناوين جانبية للنص تعين على تتبعه، كما وضع تعليقات للتعريف بالأشخاص والأماكن. واستعان بكتابات معاصرة كتبها مؤرخون معاصرون لبابر شاه، ليسد بها الفراغ الذى نتج عن السنوات المفقودة من الكتاب، بغرض إعطاء فكرة متكاملة عن الأحداث"[135].

رابعا : ترجمة بابر نامه إلى اللغة الأوردية :

ترجمت بابر نامه إلى الأوردية أيضا ترجمتان :

الترجمة الأولى : وقام بها ميرزا ناصر الدين وصدرت فى دلهى سنة ١٩٢٤م،

الترجمة الثانية : وقام بها رشيد أخطر الندوى وصدرت فى لاهور عام

---

[132] انظر . Jean Louis BACQEÜ GRAMMONTp. 23.

[133] لمنا بوصف هذه الطبعة الفاخرة للترجمة الفرنسية لبابر نامه من واقع إطلاعنا عليها.

[134] JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT p.18.

[135] JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT p.15.

١٩٦٩م باسم توزك بابری"[١٣٦].

خامسا : ترجمة بابُر نامه إلى اللغات الأوروبية الأخرى :

تُرجمت بابُر نامـــه إلى اللغـة الألمانيـة، وصدرت فى ليبزج عام ١٨٢٨ م، وهـذه الترجمـة جاءت عن النص الإنجليـزى الذى قـام بها ليـدن ، وهـذا النص مُتَرجم عن الفارسية. كما تُرجمت إلى الروسية وصدرت الترجمة فى تاشكند سنة ١٩٥٨م"[١٣٧].

سادسا : ترجمة بابُر نامه إلى اللغة التركية الحديثة :

واقع الأمر أنها ليست ترجمة بالمعنى الدقيق لكنها تحويل لنص بابُر نامـه من اللغـة التركيـة فى اللهجـة الجغتائيـة إلى اللغة التركيـة الحديثة التى يستخدمها أتراك تركيـا اليـوم لكننا تجاوزا سنستخدم لفظ الترجمـة. .والترجمـة التركيـة للنص هـى الترجمة الوحيدة له فى اللغة التركية الحديثة. قام بها عن الجغتائية البروفيسور رشيد رحمتى ارات عن النسخة الجغتائية المعروفة باسم نسخة حيدر آباد التى نشرتها السيدة بفريدج نشرا مصورا سنة ١٩٠٥م، وقد صدرت هذه الترجمة عن المجمع التاريخى التركى فى عامى ١٩٤٣، ١٩٤٦م فى مجلدين برقم ٥ أ. ب من السلسلة الثانية "[١٣٨].

136 ömer Faruk Akun,a.g.e.,.s.407, 408.

137 ömer Faruk Akun,a.g.e.,.s.407, 408.

138 Gazi Zahirüddin Muhammed. Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazán Y.Hikmet Bayur,türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946.

إختص الجزء الأول من الترجمة بوقائع فرغانـــــه، تسبقها مقدمة للمجمع التاريخى التركى، تبين أهمية ترجمة هذا العمل، ثم مقدمة تاريخية عن التيموريين كتبها المؤرخ التركى المعروف حكمت بايور. أما الجزء الثانى من الكتاب فيتضمن وقائع كابل والهند ثم فهرسا للأسماء والأماكن الواردة فى النص مع تعريف بها مأخوذ من النص نفسه، ثم تعريف بالكلمات الإصطلاحية الواردة فى النص ومفهومها من خلال النص، ثم فهرسا آخر لأبيات الشعر الواردة فى النص سواء التى نظمها بـــابُر أو التى استخدمها لشعراء آخرين.

أما منهج المترجم، فقد التزم تماما بالنص الجغتائى وإن لجأ أحيانا إلى تقطيع الجملة، حسب الفهم التركى لسياقها. ولم يحاول المترجم التركى أن يضيف أى تعليقات أو حواشى على النص بل نشره كما هو، كذلك لم يقم بوضع أى عناوين جانبية له ليخرج النص كما كتبه بابُر دون أى محاولة للتدخل فى سياقه أو تقريبه لفهم القارئ من خلال العناوين الجانبية التى توضح له انتقال بـــابُر من نقطة إلى أخرى أو العودة للحديث عما انصرف عنه قبل صفحات. كما لم يعمل على سد الفراغ الناتج عن فقدان بعض أجزائها على غرار ما حدث فى الترجمتين الفرنسية والإنجليزية، ولم يعقد أى نوع من المقارنة بين هذه الترجمة وغيرها من الترجمات السابقة لترجمته فى اللغات الشرقية أو الغربية.

وقد صدرت عدة طبعات مبسطة لهذه الترجمة التركية، جاءت قاصرة على النص المترجم فقط دون المقدمتين والفهارس، وهى بمثابة طبعات شعبية للكتاب.

سابعا : ترجمتنا بابُر نامه إلى اللغة العربية :

يسّر الله لنا القيام بترجمة بابُر نامــه إلى اللغة العربيـة. وهو إجتهاد نأمل أن ينال أجر الاجتهاد. وقد اعتمدنا في هذه الترجمة بصفة أساسية على الترجمة التركية التى أعدها رشيد رحمتى آرات، وعلى النص الجغتائى المعروف بنسخة حيدر آباد الذى اعتمدت عليها الترجمة التركية، وأطلعنا على الترجمة الإنجليزية التى قامت بها السيدة بفريدج، وأيضا على الترجمة الفارسية التى تمت فى عهد أكبر خان وقام بها عبد الرحيم ميرزا إبن بيرام خان عام ١٩٥٠م.

والتزمنا فى ترجمتنا هذه بمنهج أساسى يعتمد على ترجمة العبارة التركيـة ومقارنتها بما يقابلها فى الجغتائية والإنجليزية مع الرجوع إلى الفارسية فـى مواضـع الاختلاف للتأكد من دقة الترجمة. وأوضحنا ما بدا لنا من اختلافات فى الحاشـية، والتزمنا فى كتابة الأسماء بالشكل الإملائى الذى وردت به فى النص الأصلى المكتوب بالحروف العربية مع الإشـارة فى الحاشية إلى شكل الإملاء العربى للإسم فى حالة الاختلاف بين الشكلين.

ولأن النص الأصلىّ لبابُر نامــه نصا سرديا، ينتقل فيه بـــابُر من نقطة إلى أخرى دون تمهيد، وقد ينتقل من الموضوع الأصلى للحديث عن نقاط أخرى فرعيـة أو تفصيلية لما ذكره إجمالا، لهذا فإن تتبع الموضوعات كما ذكرها بـــابُر تحتاج إلى تركيز وإعمال ذهن كبيرين، لهذا رأينا أنه من الأيسر للقارئ، أن نضع عناوين جانبيـة للنـص يسترشـد بـها فـى فـهم النـص، وتبـين انتقـال المؤلـف مـن نقطـة إلى أخرى، وهذا المنهج نفسه هو ما التزمت به الترجمة الإنجليزية والفرنسية للنص، وإن لم

نلتزم بالعناوين الجانبية التى جاءت فى الترجمتين وإن تصادف أن جاء بعضها متشابها نتيجة وحدة النص .

كما أن جميع الحواشى والتعليقات على الترجمة هى من جهد المترجم. حيث أن النص الأصلى جاء خلوا منها وقد اعتمدنا فى هذه التعليقات على عدد من المراجع المتخصصة نشير إليها فى قائمة المراجع .

وقد تحرينا فى هذه الترجمة المحافظة على دقة العبارة لفظا ومعنى فى آن واحد ، ولم نحاول التدخل كثيرا فى سياق العبارة لشرح المبهم من ضمائرها ، وأشرنا إلى المقصود منها فى الحاشية باستثناء مواضع قليلة أضفنا فيها أسماء مقصودة ضمنا من سياق الحديث ووضعناها بين قوسين . وستتضمن الترجمة فى نهايتها بإذن الله فهرسا للأشخاص والأماكن حتى تتم الفائدة من الكتاب .

وقائع فرغانه

يمكن تقسيم وقائع بابُر نامة تبعا لأماكن جريانها إلى ثلاثة أقسام هى :

١) وقائع فرغانه (٨٩٩ : ٩٠٨هـ = ١٤٩٤ : ١٥٠٣م) .

٢) وقائع كابل (٩١٠:٩٢٦هـ = ١٥٠٤ : ١٥٢٠م) .

٣) وقائع الهند (٩٣٢:٩٣٥هـ = ١٥٢٥ : ١٥٢٩م) .

أما وقائع فرغانه فتجرى فى منطقتين أساسيتين هما فرغانـــه وما حولها وسَمَرقَند وما حولها ، ولكى يمكننا تفهم المنطقة التى تدور فيها هذه الوقائع يحسن بنا أن نتعرض لتعريفها تعريفا موجزا .

أولا : وصف فَرغانه

فَرغانه، إحدى مدن أوزبكستان الحالية وهى مدينة عريقة ذكرها بطليموس الجغرافى بهذا الاسم، وهو نفس الاسم الذى استخدمه الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى[139]. وصفها ياقوت الحموى فى مطلع القرن السابع الهجرى بقوله : "فَرغانه " مدينة وكُوْرة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان، بينها وبين سَمَرقَنْد خمسون فرسخا "[140] ووصفها بأنها " واسعة الرساتيق "، وقال الإصطخرى فى مطلع القرن الرابع الهجرى أى العاشر الميلادى عن فَرغانــه، إنها " إقليم عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وليس بما وراء النهر أكبر من قرى فرغانـــه. وليس بفرغانه مدينة إلا ولها قلعة ومدينة محصنة وبساتين ومياه "[141] ويعد لنا المقدسى من مدن فَرغانه وقراها أربعين بمسجد وجامع، ويبدو لنا واحدا وثلاثين إسما للمدن باستثناء العاصمة "[142]. بينما قال عنها بابُر شاه فى مطلع القرن السادس عشر إنها "ولاية صغيرة ... فى طرف المعمورة"[143].

ويبدو أن الأقاليم الجغرافية اختلفت على مر العصور، فبينما قال بطليموس :

---

[139] شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتي وتعبير اصحله كافة اسماء خاصه يي جامعدر، معارف نظارت جليلة سي طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ، ج٥، ص٣٣٩٥.

[140] ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، ط١، القاهرة ١٩٠٦، ج٦، ص٣٩٤.

[141] الظرابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيـــنى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦١، ص ١٨٦.

[142] فاسيلي فلاديميروفتسس بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمـــان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١، ص٢٧٦.

[143] انظر، بابرنامه ورقة ١ب.

"إنها من الإقليم السادس تحت إحدى وعشرين درجة من مدار السرطان "[١٤٤]، قال بابُر : " إنها من الإقليم الخامس ، وقال إبن خلدون : " إنها فى الجزء الثامن من الإقليم الخامس"[١٤٥].

وفرغانه مدينة عامرة "كثيرة الخير"[١٤٦]، "محاصيلها وفاكهتها كثيرة" وتتنوع فيها أشجار الفاكهة، فتنمو فيها أشجار التفاح والكمثرى والخوخ والمشمش والفستق واللوز والرمان، وستة عشرَ نوعا من الكروم، وبها نوع من البطيخ يتميز بحجمه الكبير ومذاقه اللذيذ"[١٤٧]. كما توجد بها معادن الذهب والفضة والفيروز والحديد والرصاص والزئبق، وأخيرا فإن فرغانه إحدى بلاد الإسلام القليلة التى كان يستخرج منها ملح النوشادر"[١٤٨].

وموقع فرغانه كما وصفها بـابُر فى مطلع القرن السادس عشر يحيطها من الشرق كاشغر، ومن الغرب سَمَرقَنْد، وجنوبها الجبال التى تشكل حدود بدخشان. أطرافها جبلية، ولا توجد جبال فى الناحية الغربية التى تقع فيها كل من سَـمَرقَنْد وخجنـد ولا يستطيع العدوان أن يأتى إليها فى الشتاء من أى مكان قط غير هذه الجهة الغربية"، وهذه الناحية الغربية توصف بأنها بوابة فرغانـــه. ونهر سـيحون المشهور باسم مـــاء خجنـــد يأتى من شمال شرق هذه المنطقة، ويمر منها ويسيل

---

[١٤٤] انظر، معجم البلدان، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣٦٤.

[١٤٥] بابُر نامه،ص٩ب.

[١٤٦] انظر، معجم البلدان، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣٦٤.

[١٤٧] انظر، قاموس الأعلام، مرجع سبق ذكره،ج٥، ص٣٣٨٤.

[١٤٨] انظر، بارتولد، تركستان، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.

نحو الغرب "[149].

وفرغانه عبارة عن وادي يتراوح ارتفاعه بين مائتي إلى خمسمائة متر تحيط به الجبال العالية من جهات ثلاث ويبلغ ارتفاع الجبال الجنوبية منها المعروفة باسم جبال " الآطاغ " حوالى خمسة آلاف مترا . وبين الجبال الشمالية والجنوبية يقع وادي سيحون، ويقطع فرغانــه من الشرق إلى الغرب نهر " نارين " فتترامى على ضفتيه السهول الواسعة"[150]، وهذا النهر يعتبره الجغرافيون هو عمود نهر سيحون الأكبر والأكثر ماءً . والمنطقة الواقعة بين نهري نارين وقراداريا ذكرها الإصطخري وابن حوقل باسم "ميان روزان " أي مابين النهرين أوالمائين، وهي التي يسميها الأتراك " ايكي صواراسي"[151] .

ويتنوع المناخ في فرغانه، فالثلوج تكسو قمم الجبال في الشتاء ، وتسقط فيها الأمطار بغزارة في الربيع والصيف ، فتنمو على أثرها الحشائش الطويلة وتكسو جبالها . أما المناطق المستوية من فرغانــه ، خاصة في وادي سيحون، فترتفع فيه درجة الحرارة في الصيف فتصل ٤٠ درجة مئوية ، وفي الشتاء تصل البرودة إلى ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر"[152] . أما عند هبوب الرياح فتكون الجبال المحيطة بالوادي بمثابة الوقاية له من تأثير الرياح صيفا وشتاء.

كانت فرغانه في عصور الإسلام الأولى معمورة للغاية، وارتقت فيها العلوم

---

[149] انظر، بابرنامه، ورقة١ب.

[150] انظر، قاموس الأعلام، مرجع سبق ذكره، ج٥، ص ٣٣٩٣، ٣٣٩٤.

[151] انظر، بارتولد، تركستان، مرجع سبق ذكره،ص٢٦٦.

[152] انظر، قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٣٩٤.

والمعارف وبلغت شأوا بعيدا ونشأ فيها الكثيرون من العلماء المشهورين فى شتى فروع العلوم"[١٥٣].

ثانيا : وصف سمرقند .

سمرقنـــد، إحدى مدن أوزبكستـــان الحالية وهى مدينة عريقة، ذكرها الجغرافيون العرب أيضا باسم سَـمَرقَنْد وقيل عنها سُمْران وقيل عنها أيضا المدينة المحفوظة، لأنه مهما بلغت قوة عدوها وتفوقه لا يمكنه أن يستولى عليها "[١٥٤]، وأقوام المغول والترك يسمونها "سميز كند" أى المدينة الغنية"[١٥٥]. ويقول ياقوت الحوى : إنها " فى الإقليم الرابع طولها تسع وثمانون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف"[١٥٦]، بينما يقول بابُر : إنها "من الإقليم الخامس. طولها تسع وتسعون، ورمز نجومها ست وخمسون درجة ودقيقة، وعرضها ثلاثون درجة ودقيقة وعاصمتها سَمَرقَنْد ويطلقون على ولايتها اسم ما وراء النهر"[١٥٧]، "واستدارة حائطها إثنا عشر فرسخا، ولها اثنى عشر بابا من الباب للباب فرسخ وعلى أعلى السُّعُد آزاج وأبرجة للحرب والأبواب الإثنا عشر من حديد"[١٥٨]. وقد أمر بـابُر بقياس سور

---

[١٥٣] مثل أحمد بن كثير الفرغاني، أحد علماء الفلك والرياضيين المشهورين، وهوالذى أنشأ مقياس النيل فى مصر. قاموس الأعلام، ج٥، ص ٣٣٩٥. كما أن الشيخ برهان الدين علي صاحب كتاب الهداية فى الفقه من قرية تسمى رشتدان من توابع مرغيتان فى فرغانه.انظر، بابُر نامه ورقة ٣ب.

[١٥٤] انظر، معجم البلدان، ج٥، ص١٢١، ١٢٢، بابُر نامه ورقة ٤٤ب..

[١٥٥] انظر، بابُر نامه ورقة ٤٤ب.

[١٥٦] انظر، معجم البلدان، ج٥،ص ١٢٢.

[١٥٧] انظر، بابُر نامه، ورقة ٤٤ب.

[١٥٨] انظر، معجم البلدان، ج٥، ص١٢٢.

قلعتها في عهده فوجده عشرة آلاف وستمائة خطوة"[159]. يصفها بــابُر بانها "مدينة جميلة، قلّ أن توجد في الدنيا مدينة بجمال سَمَرقَنْد"[160].

كانت سَــمَرقَنْد في مطلع القرن الرابع الهجري كما يصفها الاصطخري، "فُرضة ما وراء النهر ومجمع التجار، ومعظم جهاز ما وراء النهر يقع بسَــمَرقَنْد ثم يتفرق إلى سائر الكور" و" ليس من سكة ولا دار فيها إلا وفيها ماء جار إلا القليل، وقل دار تخلو من بستان، حتى إنك إذا صعدت أعلى. قهندزها (يقصد قلعتها) لم تبد المدينة للنظر لاستارها بالبساتين والأشجار"[161].

ويصفها الشريف الإدريسي في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي فيقول: إن سَــمَرقَنْد " مدينة حسنة كبيرة على جنوبي وادي السُّغْد"[162]، وقصبة السُّغْد سَــمَرقَنْد. وهي مدينة لها شوارع ومجالات متسعة ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات وخانات، وعليها سور تراب منيع يطوف بها خندق، وهي كثيرة الخصب والنعم والفواكه"[163]

"ويكثر عدد الأنهار برستاق سَمَرقَنْد لكثرة قراها وتعدادها وربما كان للقرية الواحدة منها نهران أو ثلاثة، ويكثر في المدينة انشعاب الأنهار الصغار بحسب عدد

---

[159] انظر، بابُر نامه، ورقة ٤٤ ب.

[160] انظر، بابُرنامه، ورقة ٤٤ ب.

[161] انظر، الإصطخري المسالك والممالك، ص ١٧٨.

[162] وتكتب أيضا السغد بضم أوله وسكون ثانيه وآخر دال مهملة ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار، متجاوبة الأطيار، مونقة الرياض والأزهار وملتفة الأغصان، خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة، وقصبتها سمرقند. معجم البلدان، ج٥، ص ٨٦.

[163] الشريف الأدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ج١، ص٤٩٧.

الدور والبرك والبساتين والقصور، ومن أطل من شرف على وادى السغد لم ير إلا خضرة ممتدة لايتخللها إلا قصرا أو قلعة"[١٦٤].

عاشت سَمَرقَنْد عصرها الذهبى بعدما اتخذها تيمور لنك عاصمة له فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى، ولم يسبقه سلطان فى اتخاذ سَمَرقَنْد عاصمة له، واستمر حالها فى ازدها فى زمن خلفاؤه من التيموريين فأنشأوا فيها المدارس والخانقاوات والمساجد والتكايا والحمامات وأشهر مبانيها المرصد الذى شيده اولغ بك فى سطح تل كُهَك، وزينوها بالحدائق والبساتين. وأهل سَمَرقَنْد كما يقول بابُر : "كلهم سنيون، أتقياء العقيدة، ملتزمون بالشريعة، ومتدينون، وقد خرج منها عدد كبير من علماء الكلام[١٦٥] وأئمة الإسلام"[١٦٦].

ثالثا : مختصر وقائع فَرغانه فى بابُر نامه :

تشغل وقائع فرغانه تسعة أعوام من كتاب بابُر، وتبدأ باعتلاء بابُر عرش فرغانه عام ٨٩٩هـ = ١٤٩٤م وتنتهى بخروجه من بلاد ما وراء النهر قاصدا خراسان فى نهاية وقائع عام ٩٠٨هـ = ١٥٠٢ – ١٥٠٣م.

تتضمن وقائع هذا الجزء من بابُر نامه، الأحداث التى مر بها بابُر فى فرغانه عقب اعتلائه العرش، مع ذكر تراجم وافية لوالده عمر شيخ ميرزا،

---

[١٦٤] انظر، الإصطخرى، المسالك والممالك ص١٧٩.

[١٦٥] من علماء الكلام الشيخ أبو منصور الماتريدى (م. ٣٣٣هـ) وهو من كبار ائمة الحنفية، وإمام فرقة الماتريدية، ومن العلماء الشيخ إسماعيل البخارى، صاحب صحيح البخارى. والشيخ عبيد الله الأحرارى (ت. ٨٩٥هـ=١٤٨٩م) أحد شيوخ النقشبندية المشهورين، وشيخ الإسلام على بن أبى بكر المرغينانى من كبار فقهاء القرن السادس الهجرى، وصاحب كتاب الهداية. انظر بابُرنامه، رقة٣ب،ورقة ٤٤ ب.

[١٦٦] انظر، بابُرنامه، ورقة٤٤ب – ٤٧أ.

وعمه السلطان أحمد ميرزا، وعمه السلطان محمود ميرزا، وأعمالهما، ونزاعه مع باى سنقر ميرزا، ثم حملاته على سَمَرقَنْد. وصراعه مع شيباق خان الشيبانى وهزيمته أمامه.

ويتضمن هذا العرض التاريخى وصفا لفرغانه، وسَمَرقَنْد وبخارا جغرافيا وتاريخيا وحضاريا. وكما يتناول تصوير النزاعات التى كانت دائرة بين أمراء البيت التيمورى، فهذا السلطان حسين بايقرا سلطان هراة يتنازع مع إبنه بديع الزمان ميرزا بسبب استر آباد. وهؤلاء أبناء السلطان محمود ميرزا وأمرائه يتقاتلون حول سَمَرقَنْد، وهذا بابُر يتنازع مع أمرائه حول أنديجان. بينما يتربص به بل وبالبيت التيمورى كله عدوهم شيباق خان الأوزبكى.

وجد بابُر نفسه وهو يرث ملك أبيه مضطرا إلى خوض الحرب ضد عمه السلطان أحمد ميرزا وخاله المغولى السلطان محمود خان والتى كانا يعدان لها لوقف أطماع عمر شيخ ميرزا.

فقد كان عمر شيخ ميرزا والد بابُر، له مطامع سياسية لتوسيع مملكته وتحين الفرص للإغارة على أخيه الأكبر السلطان أحمد ميرزا فى سَمَرقَنْد، وعلى صهره محمود خان. وكان يطمع فى سَمَرقَنْد على وجه الخصوص. فضاق أقاربه بمطامعه ذرعا، واتحدوا ضده لوضع حد لاعتداءاته. واتفق السلطانان أحمد ميرزا، ومحمود خان (خال بابُر وخان المغول)، على التحرك معا ضده. فى هذا الوقت بالضبط توفى عمر شيخ ميرزا فى ٤ يونيه ١٤٩٤م،

ليتولى بعده بابُر [١٦٧].

تهيأ بابُر بجنوده للدفاع عن أنديجان، ولصعوبات اعترضت السلطان أحمد ميرزا في الطريق، قرر وقف تقدمه إليها، وعقد صلحا مع بابُر وانسحب راجعا عن أنديجان [١٦٨]. كذلك تراجع عنه خاله المغولي، فزال الخطر الذي يتهدده [١٦٩].

بدأ بابُر حكمه بتنظيم الجند وضبط الولاية، وتوزيع المناصب والرتب على أمراء ورجال والده الشيخ عمر ميرزا كلّ حسب رتبته ومكانته [١٧٠]. وذلك وفق النظام السائد بين الأتراك آنذاك والذي يقضي باقتسام من شاركوا في الغزو، الغنائم والبلدان. هذا النظام لعب دورا كبيرا في توجيه تحركات بابُر العسكرية. فالتيموريون لم يكن لهم حتى ذلك الوقت جيش نظامي كذلك الذي كان عند العثمانيين مثلا، وهذا ما جعلهم دائما في حاجة إلى مساندة الأمراء الأتراك أوالمغول عند كل تحرك عسكري أو خروج لقتال، وبدون هذه المساندة يصبح التحرك العسكري أمرا صعبا للغاية.

بعد وفاة السلطان أحمد ميرزا، إعتلى السلطان محمود ميرزا عرش سمَرقَند خلفا لأخيه الذي لم يعقب أبناء، واعتلى عرش سمَرقَند بلا منازع. وحاول أن يتآمر مع رجال بابُر ليخلعوه، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل. ولم يستمر حكم السلطان محمود ميرزا لسمَرقَند أكثر من خمسة شهور مات بعدها، "بعد أن

---

167 Halis Biyiktay. a.g.e. s.9.

١٦٨ انظر، بابُر نامه، ورقة ١٦ب.

١٦٩ انظر، بابُرنامه، ورقة ١٧ب.

١٧٠ انظر، بابُر نامه، ورقة ١٨أ.

أوسع أهل سَمَرقَنْد ظلما وفسادا، وضاقوا ذرعا بسوء خلقه وظلمه، بل أن يوم موته كان عيدا كبيرا لأهل سَمَرقَنْد "على حد قول بابُر"[١٧١].

إنقشع عن بابُر بموت عَمَّيه أحمد ومحمود أكبر خطر كان يتهدده، فلم يسترد جانبا كبيرا من أملاك أبيه الضائعة فحسب، بل استفاد من المنازعات التى قامت بين أبناء عمه السلطان محمود ميرزا ليأخذ سَمَرقَنْد أيضا. فقد ثار الخلاف بين أبناء السلطان محمود ميرزا الثلاثة (مسعود، وباى سنقر، وعلى) حول سَمَرقَنْد وتحالف على ميرزا مع بابُر، بينما تحالف مسعود ميرزا مع خسرو شاه أحد الأمراء الكبار للسلطان محمود ميرزا، وذلك لانتزاع سَمَرقَنْد من باى سنقر ميرزا. وحاصروها من ثلاث جهات لكن لم يسفر الحصار عن شيئ. وأعاد بابُر الحصار مرة ثانية فى العام التالى "٩٠٢هـ وفتح كل القلاع والجبال والوديان المحيطة بسمَرقَنْد"[١٧٢]، واستطاع أن يفتحها للمرة الأولى ويدخلها بعد هروب باى سنقر ميرزا منها ولجوئه إلى شيبانى خان يستعديه على بابُر لاسترداد سَمَرقَنْد"[١٧٣].

عقب فتح بابُر لسَمَرقَنْد فى المرة الأولى سنة ٩٠٣هـ= ١٤٩٧م، إنفض عنه عدد كبير من رجاله (فقد كانت سَمَرقَنْد مخربة تماما وتحتاج لوقت طويل حتى تعمُر، لهذا عاش الجند فى ضيق وشظف، هذا فضلا عن شعورهم بالحنين إلى أهلهم)[١٧٤] كما انفض عنه كبار أمرائه، مثل احمد تَنْبَل الذى انضم برجاله إلى

---

[١٧١] انظر، بابُرنامه، ورقة ٢٣ب – ٣٠أ.

[١٧٢] انظر، بابُرنامه، ورقة ٤٠أ – ب.

[١٧٣] انظر، بابُر نامه، ورقة ٤٣ب.

[١٧٤] انظر، بابُرنامه، ورقة ٥٦أ.

أوزون حسن أحدِ الأمراء في جيش بـابُر، وكان مغوليا من قبيلة والدة جهانكير ميرزا، شقيق بابُر، وكان يأمل أن يكون الحكم لجـهانكيرميرزا، لهذا انفصل عن بابُر معه كل الجند الذين انفضوا من حول بـابُر، وتحالف معه السلطان أحمد تنبل أيضا، ورفع راية العصيان مستفيدا من حالة بابُر التي وصل إليها بعد فتح سَـمَرقَنْد وتفرق جنده من حوله، وبدأوا في محاصرة أنديجان. ولما طالت فترة الحصار - وفي الوقت نفسه مرض السلطان بابُر في سَـمَرقَنْد ولم يستطع مد يدِ المساعده لعلى دوست طاغايي ولي أنديجان، في الوقت المناسب - سَلم "علي دوست"، أنديجان إلى " أوزون حسن "[175]. فضاعت من بابُر سَمَرقَنْد في خضم انشغاله بأنديجان كما ضاعت منه سَمَرقَنْد أيضا بعد أن اعتلى عرشها لمدة مائة يوم[176].

بعد ذلك تخلى السلطان على ميرزا عن سَمَرقَنْد ليدخلها شـيباق خـان وستولى عليها وكما يقول بابُر إن أم السلطان على مـيرزا لعبت دورا في ضياع سَمَرقَنْد وانتقالها إلى يد الأوزبك، ذلك لأنها أوزبكية مثل شـيباق خـان . أي أن الأوزبك هم أهلها وعشيرتها، ودفعتها الرغبة في الـزواج من خان الشيبانيين إلى الاتصال به ومساومته لتسليم مدينة سَـمَرقَنْد له مقابل الزواج منها، ولم تسفر هذا سوى عن ضياع سَمَرقَنْد من يد التيموريين[177].

تكررت محاولات بابُر لاسترداد سَمَرقَنْد من يد شـيباق خـان فقد كان هدفه الأكبر هو أن يَحُول دون سقوطها في يد ذلك العدو الأوزبكي الغريب بعد أن

---

[175] انظر، بابُر نامه، ورقة ٥١ب ــ ٥٣ب.

[176] انظر، بابُر نامه، ورقة ٥٤أ ــ ب.

[177] انظر، بابُرنامه، ورقة ٨٠أ ــ ب.

ظلت فى حوزة التيموريين مائة وأربعين عاما"[١٧٨] . واستطاع بـــابُر أن يستردها مرة أخرى عام ٩٠٦هـ =١٥٠٠م رغم تخلى السلاطين والأمراء التيموريين والمغول عن تقديم المساعدة والمساندة القوية له. فسار إليه شيباق وهزمه فى ســـربُل فى العام نفسه"[١٧٩] .

ويبدو الأوزبك فى هذه الحرب متفوقون على بابُر فى تكتيك القتال واقتحام القلاع وهو ما يتضح مما ذكره بابُر عن التحركات الحربية لشيبـــاق أثناء هذه المعركه وأثناء حصار سمَرقَنْد بعد ذلك "[١٨٠] .

شدد شيباق خان الحصار حول سمَرقَنْد لفترة طويلة (عانى الناس خلالها معاناة شديدة، وبلغ الأمر حد أن الفقراء والمساكين أكلوا لحم الكلاب والحمير، كما نفد علف الجياد فكانوا يقدمون لها ورق الشجر لتأكله)"[١٨١] ، (وبدأ الناس والجند فى مغادرة القلعة والهرب منها بعد أن ملأهم اليأس)"[١٨٢] ، واضطر بـــابُر إلى قبول الصلح مع شيباق بعد أن قطع الأمل فى وصول أى مدد أو معونة له، وغادر سمَرقَنْد تاركا إياها لشيباق خان الأوزبكى"[١٨٣] .

استمر شيباق خان فى تتبع بابُر وهاجم شاهرُخية ثم اتجه إلى أوراتيبـــه . وعندئذ قرر بابُر اللجوء إلى السلطان محمود خان فى تاشكند، وهناك عانى بـابُر

---

[١٧٨] انظر، بابُرنامه، ورقة ٨٥أ.

[١٧٩] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٠ وما بعدها

[١٨٠] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٠ وما بعدها.

[١٨١] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٣ب.

[١٨٢] انظر، بابُرنامه ورقة ٩٤ب.

[١٨٣] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠ب-١١أ.

كثيرا أثناء وجوده في تاشكند من الفقر والجور، فلا ولاية لديه، ولا أمل في الحصول على ولاية، كما انفض عنه أغلب رجاله وأعجز العوز من ظلوا بجانبه "[١٨٤].

بعد ذهاب بابُر إلى تاشكند، خرج خان المغول للتصدي للسلطان احمد تنبـل عند اوراتيبه ولم تسفر الحرب عن نتيجة. ثم انضم إليهما خاله الآخر السلطان أحمد خان وخرجوا ثانية لمحاربة تنبل عند انديجان فأخذوا أوش وأوزكند ومرغينـان وأنديجان وصارت كل المنطقة حول انديجان والقلاع والولايات كلها تابعة لهم. لكن تنبل أعاد عليهم الكرّة ليلا، فانفض عن بابُر رجاله وتفرقوا "[١٨٥].

رجع بابُر إلى أوش، وقرر الخانان المغوليان أن يحتفظ السلطان أحمد خـان لنفسه بالولايات التي في الطرف الجنوبي من ماء خجند وعلى رأسها انديجان لتكون مستقرا له، ووعدا بابُر بإعطائه الولايات التي في الطرف الشمالي من خجنـد وعلى رأسها آخسي. لكنهما بعد ذلك أخذا سمرقند أيضا ومعها كل الولايات التي وعداه بها وكادت فرغانه كلها أن تكون للسلطان أحمد خان"[١٨٦].

في ذلك الوقت سعى احمد تنبل للتحالف مع شيباق خـان، وما أن علم الخانان بمجيئه حتى لاذ بالفرار ليجد بابُر نفسه وحيدا يطارده رجال تنبل ويسعون للقبض عليه. وعندئذ قرر بابُر الخروج من فرغانه قاصدا خراسان"[١٨٧]. وهنا تنتهي وقائع هذا الجزء من الكتاب الذي يتضمن وقائع فرغانه وينتهي بمغادرة بابُر لها.

---

[١٨٤] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠١ألـ ب.

[١٨٥] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠٤أــب.

[١٨٦] انظر، بابُرنامه ورقة ١٠٧ــ ١٠٨أ.

[١٨٧] انظر، بابُرنامه ورقة ١١٥أ–١٢٠أ.

ويتضح فى الجزء الخاص **بفرغانه** من هذه السيرة الذاتية، حداثة عهد **بـــابُر** بتجربة الفتوح، وهو ما دفعه أكثر من مرة إلى تكرار القول بأن قلة التجربة وعدم الخبرة، هما السبب فيما وقع فيه من أخطاء على الرغم من رجوعه دائما لرأى أهل الخبرة وأهل الثقة من رجال والده الذين شاركوه الحكم فى هذه الفترة.

القسم الثانى

الترجمة العربية لوقائع فَرغانه

فَرغانه[1]

(١ب) فى يوم الثلاثاء الخامس من رمضان عام ثمانمائة وتسع وتسعين[2]، أصبحتُ سلطان فَرغانه، وكنتُ فى الثانية عشر من عمرى.

ولاية فَرغانـه جزء من الإقليم الخامس[3] وموقعها فى أقصى المعمورة. تحيط بـها كاشْـغر[4] من الشرق، وسَمَرقَنْد من الغرب، وتحدهـا من الجنوب الجبال التى تشكل حدود بَدَخْشـان[5]. فى شمال فَرغانـه مدن مثل: المالِيغ[6]، والمـالِنو[7]، وياتَكى[8] التى تَرِدُ فى الكتب باسم اوطـرار، لكن المُغـول

---

[1] تقع فرغانه اليوم في جمهورية أوزبكستان. وهي عبارة عن وادٍ يرتفع عن سطح البحر بحوالي مائتين إلى خمسمائة مـتر. وتحيط بها الجبال الشاهقة من ثلاث جوانب. ويمر من وسطها نهر سرداريا (سيحون). لمزيد من المعلومات عـن جغرافيـة فرغانه، انظر،

Yeni Türk Ansiklopedisi,Ötüken Neşriyatı,Istanbul,1985,c.3,s.909/1.

و فرغانه هي مسقط رأس بابُر شاه.

[2] هذا التاريخ يقابل العاشر من يونيو سنة ١٤٩٤. انظر،

Reşit Ünat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe çevirme Kilavuzu, Ankara,1974,s.61

[3] كان الجزء المعمور من العالم قديما ينقسم إلى سبعة أقاليم، والأقاليم تنقسم إلى أجزاء. ويقول ياقوت الحموي إن فرغانـه من الإقليم السادس تحت إحدى وعشرين درجة من السرطان. ياقوت الحموي، معجم البلدان. ج٦. ص٣٦٤.

[4] مدينة كاشغر هي مركز تركستان الشـرقية الـتي تتبع الصـين الآن. وترتفـع عـن سـطح البحر ١٢٢٠ مـتر. كانت كاشغر مدينة مهمة وتحظى بأهمية تجارية كبيرة. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام . اسـتانبول ١٣١٤هـ. ج٥. ص٣٨٠٩.

[5] بَدَخْشان منطقة في أقصى الشمال الشرقي لأفغانسـتان بين تركستان والصين والهند. وبها منابع نهر جيحون وهي منطقـة جبلية مرتفعة. في جنوبها جبال هندكوش، وفي شرقها تركستان الشرقية، وفي الغرب نهر "قوندوز". تشتهر بمراعيها الجيـدة ووديانها الواسعة وأحجارها الكريمة ومنها اللازورد والياقوت المعروف باسم لعل بَدَخْشان. والطريق الوحيد لغزوها هـو ناحية الجنوب. انظر، و.بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشـم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ط١، ١٩٨١م، ص١٤٧، وقاموس الأعلام، ج٢، ص١٢٥٣.

[6] المالِيغ، مدينة المالِيغ وتكتب أيضا المالِيق، بارتولد، تركستان، ص٧٥٢. مدينة في شرق تركستان على نهر ايلي. بالقرب من مدينة قولجه الحالية في الشمال الشرقي من كاشان. انظر،

Emel Esin, I.A. T.D.V. Istanbul,1989,c.2,s.506/1.

[7] المالِنو، اسم مدينة كانت تقع مكان "ويرني". وتعرف المالِنو اليوم باسم "آلما آتا". وكـانت تعـرف في لغـة القـازاق

والأوزبك خربوها الآن ولم يبق فيها أثر للعمران.

وفَرغانــة ولاية صغيرة، محاصيلها وفاكهتها كثيرة وأطرافها جبلية، وتخلو ناحيتها الغربية من الجبال، وتقع فى هذه الناحية مدينتا سَــمَرقَنْد وخُجَنْــد[9]. ولا يستطيع العدو أن يأتى إليها فى الشتاء من أى مكان قط غير هذه الجهة الغربية.

ونهر سَيْحون المشهور باسم "ماء خُجَنْد"،(٢ أ) يتدفق من شمال شـرق هـذه المنطقـة، ويمر منها ويسيل نحو الغرب، ثم يعبر من جنوب "فَنَــاكَت" الواقعة شمال خُجَنْد والمشهورة اليوم باسم "شـاهرُخِيّه"[10]، ويعود مرة أخرى إلى الشمال، ثم يمضى نحو تُركستان[11] ويتلاشى هـذا النهر تماما بين الرمال أسفل تُركســتان قليلا

باسم "آلماتي". وأطلق عليها الروس اسم "ويرنى" بعد أن أنشأوا فيها قلعة عسكرية تحمل هذا الاسم عــام ١٨٥٤ م. وفى عام ١٩٢٧م أطلق عليها رسميا اسم آلما آتا وهى عاصمة جمهورية قازاقستان حتى إنشاء الاستانه، وهى العاصمة الحاليــة. انظر، Mustafa L. Bilge, I.A.T.D.Y., c.2, s.505/2

[8] يانكي، مكان فى شمال فرغانه انظر، Reşit Rahmatt Arat, a.g.e, s.568:

[9] خُجَنْد، ويكتبها أغلب الجغرافيين العرب خجندة. ويصفها شمس الدين سامي بأنها واحدة من أشهر مدن ما وراء النــهر، على الساحل الأيسر لنهر جيحون، فى الجنوب الشرقى لطاشكند وتبعد عنها مسافة ١٤٠ كم. وتكثر بها الجوامــع. تحفها الحدائق وتشتهر بفاكهتها أهلها خليط من الطاجيك والقره قرغيز والأوزبك. انظر، شمس الدين سامي، قاموس الأعــلام، ج٣، ص ٢٠٢٣. وقد كتبها الشريف الإدريسي خجندة، وقال إنها متاخمة لفرغانة وهى مدينة حسنة عامرة كثيرة الأهــل قائمة الأسواق فيها صنائع وجلل بضائع وأهلها مياسير. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشــتاق فى اخــتراق الآفــاق، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ج١، ص٥٠٥.

[10] شاهرُخِيّه نسبة إلى شاهرخ ابن تيمور لنك، وكان محبا للآداب والعمران، وفد الشعراء والفنانون إلى قصره. كان اسمها بناكث أو فَناكَت، فلما خربها المغول، أعاد تيمور لنك بناءها وسماها شاهرُخيّه تكريما لابنــه شــاهرخ، ولا تــزال أطــلال شاهرُخيّه ماثلة على الضفة اليمنى لنهر سَيْحون، انظر بارتولد، تركستان مرجع سبق ذكره، ص٢٨٣.

[11] تركستان المقصودة فى هذا النص هى موضع بين شمال طاشكند وشمال نهر سيحون كان مستقرا لجنود الأوزبــك قبــل استيلائهم على بخارى. وتركــستان بصفة عامة، اسم جامع لجميع بلاد الترك، وهى موطن الأتراك فى آسيا الوسطى وتمتد مــن بحر الخزر (قزوين) غربا إلى حدود التبت ومنغوليا شرقا وتشتمل على أقاليم ما وراء النهر وفَرغانه والسُغد وجــزء مــن "خراسان" وهى أقاليم ذكرها الجغرافيون العرب وتحدثوا عنها كثيرا فى مؤلفاتهم، كما أنها مــسقط رأس فحــول العلمــاء والفقهاء والمحدثين والفلاسفة بعد الإسلام. يجرى فيها نهران عظيمان هما جيحون وسيحون. وأهلها مسلمون. ويتكلم أهلــها اللغتين الجغتائية والفارسية. انظر، أبى بكر بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية بن عبد المجيد بدوي، ونصــر الله مبشر الطرازي، ط٣، ص١٩/٢. ويقول القزويني إنهــا "ممتازة عن جميع الأمم بكثرة العــدد وزيــادة الشــجاعة والجلادة. وأهلها عراض الوجوه فطس الأنوف عبل السواعد، ضيقوا الأخلاق. وحسبك ما ترى من كــبر همــهم. إن أحدهم إذا سبى لا يرضى أن يكون زعيما أو مقدما لعسكر سيده بل يريد انتزاع الملك من سيده والقيام مقامه". انظــر،

ولايتصل بأى نهر آخر .

ولفَرغانه سبع قصبات، خمس منها فى جنوب نهر سَيْحون، واثنان فى شماله (هذه القصبات هى):

اندجان[12] :

واحدة من القصبات الموجودة فى الناحية الجنوبية من نهر (سَيْحون) وتقع فى الوسط، وهى عاصمة ولاية فَرغانه .محاصيلها كثيرة، وفاكهتها وفيرة. الشمام والعنب فيها طيبان، ولا يوجد شمام أفضل من شمام "اَندجان " . وبيعه من الحقول فى موسمه غير مألوف. قلعتها فى الطرف الجنوبى منها ولها ثلاثة أبواب وليس فيما وراء النهر قلعة أكبر من قلعة "اَندجان" ، إلا قلعتا "سَمَرقَند وكَش"[13]. والمثير للدهشة حقًا أن الماء يدخل إلى قلعة اَندجان عبر تسع قنوات ولا يخرج من أى مكان قط منها . وفى جوانب القلعة خندق يحيط به طريق كبير مرصوف بالحجارة. هذا الخندق والطريق الكبير الذى يمر من جانبه، يفصلان القلعة عن الأحياء السكنية التى تحيط بجوانبها . تكثر فى (فَرغانه) حيوانات الصيد والطيور . والديوك البرية هنا (٢ب) سمينة جداً ويقال إن فخذ الواحد منها إذا أكله أربعة أشخاص، لايستطيعون إنهاءه. وأهلها أتراك، وليس فى المدينة

زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥١٤.

[12] اندجان، وتكتب أيضا أنديجان. إحدى قصبات فرغانه. وتقع على مسافة ٤٠ كم شرق خوقند. قاموس الأعلام، ج١، ص٤٢٠. وهى فى اوزبكستان اليوم.

[13] كش، هى مدينة شهر سبز الحالية ويقدم لنا الإدريسى وصفا لها قبل القرن الثانى عشر الميلادى، السادس للهجرى.انظر، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ج١، ص٤٩٩ وما بعدها.

أو السوق من يجهل اللغة التركية. كما أن لغة الحديث عند الناس تناسب لغة الكتابة عندهم. خاصة وأن أعمال شيرنوائي[14] كُتبت بنفس هذه اللغة[15] التي وجدت تطورها وارتقائها في هراة. وتكثر فيها الجميلات. ويوسف خوجه[16] المشهور في عالم الموسيقى[17] اندجاني أيضا. وهواء أندجان مضر بالصحة وتكثر الحمى في الخريف.

أوش[18]:

تقع جنوب شرق "أندجان"، على مسافة أربعة فراسخ[19] منها هواؤها جميل، ومياهها الجارية وفيرة وربيعها رائع، فما أكثر ما يُروى عن طيبات أوش.

---

[14] شرنوائي، يقصد ميرعلي شيرنوائي الشاعر التركي الجغتاي المشهور. وهو من الأمراء الأتراك وقد عكف على تحصيل العلوم المتداولة في عصره كالفلك والطب والشعر والنثر. ولد في هرات سنة ٨٤٤ هـ = ١٤٤١م وتوفي سنة ٩٠٦هـ = ١٥٠١م. وقد لعب دورا كبيرا في تطوير اللغة التركية والأدب التركي في وسط آسيا، ولهذا عرفت اللغة الجغتائية بأنها "لغة نوائي". وقد كتب آثاره بالتركية الجغتائية والفارسية ولهذا عرف بلقب "ذو اللسانين". ومن أشهر آثاره أربعة دواوين باسم خزائن المعاني فضلا عن ديوان باللغة الفارسية تخلص فيه بمخلص فاني. ومحاكمة اللغتين، وتحفة الأفكار. وله أيضا مثنويات منها فرهاد وشيرين وليلى ومجنون. ومن التذاكر، مجالس النفائس وقصة المتحيرين. وكتب أيضا في الحديث وله الأربعين حديث. ومناجاة، وسراج المسلمين. انظر، Günay Kut. I.A.T.D.V.c.2.s.449. وانظر أيضا، حربي أمين سليمان، المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٢٨-٣١.

وقد كتب بابر شاه في كتابه هذا ترجمة لنوائي وذكر علاقته بالسلطان حسين بايقرا وجوانب من رعايته للفنون، كما تعرض بالنقد لبعض أعماله. انظر، بابر نامه ص١٧٠ب وما بعدها.

[15] يقصد اللغة التركية بلهجتها الجغتائية.

[16] خوجه، كلمة فارسية تكتب في الشكل الإملائي الفارسي "خواجه" بمعنى السيد، والأستاذ، والمعلم، والشيخ، والقاضي، انظر، Şükrün. Farsca- Türkce Luğat. Istanbul. 1984.c.2.s.814/1.

[17] يوسف خوجه، موسيقي مشهور من "اندجان". كان يعمل في خدمة "باي سُنقر ميرزا". توفي سنة ١٤٣٤م.

[18] أوش، تقع في أوزبكستان اليوم. ويقول بارتولد، إنها كانت تعد ثالث مدن فرغانه من حيث الرقعة، انظر، بارتولد، تركستان، ص ٢٦٧.

[19] الفرسخ، مقياس يساوي مسيرة أربع ساعات وتعادل خمسة كيلومترات أو ثلاثة أميال. انظر، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٣/٤٦٧.

وفى الجنوب الشرقى من قلعة أوش، جبل متناسب الشكل اسمه جبل "براكوه"، وقد شيد السلطان محمود خان[20] قصراً فوق قمة هذا الجبل. وفى تسعمائة واثنين[21] شَيَّدتُ (بدورى) قصراً ذا إيوان فى مكان منحدر ومتعرج فوق هذا الجبل وأسفل ذلك القصر قليلا. والحق؛ وإن كان قصر (السلطان محمود خان) أكبر من قصرى، إلا أن قصرى فى موقع أجمل، فكل المدينة والأحياء السكنية تبدو أسفل منه.

(٣أ) وينساب ماء " أنديجان "[22] بين أحياء أوش جاريا إلى " أنديجان"، تكثر الحدائق على ضفتيه، وتتجه كلها نحو الماء. وزهور البنفسج غاية فى الرقة، ولها مياهها الجارية. كما أن الربيع (فى أوش) بديع، تتفتح فيه زهور شقائق النعمان والورود. ويجرى نهر عظيم من جانب جبل " براكوه ". ويوجد فى سفح هذا الجبل بين النهر والحدائق جامع اسمه " الجوزاء". الحوش الخارجى لجامع الجوزاء هذا، عبارة عن ساحة ذات ميل قليل لونها أخضر بلون البرسيم، تكتنف جوانبها الظلال وتبعث على البهجة. وفيها يستريح كل الضيوف والمسافرين.

ولعامة الناس فى أوش عادة عجيبة؛ إذا غط أحدهم فى نومه، فإنهم يأخذون الماء من ذلك النهر ويسكبونه عليه. وفى الأيام الأخيرة من حكم عمر شيخ

---

[20] السلطان محمود خان، خال بابر.

[21] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٦ – ١٤٩٧م.

[22] ماء أنديجان، هو أحد فروع نهر سيحون.

ميرزا [٢٣] ظهر فى هذا الجبل، حجرٌ متموّج بالأحمر والأبيض. وهوحجر بديع، يُستخدم فى صنع مقابض السكاكين والأحزمة وبعض الأشياء الأخرى. وليس فى فرغانه قصبة ذات سرور وجيدة الهواء، مثل أُوش.

مَرْغينـــان[٢٤] :

قصبة جميلة ، تقع غرب "أنـــديجان" على مسافة سبعة فراسخ منها .محاصيلها كثيرة ، كما أن الرمان والبرقوق فيها رائع الجمال . وبها نوع من الرمان يسمونه "دانه كلان"[٢٥] ، يفوق رمان سَمنان[٢٦] . (٣ب) فى حلاوته وقلة حموضته. وفيها نوع من البرقوق لذيذ جدا يسمونه "سبحانى" يجففونه بعد أن يخرجوا النواة منه ويضعون اللوز مكانها. الصيد وطيوره جيدة فى مَرغينــان ، ويوجد بالقرب منها الغزال الأبيض. وأهلها ســارت [٢٧] . وهم مهرة فى التصارع بالقبضات وأرباب معارك. والتصارع بالقبضات عادة شائعة جدا فيما وراء النهر.

---

[٢٣] عمر شيخ ميرزا، والد بابر، وقد ترجم له بابر ترجمة وافية، انظر، بابر نامه ص ٥ب وما بعدها.

[٢٤] مرغينان، جاء هذا الاسم فى الترجمة الفارسية مرغيان، انظر، بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى، الترجمة الفارسية التى تمت عن الجغتائية فى زمن أكبر بادشاه خان، مودعة فى مكتبة جامعة القاهرة، رقم القيد ١٢٢٥٠، ص٣. وسوف نشير إلى هذه الترجمة فى الحواشى فيما بعد بعبارة "الترجمة الفارسية ".

[٢٥] دانه كلان، كلمة فارسية معناها الحبة الكبيرة أو الضخمة.

[٢٦] سمنان، مدينة بين "خراسان" والعراق عند حدود دامغان تقع شرق على مسافة ١٨٤ك.م فى الشرق من طهران. انظر، قاموس الأعلام، ج٤، ص ١/٢٦٢٩.

[٢٧] السارت أو التات، من العشائر التى تستوطن تركستان، ويقال إنهم من الطاجيك انظر، سليمان افندى البخارى، لغت جغتاى وتركى عثمانى، استانبول، ١٢٩٨هـ، ص٢/١٧٨. ويقول بارتولد : إن كلمة سارت أطلقت بعد القرن الحادى عشر على قوم من إيرانيى آسيا الوسطى كان الأتراك يعتبرونهم (قوما من التجار). وكان التيموريون يستعملون الكلمة بمعنى كلمة (عجم) أو (غير تركى) انظر، و. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ط١، ص٤٢، ٢٤٦.

وأكثر المصارعين الذين اكتسبوا شهرة فى "سَمَرقَنْد" و "بُخارا"[٢٨] هم من مَرغينان. والشيخ برهان الدين على صاحب الهداية[٢٩] من قرية تسمى رَشْـدان من توابع مَرغينان.

أَسْفَرَه :

قصبة فى سفح الجبل، بها مياه جارية وبساتين خوخ. تقع جنوب غرب مَرغينان على بعد تسعة فراسخ[٣٠] منها. أشجارها كثيرة الفواكه، كما يكثر فى حدائقها شجر اللوز. أهلها كلهم سارْت وجبليون. وبين تلالها الجنوبية توجد قطعة حجر يطلقون عليها اسم الحجر المرآة، ويقدر طولها بنحو عشرة أذرع، وترتفع فى بعض أماكنها بمقدار قامة إنسان، والجزء الأسفل منها يصل فى بعض أماكنه إلى وسط الإنسان. وهى كالمرآة، تعكس كل شئ.

وتتشَكَّل قصبة أَسفَرَه من سفوح أربعة جبال هى : أَسـفَرَه، وأروخ، وسـوخ، وهُشـيار. وقد جئتُ إلى سفوح جبال سـوخ وهُشـيار، عندما

---

[٢٨] بُخارا، وتكتب أيضا بُخارى، وهي إقليم من "خراسان" يشمل عدة مدن أهمها بخارى العاصمة وذكرها الاصطخـرى باسم "نوميجكث" أيضـا. وكانت تلقب بقبة الإسلام. وتقـع اليـوم فى أوزبكسـتـان. النرشخى، تاريخ بخـارا، المقدمة، ص٨٧/١.

[٢٩] الشيخ برهان الدين على، هو شيخ الإسلام على بن أبي بكر محمد بن عبد الجليل المَرْغيناني الحنفي المكـنى بـأبي الحسن والملقب برهان الدين، من كبار فقهاء القرن السادس الهجرى. قتله جنكيزخان ضمن من قتل من علماء "بُخارا" فى مذبحـة عامـة. ومـن مؤلفاتـه كتـاب الهدايـة فى الفـروع وهـو كتـاب فى الفقـه الحنفـي نـال عنايـة الفقـهاء فكتبـوا عليـه عـدة شـروح وتعليقـات، وكفايـة المنتهى ونشـر المذهـب وكتـاب التجنيس، والمزيد، ومناسك الحج.توفى سنة ٥٩٣هـ، انظر، كاتب جلـبى، كشـف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنون، ج٢، ص٢٠٣١، وأيضا، علي أكبر دهخدا، لغت نامه ج٣٥، ص٢٦٢، وشمس الدين سامي، قاموس الأعـلام، ص١٣٠٢/١.

[٣٠] تسعة فراسخ، مسافة تعادل حوالى خمسة وأربعين كيلو مترا.

هزم محمد شيبانى[31] خان[32]، السلطان محمود خان[33] وآلجه خان[34]، وأخذ تاشكند[35] وشاهرخيه. (٤٠ أ) وغادرتها إلى كابل بعد أن عشت فيها فى ضيق مايقرب من العام.

خجند[36]:

قصبة على مسافة خمسة وعشرين فرسخا[37] فى إتجاه الغرب من "أندجان". والمسافة بين "خجند" و "سمرقند" خمسة وعشرين فرسخا أيضا. وهى من المدن القديمة. ومن أهلها "الشيخ مصلحت" و "خوجه كمال". والفاكهة فى خجند فائقة الجمال ويشتهر رمانها بمذاقه الطيب. وكما يطلقون على تفاح سمرقند

---

[31] شيبانى، جاء الاسم فى الترجمة التركية لبابر نامه "شيبق". بص Reşit Rahmati Arat, a.g.e, c.1, Ankara 1943, s.333

وسوف نختصر هذا التوثيق عند الاشارة إلى الترجمة التركية لبابر نامه فيما بعد بحيث يكون: "الترجمة التركية". ورغم أن الاسمين "شيباق خان وشيبك خان" يدلان على شخص واحد، إلا أننا ... دقة اللفظ وآثرنا أن ندون الاسم كما ورد فى النص الجغتائى لبابر نامه ص ٣ب.

[32] محمد شيباق خان الأوزبكى، أحد خانات الأوزبك، وينحدر من ... جوجى بن جنكيزخان. استولى على ما وراء النهر و"خراسان" سنة ٩٠٠هـ مما دفع حاكمها بديع الزمان ميرزا بن السلطان حسين بايقرا، إلى اللجوء إلى الشاه اسماعيل الصفوى. وفى عام ٩١٦ ساق الشاه اسماعيل الجند ضد شيباق خان، حرمه فى مرو وقتله. وانتقلت "خراسان" إلى يد الشاه اسماعيل الذى احتفظ بها لنفسه. انظر، شمس الدين سامى. قاموس الأعلام، ج.٤، ص٢٨٩٣/١.

[33] كلمة خان لقب يختص به الحكام فى تركستان ويُضاف بعد الاسم. انظر .Ziya Şükün, a.g.e. c.2. s.754/1. وتستعمل بمعنى السلطان وأصلها خاقان، وتعنى كبير العشيرة والحاكم. انظر. سليمان افندى البخارى، المرجع نفسه، ص ١/١٦٧.

[34] آلجه خان: هو السلطان أحمد خان خال بابر وقد اشتهر بهذا اللقب الذى يعنى القاتل فى لغة القالمق والمغول لأنه انتصر عدة مرات على القالمق وذبح كثيرا من الرجال فأطلقوا عليه هذا اللقب واشتهر به. انظر. بابر نامه ورقة ١١ب

[35] تاشكند وتكتب أيضا تاشكند. وتقع فى أوزبكستان اليوم.

[36] خجند، واحدة من المدن الشهيرة فى ما وراء النهر على الساحل الأيسر من نهر سيحون وتبعد عن تاشكند ١٤٠كم فى الجنوب الشرقى منها، ويكتبها الجغرافيون العرب على شكل خجندة. انظر. قاموس الأعلام. ج٣. ص ١/٢٠٢٣. وتقع فى أوزبكستان اليوم.

[37] خمسة وعشرين فرسخا، مسافة تعادل مائة وخمسة وعشرين كيلومتر.

اسم "سيب سَمَرْقَنْد"، فإنهم يطلقون أيضا على رمان خُجَنْد اسم "أنارى خُجَنْد". إلا أن رمان مَرغينان أجود الآن.

تقع قلعة خُجَنْد في مكان مرتفع. وينساب نهر سَـيحون من شمال (القلعة) على بعد رمية سهم منها. وفي الشمال من القلعة والنهر، جبل اسمه "منوغِل" فيه مناجم الفيروز والمعادن الأخرى، كما تكثر فيه الثعابين.

ويوجد في خُجَنْد أماكن صيد الحيوانات والطيور، ويكثر فيها الغزال الأبيض، والغزال، والديك البرى، والأرانب، لكن هواءها مضر بالصحة، وتكثر فيها الحمى في الخريف. ويروى أن الحمى تصيب حتى العصفور. ويقولون إن الحدائق التي في شمالها هي السبب في فساد هوائها. ومن ملحقاتها "كَنْدِ بادام"[٣٨] وتقع في الشرق من خُجَنْـد بمقدار خمسة أو ستة فراسخ[٣٩] وهي قصيبة صغيرة جدا إن لم تكن قصبة. وقد سُمِّيت باسم كَنْدِ بادام نسبة إلى لوزها الجيد (٤ ب). ولوزها دائما يذهب إلى هرمز والهند.

ويوجد بين "خُجَنْد" و"كَنيت بادَم" صحراء اسمه "هادرويش"[٤٠]، لا تنقطع منها الرياح وتثور فيها الزوابع. ومن هذه الصحراء تهب الرياح دائما على مرغيـنـان التي تقع في شرقها، وعلي خُجَنْـد التي تقع في غربها. ويُحكى أن عددا من الدراويش أصابتهم الزوبعة في هذه الصحراء، وماتوا وهم يتنادون: "هادرويش،

---

[٣٨] كَنْدِ بادم، بمعنى مدينة اللوز. كانت تعرف باسم كَنْد ثم باسم كَنْيت بادَم وتعرف الآن باسم كن بدم. انظر بـارتولد، تركستان مرجع سابق، ص٢٦٩. وهي قصبة من ملحقات خُجَنْد في فرغانه، بابر نامه ورقة ٤أ.

[٣٩] خمسة أو ستة فراسخ، مسافة تعادل حوالي خمسة وعشرين أو ثلاثين كيلو متر.

[٤٠] ها، حرف نداء في اللغة التركية، و"ها درويش" بمعنى أيها الدرويش. شمس الدين سامي، قاموس تركي، در سعادت، اقدام مطبعه سي ١٣١٨، ص١٥٠٣/٢.

هادرويش" دون أن يعثر أحدهم على الآخر. ومنذ ذلك الوقت، والناس يطلقون على هذه الصحراء اسم "هادرويش".

أَخسى[٤١]:

إحدى القصبات التي في الجانب الشمالي من نهر سـيحون. ويكتبونها في الكتب "اخسيكت". وعليه فإنهم يطلقون على الشاعر أثيرالدين، اسم أثير الدين الأخسيكتي[٤٢]. وليس في فرغانه قصبة أكبر منها بعد "أندجان". وتقع أخسي في الغرب من "أندجان"، على مسافة تسعة فراسخ منها.

كان عمر شيخ ميرزا قد اتخذها عاصمة له. ويجري نهر سيحون تحت قلعتها الواقعة على حافة هوّة عالية. هذه الهوة العميقة تقوم مقام الخندق. فلما اتخذها الشيخ عمر ميرزا عاصمة له، حفر أخاديد أخرى لمرحلة[٤٣] أو اثنتين خارج القلعة. ولا يوجد في فرغانه قلعة أخرى في متانة قلعة أخسي. (٥ أ) وتقوم الأحياء السكنية على مسافة شرعي[٤٤] واحد من القلعة، وأغلب الظن أن المثل القائل "حيثما تكون القرية تكون الأشجار" قيل على "أخسي".

الشمام في أخسي طيب (المذاق) وبها نوع من الشمام يسمونه

---

[٤١] أخسي، جاءت في الترجمة الفارسية على شكل "اخشي" انظر ص ٤ من الترجمة الفارسية. وهي مدينة تقع أطلالها الآن في الجنوب الغربي من نامانغان من إقليم فرغانه انظر، بارتولد، تركستان، ص ٢٦٧. وتكتب أيضا أخسيكث وأخسيكت. قاموس الأعلام ج٢، ص ١/٨٠٤.

[٤٢] أثير الدين الأخسيكتي، من شعراء القرن السادس الهجري المشهورين. توفي عام ٦٠٨هـ. قاموس الأعلام، ج١، ص٢/٧٨٠.

[٤٣] المرحلة، هي المسافة التي يقطعها السائر بين منزلين. المعجم الوجيز، ص١/٢٥٩. وقد ذكر الإدريسي أن المرحلة هي أحد وعشرون ميلا. انظر، الشريف الأدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص٥٠١.

[٤٤] الشرعي، مقياس للطول يساوي ميلين. انظر الترجمة التركية ج٢، ص٩٤٩.

"ميرتيموزى"، لا نظير له فى الدنيا . وشمام "بُخارا " أيضا مشهور . عندما أخذتُ "سَمَرْقَنْد " أمرتُ بإحضار الشمام من "آخْسِى "ومن " بُخــارا "، وأمرت بتقطيعه فى أحد المجالس، لكن لا توجه للمقارنه بين شمام "آخْسِى " وأى شمام آخر . ويجود فى آخْسِى الصيد وطيوره . وناحية "آخْسِى " من جهة نهر سَـيْحون عبارة عن صحراء يكثرفيها الغزال الأبيض . أما ناحيتها من جهة "أنْدِجــان " فعبارة عن غابة يكثر فيها الغزال والديك البرى والأرانب، وكلها سمينة جدا .

كاسـان[٤٥]:

قصيبة تقع فى شمال "آخْسِى " . ويأتى ماء "آخْسِى " من كَاســان، مثلما يأتى ماء "أنْدِجان " من أوش . وهى مكان طيب الهواء به حدائق غنَّاء . ويقولون عنها أنها "الرداء المزَّين صدره " لأنها كلها تقع على حافة جدول ماء . ويُصر أهالى "أوش " و "كاسان " على أن قصبتيهم أكثر بهجة وصفاء (من غيرها) .

والجبال حول ولاية فرغانه ذات هضاب جميلة . وفى هذه الجبال تنمو أشجار الصفصاف الحمراء التى لاتنمو فى أى مكان آخر، وهى شجرة حمراء القشرة يصنعون منها العصى (٥ ب) ومقابض السياط وأقفاص الطيور . يبرون فروعها ليصنعوا منها السهام . وهى شجرة مباركة، يحملها (الناس) معهم فى أسفارهم

[٤٥] كاسان وجاءت فى الترجمة الفارسية كاشان، انظر الترجمة الفارسية ص٤ . وهى قصبة على خمسة فراسخ إلى الشمال من آخسيكث . وتقع على نهر يحمل نفس الاسم وهى لا تزال قائمة فى صورة مدينة صغيرة وإلى جوارها أطلال المدينة القديمة . وفى نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع، كانت كاسان عاصمة لأمراء فرغانه . انظر، بارتولد، تركستان، نقلا عن اليعقوبى، التاريخ، ج٢، ص ٤٧٨، اليعقوبى، تاريخ البلدان، ص٢٩٤ .

البعيدة تبركا بها[46] .

جاء في بعض الكتب أن (نبات) "**يبروح الصنم**"[47] ينمو في هذه الجبال لكننا لم نسمع بهذا قط في هذه الأيام، إنما سمعنا عن وجود عشب له خصائص اليبروح في جبال "**يني كنت**"[48]، يسميه الناس عشب الإناقة. وهذا العشب في الغالب هو اليبروح، لكن الأهالي هنا أطلقوا عليه هذه التسمية. وفي هذه الجبال توجد مناجم الفيروز والحديد[49] . ولو عدلوا، يمكن أن تفي حاصلات ولاية فرغانه بمعيشة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف جندي.

عمر شيخ ميرزا :

كان عمر شيخ ميرزا سلطانا عالي الهمة، كبير المطامح، لهذا كانت تحركه دائما فكرة توسيع مملكته. وقد سيَّر الجُندَ عدة مرات إلى "سمرقند"، فكان ينهزم أحيانا، أو يرجع بدون الوصول إلى غايته في أحيان أخرى. وينحدر صهره يونس خان، من نسل جغتاي خان الابن الثاني لجنكيزخان. وكان هذا الخان، الذي هو جدي، آنذاك خانا للأمة المغولية في موطن جغتاي خان. وكان عمر شيخ ميرزا يرجوه كثيرا لكي يحضر إليه، وكان (والدي) يعطيه الولاية تلو الأخرى كلما استجاب لدعوته. لكن لم تكن الأمور تجري تبعا لما يريده عمر شيخ ميرزا (٦أ) . إذ

---

[46] جاءت في الترجمة التركية : "يحملونها معهم كهدايا"، انظر الترجمة التركية ص ٥، وهي في الأصل الجغتائي "تبرك لوك".

[47] يبروح الصنم، نبات يعمل على تجلط الدم انظر، شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص١٥٤٢/١.

[48] يني كنت، بمعنى المدينة الجديدة.

[49] جاءت في الترجمة التركية "الفيروز والمعادن الأخرى"، انظر الترجمة التركية ص ٤.

سرعان ما يترك (جدى) الولاية ويعود مرة أخرى إلى (مُغولستان)[٥٠]؛ تارة بسبب تحركات عمر شيخ ميرزا السيئة وتارة بسبب مخالفته للأمة المُغولية. وفي آخر مرة، دعا عمر شيخ ميرزا، يونس خان، وقدم له ولاية تاشكَنْد هدية، وكانت تحت إدارته في ذلك الوقت. وولاية تاشكَنْد هي المذكورة في الكتب باسم شاش وأحيانا تُذكر باسم جاج[٥١]، التي يُنسب إليها قوس جاج. وقد ظلت ولاية تاشكَنْد وشاهرُخِيَه حتى[٥٢] سنة ثمان وتسعمائة[٥٣] في يد خانات جغتاي. في هذه الأثناء كانت خانية المُغول مِلكًا لخالي السلطان محمود خان، الابن الأكبر ليونس خان والأخ الأكبر لأمي. وقد تصاهر السلطان احمد ميرزا[٥٤] سلطان سَمَرقَنْد والأخ الأكبر "لعمر شيخ ميرزا" مع السلطان محمود خان، خان الأمة المُغولية، وتحالفا معا ضد عمر شيخ ميرزا بعد أن ضاقا ذرعا بسوء تحركاته. وفي التاريخ المذكور[٥٥]، تحرك السلطان احمد ميرزا من جنوب ماء "خُجَنْد"، والسلطان محمود خان من الشمال نحو عمر شيخ ميرزا. وفي هذه الأثناء وقع حادث غريب. فكما ذكرنا من قبل (٦ب) أن قلعة "أخسِي" مقامة على هوة عالية، ومبانيها موجودة

---

[٥٠] مغولستان، أي أرض المغول وتعرف اليوم باسم منغوليا، إقليم في شمال شرق تركستان يتبع الصين الآن، يحدها من الشمال سيبريا ومن الغرب تركستان الشرقية ومن الجنوب الصين ومن الشرق منشوريا. قاموس الأعلام ج٦ ص٤٣٥١.

[٥١] جاج بالجيم المثلثة في اللهجة المحلية للاسم بين المؤلفين الفرس. وذلك لأن حرف الشين العربية إنما تعكس في كثير من الأحيان إلى حرف الجيم المثلثة. انظر، بارتولد، تركستان، ص٢٨٣/٧٥٠.

[٥٢] أضافت الترجمة التركية عبارة: "منذ ذلك التاريخ" قبل عبارة "وحتى سنة.." انظر الترجمة التركية ص ٥.

[٥٣] هذا التاريخ يقابل سنة ١٥٠٣م.

[٥٤] السلطان أحمد ميرزا، عم بابر شاه كان سلطانا على سَمَرقَنْد حتى عام قبل أخيه السلطان محمود ميرزا، وقد ترجم له بابر ترجمة وافية، انظر بابر نامة ورقة ١٨ب.

[٥٥] يقصد عام ٨٩٩هـ الذى تحرك فيه السلطان أحمد ميرزا والسلطان محمود خان ضد عمر شيخ ميرزا الذى وافته المنية في تلك الأثناء.

على حافة هذه الهوَّة. وفى هذا التاريخ .يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان[٥٦] . مات عمر شيخ ميرزا، بعد أن هوى به بيت حمائم له وسقط فى هذه الهوة. وكان عمره تسعة وثلاثين عاما .

مولده ونسبه :

ولد عمر شيخ ميرزا فى "سَمَرقَنْد " عام ثمانمائة وستين[٥٧] . وهو الابن الرابع للسلطان أبوسعيد ميرزا . كان أصغر من أخوته، السلطان احمد ميرزا، والسلطان محمد ميرزا، والسلطان محمود ميرزا .

والسلطان أبوسعيد ميرزا، هو ابن السلطان محمد ميرزا بن ميرانشاه ميرزا. وميرانشاه ميرزا هو الابن الثالث للأمير تيمور .

كان ميرانشاه ميرزا أصغر من عمر شيخ ميرزا[٥٨] (الكبير) ومن جهانكير ميرزا وأكبر من شاهرُخ ميرزا .

أعطى السلطان أبوسعيد ميرزا، (ولاية) كابُل إلى عمر شيخ ميرزا وعين له بابا كابُلى وصيا[٥٩]، وأرسله إلى هناك. ولكنه أعاده من "دره كز"[٦٠] بمناسبة حفل ختان الأمراء، وأمر بإرساله إلى "سَمَرقَنْد". ولما كان الأمير

---

[٥٦] هذا التاريخ يقابل التاسع من يوليه من عام ١٤٩٤م.

[٥٧] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٥٦م.

[٥٨] عمر شيخ ميرزا، المعروف بالكبير ولقبه معز الدين . وهو جد السلطان حسين بايقرا. انظر، قاموس الأعلام، ج٥، ص ٣٢١٩/١ .

[٥٩] وصيا، وهو فى مقام حاجب السلطان. انظر، أحمد محمود الساداتى، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٤، ص ١/١٢٠ .

[٦٠] دره كز، اسم وادى على طريق كابل فى جنوب بلخ.

تيمور قد أعطى ولاية فرغانه (من قبل) إلى عمر شيخ ميرزا (الكبير)، فإنه[61] بعد الحفل أعطاه[62] ولاية "أنديجان"، وعين خسداى بردى توغجى تيمورتاش وصيا عليه، وأرسله إلى هناك.

شكله وشمائله :

كان (عمر شيخ ميرزا) قصير القامة، مستدير اللحية، ممتلئ الوجه، بدين الجسم، (٧ أ) يلبس ملابس ضيقة جدا. وعندما يربط الحزام على وسطه، يسحب بطنه إلى الداخل، وبعد أن يربطه، يترك بطنه على راحتها. وكثيرا ما ينقطع الحزام. لم يكن متكلفا فى ملبسه وفى طعامه، يضع العمامة على رأسه ويلفها وكانت العمائم فى ذلك الوقت تلف أربع لفات، ويربطونها ببساطة ويدلون طرفها. وغالبا ما يرتدى فى الصيف وفى خارج الديوان غطاء رأس على الطراز المغولى.

أخلاقه وأطواره :

كان حنفى المذهب سليم العقيدة[63]، محافظا على صلاته. وقد أدى فى حياته كل ما فاته منها قضاءً. وكثيراً ما يقرأ القرآن بصوت عال. كان مريدا لسيّدى الشيخ عُبَيْد الله[64]، وتَشَرَّفَ كثيرا بمجالسته. وكان سيدنا الشيخ يدعوه وهو يحادثه بكلمة " يابنى ". كما كان يجيد القراءة والكتابة.

---

[61] أى السلطان أبو سعيد ميرزا جد بابر.

[62] أى أعطى ابنه عمر شيخ ميرزا والد بابر.

[63] سليم العقيدة، يقصد أنه على مذهب أهل السنّة.

[64] عُبَيْد الله أحرارى، من مشاهير المشايخ، خرسانى الأصل. من مريديه مير على شير نوائى، ومولانا عبد الرحمن جامى. توفى سنة ٨٩٦هـ. ودفن فى "سمرقند". انظر، شمس الدين سامى، قاموس الأعلام، ج٤، ص ٣١١٩/٢.

ويقرأ الخمستين[٦٥]، والمثنوى[٦٦] وكتب التاريخ. وكانت أكثر قراءته فى الشاهنامة[٦٧].
كما كان لديه استعداد لقرض الشعر، لكنه لم يهتم بهذا.

كان عادلا عظيم العدل، ومثال ذلك: كانت قافلة خِطاى[٦٨] المكونة من ألف شخص تسلك الطريق، أسفل الجبال فى أطراف "آنديجان"، فتساقط فوقها الجليد؛ ولم ينج منها غير شخصين. فلما علم بذلك، أرسل موظفيه وجعلهم يحافظون على ما بها أموال. (٧ب) وحافظ عليها رغم حاجته الماسة إلى المال وعدم وجود ورثة لهذا المال. بل أرسل من يبحث عن ورثة ذلك المال فى كل من "سمرقند" و"خُراسان"[٦٩] وأمر موظفيه أن يجدُّوا فى البحث عنهم والإتيان بهم، ففعلوا، وسلَّم إليهم الأموال سالمة[٧٠] بعد سنة أو اثنين.

---

[٦٥] الخمستين، هما خمسة نظامى الكنجوى الشاعر المشهور فى الأدب الفارسى والمتوفى ١٢٠٥م. وهى خمسة منظومات على نسق المثنوى باسم مخزن الأسرار، وليلى والمجنون، وخسرو وشيرين، وهفت پيكر، وإسكندرنامه. والأخرى هى خمسة أمير خسرو الدهلوى المتوفى عام ١٣٢٠م وهى أيضا خمس مثنويات باسم: هشت بهشت، مطلع الأنوار وآئينه سكندرى، وليلى والمجنون، وخسرو وشيرين. أنظر، عبد النعيم حسنين، نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره، مكتبة الخانجى، ط١، ١٩٥٤، ص١٤٥، ١٥٠، ٢٢٥، ٣١٩، ٤٣٢.

[٦٦] مثنوى مولانا جلال الدين الرومى.

[٦٧] الشاهنامه، كتاب الملوك للفردوسى.

[٦٨] خِطاى، وتكتب أيضا خطا. وتطلق على القسم الشمالى من الصين أى منشوريا ومغولستان والمناطق الشرقية من تُركستان، وتضم جزءا من سيبيريا. واسمها فى الأصل هو اسم طائفة من طوائف المغول حكموا مغولستان وقسم من الصين فى مطلع القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى. قاموس الأعلام، ج٣، ص٢٠٤٩.

[٦٩] "خراسان"، إقليم كبير فى آسيا الوسطى. كان يعتبر قديما ضمن إيران لكن الآن يقع القسم الغربى منه فقط فى إيران، والقسم الشرقى فى أفغانستان، وقد ذكر الجغرافيون العرب حدودها بصور مختلفة، فضمت عند البعض ما وراء النهر والجزء الأكبر من أفغانستان وبلوچستان. ويقول ياقوت الحموى إن حدودها السياسية كبرت وصغرت تبعا للتغيرات السياسية. ويقول بابُر فى كتابه هذا إن الهنود يطلقون اسم "خراسان" على كل ما عداهم مثلما يطلق العرب اسم العجم على غير العرب. انظر، قاموس الأعلام، ج٣، ص٢٠٢٩، بابُر نامه ص ١٢٨ب. وكانت خراسان فى الماضى تعرف باسم خراسان الكبرى وتضم أربع ولايات هى نيشابور ومرو وهراة وبلخ، وما يتخلل ذلك من المدن. أما الآن فهى إحدى محافظات جمهورية إيران الإسلامية وعاصمتها مشهد. انظر، يحيى داود عباس، سمرقند، ط١، القاهرة ١٩٩٥، ص٤.

[٧٠] جاءت فى الترجمة الفارسية "سالمة بغير نقصان". انظر الترجمة الفارسية ص ٦.

كان (**عمر شيخ ميرزا**) سخيا وبذات قدر سخائه، كان طيب الخلق والفطرة، عذب اللسان جميله. كما كان مقداما وشجاعا. فقد استخدم السيف أفضل من الجميع مرتين، مرة علي باب "**أخشي**" والأخرى على باب "**شاهرخيه**"، وكان يصيب بسهمه العلامة الوسطى"[٧١]. كان قوي القبضة، وما نازله أحد إلا وصرعه بقبضته. وكثيرا ما استبدل الحرب بالسلام والعداء بالصداقة نتيجة طموحه لتوسيع مملكته. أفرط في الشراب في مطلع شبابه، لكنه فيما بعد لم يكن يعقد مجلس (الشراب) سوى مرة أو مرتين في الاسبوع. كان عذب الصحبة، ويردد الأبيات الجميلة في موضعها. أفرط في أخريات أيامه، في تعاطي المعجون"[٧٢] حتى يغشى عليه أثناء تعاطيه. كان متواضعا [٧٣] رغم ثرائه. ويلعب الطاولة، والقمار أحيانا.

معاركه :

خاض ثلاث معارك، أولها معركة ضد **يونس خان** في المكان المعروف باسم "**تكه سكريتكو**"[٧٤] على ضفة نهر **سيحون**، في الجانب الشمالي من "**أنديجان**". (٨ أ) وهذا النهر يجري ضيقا في سفح الجبل، ويروى أن الماعز كانت

---

[٧١] العلامة الوسطى، يعني أنه كان دقيق التصويب ويمكنه إصابة قلب الهدف.

[٧٢] المعجون، مادة غليظة القوام يدخل في تركيبها الأفيون. شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص١٣٧١/٢.

[٧٣] جاء في الترجمة الإنجليزية بدلا من هذه العبارة، عبارة "وكان بطبعه عاطفيا ويحمل الكثير من سجايا العشق". انظر. Annetta Susannah Beveridge, Babur Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970p:16 . وسوف نختصر اسم هذا المرجع فيما بعد إلى "الترجمة الانجليزية".

[٧٤] تكه بمعنى الماعز. وسكريتكو مشتقة من سكمك الجغتائية بمعنى يتطاير و ينطلق وبذلك يكون المعنى منطلق الماعز. انظر. سليمان أفندي البخاري، لغت جغتاي وتركي عثماني، ص١١٠، ص١٨٦. وقد جاءت في الترجمة الفارسية "جهه سكرير".

تنطلق من هناك ولذلك أطلق عليه هذا الاسم، وقد انهزم في هذه المعركة ووقع في الأَسْر. لكن يونس خـان أسدى إليه جميلا بأن سمح له بالعودة إلى ولايته. ولأن المعركة حدثت في هذا المكان، فقد صارت معركة "تكه سـكرينكو" تاريخا في هذه الولاية.

والمعركة الثانية، هي تلك المعركة التي حدثت على ضفة مـاء آراس"[٧٥] في تُركستان، وكانت ضد الأوزبك بعد أن نهبوا ما حول "سَـمَرْقَنْد". فقـد عبر مـاء آراس وكان متجمـدا، وانتصـر عليهم انتصارا مؤزرا؛ وأسرهم وأخذ أموالهم، وأعاد كل هذا إلى أصحابه. وما طمع في شيء منه قَـط. أما ثالث المعـارك، فهي المعركـة التي حارب فيها السلطان احمد مـيرزا، في قرية تسمى "خاص" وتقع بين "شاهرُخِيَّه" و"اوراتيبه"، وقد انهزم فيها.

ولايته :

ولاه والده على ولاية فَرغانه. كما كانت "تاشكَنْد" و"سـيرام" في حوزته في وقت من الأوقات. وهاتان الأخيرتان أعطاهما له أخوه الأكبر السلطان احمـد ميرزا. ثم أخذ (عمر شيخ ميرزا) "شاهرُخِيَّه" بالحيلة، وجعلها في قبضته فترة من الزمن. وفي الأيام الأخيرة كان في يده ولاية "فَرغانه" و"خُجَنْد" و"اوراتيبـه". واسمها الأصلي "أسْروشـنـه"[٧٦] ويسمونها أيضا أُسروش"[٧٧]. وانتُزعت منه

---

[٧٥] ماء آراس، يخرج من شرق الأناضول ويجرى ليصل حتى حوض بحر الخزر. ويبلغ طول مجراه ١٠٥٩ كيلو متر.

[٧٦] أُسْروشنه، جاءت في الترجمة الفارسية على شكل "سروسنه"، ص٦.

[٧٧] أُسروش، جاءت في الترجمة الفارسية على شكل "استروس"، ص٦.

"تاشكَنْد" و "شاهرُخيِّه" . وبعضهم لا يعتبر خُجَنْد من فرغانه .

(٨ب) أرسل السلطان احمد ميرزا الجُنْد إلى "تاشكَنْد" ضد المُغول لكنه هُزم على ضفاف ماء "جير". وكان حافظ بك[٧٨] دولداي في "اوراتيبه" فأعطاها إلى عمر شيخ ميرزا ، ومنذ ذلك الوقت و"أسروشته" تحت إدارته .

أولاده :

بقي للميرزا ثلاثة أولاد وخمس بنات. وكنت أنا ظهير الدين محمد بابُر، أكبر أبنائه. أمي هي "قُتْلُق نكار خانم "[٧٩]"، وابن آخر له هو "جِهانكير ميرزا"[٨٠]" وكان أصغر مني بعامين. وأمه فاطمة سلطان من نسل أمراء الجند من المُغول. وابنه الثالث هو " ناصر ميرزا "[٨١]" ؛ وأمه جارية اندجانية تدعى أُميد . وكان أصغر مني بأربع سنوات. وأكبر بناته هي شَقيقتي البيكَم[٨٢] خوانزاده[٨٣]. وكانت أكبر مني بخمس سنوات .

عندما أخذتُ "سَمَرْقَنْد " في المرة الثانية[٨٤]، جئت ودافعت عن قلعتها لمدة

---

[٧٨] كلمة بِك لقب تركي يطلق على النبلاء وبعض الأمراء والقواد وأصحاب النفوذ. أنظر، شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص ٢/٢٩٧.

[٧٩] وتنطق خانم، وهي تأنيث لكلمة خان، هي بمعنى ابنة الخان أو زوجته.

[٨٠] كان جهانكير ميرزا أميرا في آخسي وكان في العاشرة من عمره عندما اعتلى بابُر عرش فرغانه، انظر،
Bilâl Yücel,a.g.e.,,s.9.

[٨١] كان ناصر ميرزا أميرا في كاسان، وكان في الثامنة من عمره، عندما تولى بابُر عرش فرغانه، انظر،
Bilâl Yücel,, a.g.e., s.9.

[٨٢] البيكَم، وتكتب بالعربية بيجوم، وهي مؤنث كلمة بك التركية وتعني الأمير، بينما يرى جوستاف لوبون أنها تكتب بيخَم، محرفة عن لفظ بي غَم أي التي لا ترى الغم وهو لقب يطلق على المرأة في حرم الأمير، وهو لفظ شائع في الهند.انظر، جوستاف لوبون، حضارات الهند،ط١، ١٩٤٨، ص٤٣٣.

[٨٣] خوانزاده، وكتبها بابُر احيانا خانزاده بهذا الشكل الذي تنطق به.

[٨٤] كان ذلك في سنة ١٥٠٠م =٩٩٦هـ.

خمسة أشهر، رغم هزيمتي في **سَربول**[٨٥]. ولم أجد عونا قط من السلاطين والأمراء الذين في الأطراف والجوار، فملأني اليأس وتركتها. وفي تلك الفترة وقعت (شقيقتي) **البيكم (خوانزاده)** في يد **محمد شيباني خان**، وأصبح لها ولدا منه يدعى **خُرَّم شاه**. وكان ابنا مقبولا. وأعطاه[٨٦] ولاية "**بلخ**"[٨٧]. (٩أ) وبعد أن مات والده بسنة أو سنتين، انتقل هو أيضا إلى رحمة الله. وكانت **البيكم خوانزاده** هناك[٨٨] عندما انتصر **الشاه اسماعيل**[٨٩] على **الأوزبك** في "**مَرو**"[٩٠]، فعاملها معاملة طيبة مراعاة لي، وأرسلها إليّ في "**قوندوز**"[٩١]. كانت عشر سنوات قد مضت لم نلتق خلالها أنا **ومحمد كوكلتاش**. وذهب كلانا لرؤيتها ولم تعرفني **البيكم** ولا من حولها، إلا بعد أن نطقتُ باسمي.

واحدة من البنات هي **البيكم مهربانو**. وهي شقيقة **ناصر ميرزا**، وأكبر مني بسنتين. **والبيكم شهربانو** أيضا، كانت أيضا أختاً شقيقةً **لناصر ميرزا**. وكانت أصغر مني بثمان سنوات. (وابنة) أخرى هي **البيكم يادكار سلطان**؛

---

[٨٥] انهزم بابر أمام شيباق خان في سربول سنة ١٥٠٦م=٩٠٦هـ. انظر وقائع تلك السنة من بابر نامه.

[٨٦] يقصد شيباق خان.

[٨٧] بلخ، مدينة مشهورة من أجل مدن خراسان، وأذكرها خيرا وأوسعها غلة. ويقال لجيحون نهر بلخ. معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٣، وتقع بلخ في القسم الشمالي من أفغانستان بين كابل وبخارى وتبعد عن كابل ٥٠٠ كم، وعن بخارى ٥٢٠ كم. قاموس الأعلام، ج٢، ص١٣٤١. وترجع أهمية بلخ إلى موقعها الوسط فهي تقع على أبعاد متساوية من الحدود الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية لمنطقة إيران الشرقية ذات الحضارة العريقة. بارتولد. تركستان، ص١٦١.

[٨٨] يقصد في بلخ.

[٨٩] يقصد الشاه اسماعيل الصفوى.

[٩٠] انتصر الشاه اسماعيل الصفوى على "شيباني خان" الأوزبك عام ٩١٤هـ=١٥٠٨م ودخل هراة ومرو وخضعت له جميع "خراسان".

[٩١] أضافت الترجمة الفارسية في هذا الموضع عبارة "والحق أن الشاه اسماعيل كان شهما للغاية". انظر الترجمة الفارسية، ص٦.

وكانت أمها جارية تسمى أغا سلطان. وابنة أخرى هي البيكم رقية سلطان التى يطلقون عليها اسم البيكم قراكوز؛ وأنها هي البيكم مخدوم سلطان. وكلاهما ولدت بعد موت الميرزا[٩٢]. وقد تربت البيكم يادكار سلطان في كنف البيكم يسان دولت جدتي لأمي. وقد وقعت البيكم يادكار سلطان في يد ابن حمزه سلطان[٩٣] ويدعى عبد اللطيف سلطان، عندما استولى "شيباني خان"، على "أنديجان" و" أخسي". ولحقت بي عندما انتصرت في ولاية ختلان[٩٤] على السلاطين الذين كانوا تحت رياسة حمزة سلطان واستوليت على حِصار[٩٥]. وفي فترة النزاعات هذه وقعت البيكم رقية سلطان في يد جاني بك سلطان (٩ب) وأصبح لها ولد أو اثنان؛ لكنهما ماتا. والآن علمنا بانتقالها إلى رحمة الله.

نساؤه وجواريه :

(من نسائه) قتليق نكار خانم، وهي الابنة الثانية ليونس خان، والأخت الكبيرة للسلطان محمودخان والسلطان أحمدخان.

وينحدر يونس خان، من نسل جغتاي خان الابن الثاني لجنكيزخان. ويونس خان هو ابن ويس خان بن شير علي أوغلان بن محمد خان بن

---

[٩٢] الميرزا، يقصد والده عمر شيخ ميرزا.

[٩٣] حمزة سلطان، هو الزوج الثاني للطيفة بيكم زوجة السلطان أحمد ميرزا عم بابر.

[٩٤] ختلان، جاءت في الترجمة الفارسية جيلان، انظر الترجمة الفارسية ص ٦. أما ختلان فتقع فيما وراء النهر بين "سمرقند" وحصار. قاموس الأعلام ج٣، ص٢٠٢٢/٢.

[٩٥] حِصار، اسم مدينة وأيضا منطقة جبلية في الجنوب الشرقي من "سمرقند" وتبعد مسافة ٣٨٠كم من جنوب شرق بخارى، قاموس الأعلام، ج٣، ص ١٩٦١. وتقع حصار اليوم في اوزبكستان. كما أن كلمة حصار في التركية تعني القلعة.

خضرخوجه خان بن توغلق [96] خان بن ايسان بوغاخان [97] بن دوواخان بن باراق خان بن ييسون تاوا بن موتوغن [98] بن جغتاى خان بن جنكيزخان. ومادام الحديث يتصل بالخانات، فلنذكر باختصار أحوال الخانات أيضا.

سيرة يونس خان :

يونس خان وإيسان بوغاخان، هما ابنا ويَس خان. وأم يونس خان هى ابنة أو حفيدة الشيخ نور الدين، أحد وجهاء الأتراك القبجاق [99]. كان (هذا الشيخ) يحظى بحماية الأمير تيمور [100]. انقسمت الأمة المغُولية بعد وفاة ويَس خان، إلى فرقتين؛ أخذت إحداهما جانب يونس خان، والأخرى وهى الأغلبية أخذت جانب إيسان بوغا خان. وقبل ذلك أخذ ألُغ بك [101] ميرزا، الأخت الكبيرة ليونس خان، لعبد العزيز ميرزا [102]. وبتلك المناسبة فإن "ايرزن" (١٠أ) وهو من رؤساء العشرة آلاف فى بارين، و "ميرك توركمان"

---

[96] طوغلق، جاءت فى الترجمة الفارسية توغلوغ، انظر الترجمة الفارسية ص٦.

[97] ايسان بوغاخان، جاءت فى الترجمة الفارسية آيس بوغان خان، انظر الترجمة الفارسية ص٦.

[98] موتوغن، جاءت فى الترجمة الفارسية مواتوكان، انظر الترجمة الفارسية ص ٦.

[99] الأتراك القبجاق: الأتراك الذين يقطنون القبجاق وهو اسم نهر يهبط من جبال هندكوش إلى المكان الذي يلتقى فيه نهر "اندرآب "مع نهر" قيزيل إيرماق "أى النهر الأحمر بين سلسلة جبال أورال ومجرى نهر الفولجا. وتوجد بعض القبائل منهم تسكن جنوب غرب سيبيريا فى خيوه وبخارى وخوقند. قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٥٩٩.

[100] الأمير تيمور، يقصد تيمور لنك.

[101] ألُغ بك، هو ابن شاهرُخ ميرزا بن تيمورلنك كان واليا على "سَمَرْقَنْد" فى حياة والده. كان مولعا بالعلوم خاصة علم الفلك وله زيج ومرصد ومدرسة فى سَمَرْقَنْد. وكان متبحرا أيضا فى علم القراءة وسائر العلوم الشرعية. وبعد وفاة والده شاهرخ ميرزا خلفه ألُغ بك على العرش التيمورى وصارت له ما وراء النهر كلها، لكن ابنه عبد اللطيف ميرزا عزله وسجنه ثم قتله وكان ذلك فى العشر من رمضان عام ٨٥٣هـ = ١٤٤٩م. وقد وصف بأنه بحر العلم والعقل، مسند الدنيا والدين، انظر بابر نامه ورقة ٥٠ أ. وأيضا، حربى سليمان، المرجع السابق، ص١/٢١.

[102] عبد العزيز ميرزا، هو الابن الثانى لأولُغ بك بن شاهرخ بن الأمير تيمور. ويعنى أنه زوّجها له.

وهو من رؤساء العشرة آلاف في جيراس ، جاءا بالخان مع شعب مُغولي يبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف عائلة، إلىَ أُلُغ بك ميرزا بغية تلقي العون (منه)، واستعادة (السيادة على) الشعب المغولي مرة أخرى. لكن الميرزا لم يُظهر (نحوهم) إنسانية ؛ فأسَرَ فريقا منهم، وفرّق الآخرين في ولايات مختلفة. وصارت هزيمة إيرزن هذا، تاريخا لدى الشعب المُغُولي. ثم أرسلوا الخان إلى العراق، وبقي في تبريز[103] أكثر من عام. كان حاكم تبريز في ذلك الوقت هو جيهانشاه البارانى من القره قويونلى[104] . ثم جاء من هناك إلى شيراز[105]، وكان بها إبراهيم سلطان ميرزا الابن الثاني لشاهرُخ ميرزا. ومات إبراهيم ميرزا بعد خمسة أو ستة أشهر، وحل محله عبد الله ميرزا[106] . والتحق الخان بخدمته وأمضى في " شيراز " وفي الولايات الكائنة في ذلك الجانب، سبعة عشر أو ثمانية عشر عاما .

انتهز " إيسان بوغا " فرصة صراع أُلُغ بك ميرزا وأولاده، وهاجم ولاية فَرغانه. فوصل "كندبادم "، واستولى على "أندجان "، وأسر أهلها جميعا .

---

[103] تبريز، واحدة من أكبر وأشهر مدن إيران، وهي مركز منطقة آذربيجان، وتقع على حافة سهل واسع يمتد حتى الساحل الشرقي من بحيرة أرميه على مسافة ٤٨٠كم شمال غرب طهران. قاموس الأعلام، ج٣، ص ١٦٢٣.

[104] القره قويونلي، ومعناها أصحاب الشاة السوداء، وهي واحدة من الدول التركمانية التي ظهرت بعد خروج تيمورلنك. أسسها قره يوسف التركماني سنة ٨٠٩هـ =١٤١٣م وحكمت لمدة ٦٣ سنة في مناطق آذربيجان والعراق وبحر قزوين. وحكم منها أربعة حكام هم قره يوسف بن محمد، ثم ابنه مير إسكندر، ثم ميرزا جهانشاه بن قره يوسف وآخرهم حسن علي بن جهانشاه. قاموس الأعلام ج٥،ص٣٦٤٢.

[105] شيراز مركز إقليم فارس وأجمل وأشهر مدن إيران. وهي مدينة تجارية، وإليها ينتسب كثير من أدباء وشعراء الفرس أمثال سعدى الشيرازى،وحافظ الشيرازى،وأبو إسحاق الشيرازي. قاموس الأعلام، ج٤، ص٢٨٩٥.

[106] عبد الله ميرزا، هو ابن ابراهيم بن شاهرخ، وصهر أولغ بك.

بعد اعتلاء السلطان أبوسعيد ميرزا العرش [١٠٧]، أرسل جيشا وانتصرعلى إيسان بوغاخان نصرا مؤزرا فى اسفرا فى الجانب الآخر من "ينكى" فى "مغولستان". (١٠ب) ولدفع هذه الفتنة، جاء السلطان أبوسعيد ميرزا بيونس خان من "العراق" و"خُراسان"، وتزوج بالسيدة الأخت الكبيرة (ليونس خان) التى كانت متزوجة سلفا من عبد اللطيف ميرزا. وأقيمت الأفراح، وتصادقا. وعيَّنه خانا على الشعب المغولي وأرسله إلى هناك.

فى هذه الأثناء، وصل أمراء العشرة آلاف وهم من "ساغريجى"، إلى "مغولستان"، يشكون من إيسان بوغا خان. وكان شيرحاجى بك هو أكبر أمير فى "ساغريجى" آنذاك. وجاء معهم يونس خان وتزوج البيكم "إيسان دولت" ابنة شيرحاجى بك. ورفعوا الخان والبيكم إيسان دولت على لبّاد أبيض حسب عادة المغول وأعلنو يونس خانا (للمغول). وأنجب يونس خان من هذه البيكم ثلاث بنات. أكبرهن ميهرنكارخانم، وقد زوَّجها السلطان أبوسعيد ميرزا لابنه الكبير السطان احمد ميرزا ولم تنجب منه. ثم وقعت فى فترة الفتن فى يد "شيبانى خان" [١٠٨]. ثم تركت "سمرقند" ومعها شاه بيكم، إلى "خُراسان" ولحقتا بى أثناء وجودى فى كابل. فلما حاصر "شيبانى خان"، ناصر ميرزا فى قندهار [١٠٩] وذهبتُ إلى "لامغان"، ذهب "ميرزا خان"، والبيكم شاه وميهر

---

[١٠٧] اعتلى السلطان أبو سعيد ميرزا العرش سنة ٨٥٥هـ.

[١٠٨] كان ذلك سنة ٩٠٥هـ = ١٥٠٠م.

[١٠٩] فى هذه الواقعة، انظر وقائع سنة ٩١٣هـ من بابر نامه.

نكارخانم، إلى بدخشان. لكن المغيرون من أتباع أبوبكر الكاشغرى، قطعوا الطريق على "ميرزاخان" أثناء توجهه إلى قلعة ظفرمبارك شاه، (١١أ) فوقعت البيكم شاه ومهرى نكار وكل العائلات المرافقة لهما فى الأسر. وقد ودعتا هذه الدنيا الفانية وهما فى ذلك الأسر الظالم.

وابنته الثانية، هى أمى قتليق نكارخانم. وقد قاستنى أكثر أيام الحروب والفتن. وانتقلت إلى رحمة الله فى عام تسعمائة وأحد عشر[١١٠] بعد استيلائى على كابل بخمسة أو ستة أشهر.

والابنة الثالثة، هى خوب نكارخانم، وقد أعطوها لمحمد حسين جورجان دوغلت[١١١] وانجبت منه بنتا وولدا، وقد تزوجت ابنتها من عبيد خان[١١٢]. وكانت هناك (فى سمرقند) عندما استوليت على "بخارا" و"سمرقند"[١١٣]. فلما جاء عمها سيد محمد ميرزا إلينا فى سمرقند، مبعوثا من عند السلطان سعيد خان، ذهبت معه وتزوجت السلطان سعيد خان. ولما ابن هو حيدر ميرزا[١١٤] جاء والتحق بخدمتى لمدة ثلاث أو أربع سنوات، بعد مقتل والده على يد الأوزبك، ثم استأذن وذهب إلى الخان فى كاشغر.

---

[١١٠] يقابل عام ١٥٠٥م.

[١١١] دوغلات. نسبة إلى إحدى القبائل المغولية المعركة وكانوا يحكمون فى منتصف القرن الرابع عشر مساحة شاسعة تضم بالإضافة إلى تركستان الصينية، فرغانه والجزء الشمالى من يدى صو حتى بحيرة ايش كول. بارتولد،تاريخ الترك، ص٢١٨.

[١١٢] عبيد خان: هو ابن السلطان محمود خان.

[١١٣] كان ذلك فى عام ٩١٧هـ-١٥١١م.

[١١٤] حيدر ميرزا، هو محمد حيدر ميرزا كوركان دوغلات (٩٠٥-٩٥٨هـ/١٤٩٩-١٥٥١م) زوج خالة بابر شاه خوب نكار خانم ومؤلف تاريخ رشيدى.

كل شيء، ذهبا كان، أو فضـة

أو قصديرا، لابد وأن يعود لأصله "[115].

ويقولون أنه قد تاب[116] الآن، وسلك طريقا قويما، وأصبح ماهرا فـي كل شيء ؛ كالخط والرسم واستخدام السهم والرمح والقوس. (١١ب) ولديه أيضا استعداد للشعر. وقد أرسل إلي بعضا من أشعاره وإنشاؤه لابأس به.

كانت "البيكم شـاه" واحدة من زوجات يونـس خـان. ورغم أن له زوجات أخريات، إلاأن هاتين السيدتين هما من أنجبا أولاده. والبيكم شاه هي ابنة شاه سلطان محمد، شاه بذخشان.

ويُروى أن نسب شاهات بذخشان هؤلاء، يصل إلى الاسكندر فيلقوس[117].

وابنة أخرى لهذا الشاه،وهي الأخت الكبرى للبيكم شاه. أخذها السلطان أبوسعيد ميرزا، وأنجب منها أبوبكرميرزا. وأنجبت هذه البيكم شاه من يونس خان ولدين وستين أكبرهم السلطان محمد خان، وهو أصغر من الثلاث بنات السابق ذكرهن[118].

ويدعونه أحيانا في "سمرقند" وفي تلك النواحي بـ "خان ايكا خان"[119].

كان السلطان أحمد خـان الذي اشتهر باسم "آلجاخـان"، أصغر من

---

[115] هذه الأبيات بالفارسية. وهذاه الأبيات في الأصل وردت مكتوبة باللغة العربية في كتاب حيدر ميرزا المسمى "الـــواريخ رشيدي"، انظر الترجمة الإنجليزية، ص٢٢/٣.

[116] يقصد بالتوبة أنه عاد إلى مذهب أهل السُّنَّة، حيث إن بابر يسمى المذهب الشيعي "العقيدة الفاسدة". انظر، بابر نامه ورقة ٦٨ب.

[117] الاسكندر فيلقوس: يقصد الإسكندر المقدوني.

[118] يقصد بنات دولت بيكم.

[119] ايكا أو ايكم، كلمة جغتائية بمعنى صاحب أو مُربي، انظر، سليمان افندي البخاري، نفس المرجع ص٥٤/٢..

السلطان محمود خان. وسبب شهرته باسم "آلجا"، هو أنهم في لغة القلماق[120] والمغول، يقولون على القاتل "آلجا". وقد أطلقوا عليه هذا الاسم لأنه انتصر عدة مرات على القلماق، وذبح كثير من الرجال. ولكثرة استخدام هذه التسمية، صار اسمه آلجا. وسيأتي ذكر هذا مرة أخرى في موضعه عند الحديث عن هؤلاء الخانات، وعندئذ سنذكر وقائعهم وأحوالهم.

(١٢أ) سلطان نكارخانم، وكانت أصغر من الآخرين[121]، وأكبر من بنتها الأخرى. وقد أعطوها للسلطان محمود ميرزا، وأصبح لها منه ابنا اسمه سلطان وَيْس سيأتي ذكره في هذا التاريخ. وبعد موت السلطان محمود ميرزا، أخذتْ ابنها، وذهبَت سرا إلى أخيها الكبير في تاشكند، وبعد عدة سنين أعطوها لأديك سلطان وهو من سلاطين القَزَاق[122]، وينحدر من نسل جوجي الابن الأكبر لجنكيزخان. وعندما انتصر "شيباني خان"[123] على الخانات واستولى على تاشكند وشاهرخيّه، هربَتْ مع اثنى عشر مُغوليا كانوا في خدمتها، وذهبَت إلى "اديك سلطان"[124]. وأنجبَت منه ابنين، أعطوا إحداهما إلى سلطان[125] من

---

[120] القلماق أو القالموق اسم قوم من جنس المغول كانوا يعيشون في ذلك الوقت في منغولستان منتشرين في الأراضي الواسعة الممتدة من حدود الصين والتبت إلى مجرى نهري الدون والفولجا. قاموس الأعلام ج٥، ص٣٥٥٧.

[121] الآخرين، يقصد أصغر من أخويها السلطان محمد خان و السلطان أحمد خان.

[122] القَزَاق، أو القازاق وتكتب أيضا قوزاق وقزاق، بمعنى حليق اللحية. ويطلق على نوع من العسكر المهاجمين وكانوا يتميزون بأنهم بغير لحي. ويطلق هذا الاسم أيضا على فريق من الأوزبك انشقوا عن قومهم وسموا من أجل ذلك قازاق وهم نوع من العسكر الغاوين وكانوا يسكنون السهوب بجوار تاشكند،انظر، شمس الدين سامي، قاموس تركي، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٦٨، ٣/١، و. بارتولد، تاريخ الترك مرجع سبق ذكره، ص٢٤١. الترجمة التركية، ج٢، ص ٥٠٠.

[123] شَيْبَاني خان، هو نفسه شيباق خان المذكور في هذا النص.

[124] اديك سلطان، احد سلاطين القازاق وينحدر من نسل جوجي أكبر أبناء جنكيزخان، أنظر، الترجمة التركية، الملاحق، ص٢/٤٧٠

الشيبانيين، والأخرى إلى رشيد سلطان ابن السلطان سعيد خان. ويقولون إن قاسم خان (حاكم) شعب القزاق أخذها بعد "اديك سلطان". ولا يوجد بين خانات وسلاطين القزاق من سيطر على هذا الشعب مثل قاسم خان. وكانوا يقدرون عدد جنوده بحوالى ثلاثمائة ألف. وبعد موته، عادت الخانم إلى السلطان سعيد خان فى كاشغر.

وهناك بنت أخرى أيضا هى دولت سلطان خانم، وكانت أصغرهم. وقعت لتيمور سلطان (١٢ب) ابن "شيباق خان" بعد هزيمة تاشكند وأنجبت منه بنتا. كانت (وابنتها) قد خرجتا معى من سمرقند وأقامتا فى ولاية بدخشان لمدة ثلاث أو أربع سنوات، توجهتا بعدها إلى السلطان سعيد خان فى كاشغر.

اولوس أغا[126]:

إحدى نساء عمرشيخ ميرزا، وهى بنت خوجه حسن بك. أنجبت منه بنتاً ماتت فى سن صغيرة. وبعدعام ونصف، أخرجوا أولوس أغا من الحريم. واحدة منهن ؛ هى فاطمة سلطان أغا من أمراء العشرة آلاف المغول.

---

[125] سلطان هنا بمعنى أمير. وكان أبناء الخانات من المغول والأوزبك يلقبون بلقب سلطان، و فى هذه الحالة يأتى لقب سلطان تاليا للاسم، مثل تيمور سلطان، ابن شيباق خان الأوزبكى، وغنيه سلطان بن محمود خان. كما كان لقب سلطان يسبق أيضا أسماء السيدات من نساء المغول مثل، سلطان نكار خانم بنت يونس خان. أما السلاطين الحكام من المغول والتيموريين فيأتى لقب سلطان قبل الاسم مثل السلطان محمود ميرزا. والسلطان محمود خان.وكما تبين من بابر نامه ورقة ١٩٣أ وغيرها.

[126] كان من عادة بابر فى كتابه هذا أن يسترسل فى بعض التفاصيل الدقيقة ثم يعود بعد ذلك إلى الموضوع الأساسى. وبابر هنا كان يتحدث عن سيرة والده شيخ عمر ميرزا ثم رأى أن يكتب عن الخانات وأحوالهم وهم أهله من ناحية أمه قتلق نكار خانم، وبعد أن استرسل بابر فى الحديث عن الخانات وتاريخهم كما ذكر فى ورقة ٩ب رجع بابر مرة أخرى إلى الموضوع الأساس الذى كان يتناوله وهو الحديث عن نساء والده عمر شيخ ميرزا.

كان الميرزا قد أخذ فاطمة سلطان أغا هذه قبل الجميع. ثم أصبحت البيكم " قراكوز "[127] التى أخذها فيما بعد هي المفضلة لديه. ولكي تروق للميرزا جعلوا نسبها متصلا بـ " منوجهر ميرزا "، الأخ الأكبر للسلطان أبوسعيد ميرزا.

إماؤه :

ومن كثيرات أيضا. إحداهن كانت "أميد أغاجه " وقد ماتت قبل الميرزا. و" تون" المغولية، وهي من اللآتي أخذهن الميرزا في أواخر أيامه، وأخرى هي "أغا سلطان ".

أمراؤه :

من أمرائه خداي بردى تيمور طاش، وهو من نسل شقيق "آق بوغا بك" حاكم "هراة "[128]. وعندما حاصر السلطان أبوسعيد ميرزا، "جوكي ميرزا"[129] في شاهرخيه[130]، أعطى ولاية " فرغانه " إلى عمر شيخ ميرزا، وعين

---

[127] قراكوز بيكم ،بمعنى السيدة ذات العيون السوداء.

[128] هراة، وتكتب أيضا هرى. هي مدينة هامة وعاصمة من عواصم "خراسان "في شمال غرب أفغانستان الحالية على الساحل الشرقي لنهر "هرى "أو "هريرود ". انظر، النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٠٦/١. ويقول عنها ياقوت الحموي، لم أر بخراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧هـ مدينة أجل ولا أعظم ولاأفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها. فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ن ومملوءة بأهل الفضل والثراء.(معجم البلدان، ج٨، ص ٤٥٦). وقد ازدهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين فأصبحت من مراكز العلم والفن (خاصة في زمن السلطان حسين بايقرا التيموري). ومنها خرج كثير من العلماء والأدباء وأهل الفن ممن يلقبون بالهروي. ومنهم مولانا عبد الرحمن الجامي ومير علي شير نوائي وقد عاصرا بابر وورد ذكرهما في كتابه. إلى جانب عدد كبير من الفقهاء والأدباء والفنانين الذين ترجم لهم بابر في الجزء الخاص بكامل من كتابه هذا وهو بصدد الترجمة للسلطان حسين بايقرا. انظر، بابر نامه،ورقة ١٦٨أ وما بعدها.

[129] جوكي ميرزا،حفيد ؟ وليغ بك-ميرزا من ابنه عبد اللطيف ميرزا.

[130] شاهرخيه،قصبة على نهر سيحون بالقرب من خجند أسسها تيمور لنك باسم ابنه شاهرخ. قاموس الأعلام ج٤،

خداى بردى تيمورطاش أيضا حاجبا له. (١٣أ) وكان خداى بردى تيمورطاش آنذاك فى الخامسة والعشرين. وكانت إدارته وطريقته فى تسيير عمله ممتازتان رغم صغر سنه. وعندما أغار" إبراهيم بيكجك "[١٣١] على نواحى " أوش" بعد سنة أو اثنين، خرج خداى بردى تيمورطاش فى أعقابه وحاربه؛ لكنه هُزم واستشهد. كان السلطان احمد ميرزا فى ذلك الوقت، موجودا فى هضبة تسمى "آق قاجغاى " فى "اوراتيبه " على مسافة عشر فراسخ"[١٣٢] شرق "سَمَرْقَنْد ". أما السلطان أبوسعيد ميرزا، فكان فى "باباخاكى " فى شرق هراة باثنى عشر فرسخاً. وقد نقلوا هذا الخبر إلى الميرزا عن طريق " عبد الوهاب شقاول "[١٣٣]. فقطع هذا الطريق البالغ طوله مائة وستة وعشرين فرسخا فى أربعة أيام.

حافظ محمد بك دولداى:

وهو الأخ الأصغر لـ "أحمد حاجى بك"، ابن السلطان ملِك الكاشْغَرى. وقد أرسلوه (إلى عمر شيخ ميرزا) بعد موت خداى بردى بك، ليكون حاجب أعظم[١٣٤] لديه.

ص٢٨٣٧.

[١٣١] إبراهيم بيكجك اخو ايوب بيكجك أحد أمراء السلطان محمود ميرزا والوصى على ابنه "باى سُنقُر ميرزا ".

[١٣٢] عشر فراسخ، مسافة تساوى خمسين كيلو مترا.

[١٣٣] عبد الوهاب شقاول، أحد أمراء المغول، عمل لدى عمر شيخ ميرزا ثم السلطان أحمد ميرزا، الترجمة التركية، الملاحق ص٤٤٠.

[١٣٤] حاجب أعظم، وردت فى النص الأصلى "ايشك اغهار" و هذا اللقب يُطلق على الحاجب فى تركستان، الترجمة التركية، ص٦٠٦، يعادل لقب حاجب بزرك لدى السلاجقة وهو لقب الحاجب الأعظم وكان يشرف على سير الأمور فى البلاط، وينظم الاتصال بين الناس والسلطان. انظر، عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة ١٩٧٠ص١٦١.

وبعد موت السلطان أبوسعيد ميرزا لم يستطع أمراء "أنديجان" التفاهم معه، فذهب إلى "سَمَرْقَنْد" لملازمة السلطان احمد ميرزا، وكان موجودا في "اوراتيبه" وقت هزيمة السلطان احمد ميرزا فى "جـير". (١٣ب) وقد سلم "اوراتيبه" لرجال عمر شيخ ميرزا لدى وصوله إليها وهو فى الطريق إلى سَمَرْقَنْد، ودخل هو نفسه في خدمة الميرزا"[١٣٥]. فأسند إليه عمر شيخ ميرزا إدارة "أنديجان". وبعد ذلك ذهب إلى السلطان محمود خان، فأعطاه "ديزك"، وعهد إليه بإدارة شؤون "ميرزا خان". وقد انتقل إلى رحمة الله وهو فى طريقه من الهند إلى مكة المكرمة، وذلك قبيل استيلائي على كابُل. لم يكن يحب المظاهر، قليل الكلام وبسيط.

الخوجه حسين بك :

كان يعشق الفرح والمظاهر. ويجيد غناء "القوشمه"[١٣٦] فى مجالس الشراب حسب عادة ذلك الزمان.

الشيخ مزيد بك :

عُيِّن فى أول الأمر وصيا عليّ، فكان بارعا في حزمه وإدارته. كما خدم لدى "أبوالقاسم بابُر ميرزا"[١٣٧]. ولم يكن هناك أميرا أكبر منه عند عمر شيخ ميرزا. لكنه كان فاسقا ومولعا بالغلمان.

---

[١٣٥] الميرزا، يقصد عمر شيخ ميرزا.

[١٣٦] غناء القوشمه، نوع من الغناء تتكرر فيه الفقرات في غاية المصراع الرابع من كل رباعية.

[١٣٧] أبوالقاسم بابُر ميرزا، أحد الأمراء التيموريين وهو ابن بايسنقر ميرزا بن شاهرُخ ميرزا بن تيمور لنك جلس على عرش خراسان بعد موت عبد اللطيف بن ألغ بك ميرزا لمدة سبع سنوات وتوفى سنه ٨٦١ هـ، قاموس الأعلام، ج٢، ص ١/١١٧٩.

ميرعلي مزيد بك :

وهو من عشائر **القوجين** [١٣٨] وقد تمرد مرتين، مرة في " **أخسي** "، والأخرى في **تاشكند** . كان منافقا، فاسقا، ناكرا للجميل، فاسدا .

ميرحسن يعقوب بك :

كان متواضعا، طيب السجايا، سريع الحركة وذا لياقة، وهذا البيت له :

يا طائرالسعد عد وأقبل، فقد أوشك الغراب أن يحمل عظامي،

بسبب غياب ببغاء حظك [١٣٩]

وكان شجاعا، ماهرا في رمي السهم، ويجيد استخدام الصولجان [١٤٠] . (١٤أ) ثم أصبح "صاحب إختيار" [١٤١] عندي بعد موت عمر شيخ ميرزا . وهو ضيق الأفق، قليل الحيطة، ومثير للفتن.

مير قاسم بك :

وهو من القوجين ومن أمراء الحرب القدامى في " **أنديجان** ". ثم أصبح " صاحب إختيار" عندي بعد **حسن بك** . كانت قدرته ومكانته في صعود مضطرد إلى أن وافته المنية. وكان شجاعا . خرج ذات مرة في أعقاب

---

[١٣٨] القوجين، إحدى قبائل الجغتائيين في تركستان. وكانت تطلق على الفريق المميز من الجيش. انظر، الشيخ سليمان افندي البخاري، المرجع نفسه ص٢/٢٣٢ . بارتولد، تاريخ الترك، ص٢٢٢.

[١٣٩] البيت مكتوب باللغة الفارسية .

[١٤٠] الصولجان، عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة. انظر، المعجم الوجيز، ص٢/٣٧٤، وأيضا المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٧٢. ص ١/٥٢٠.

[١٤١] صاحب إختيار، أي "وزيرا مميزا". فكلمة صاحب عبارة عن لقب يختص به الوزراء في الفارسية،وصاحب اختيار هو المختار أو المنتقى، أو الممتاز انظرشمس الدين سامي، قاموس تركي ص٣/٨٠، وأيضا،

Ziya Şüklin,Farsça-Türkçe Luğat,Milli Eğitim Basımevi,Istanbul1984, c2. s.135.

الأوزبك عندما نهبوا نواحي " كاسان "، وهزمهم هزيمة منكرة. واستخدم السيف لصالح " عمر شيخ ميرزا ". وحارب ببسالة في حرب " ياسي كجيت "[142].

في أيام الفتن، عندما قررتُ التوجه من جبال "مسيحا "[143] إلى السلطان محمود خان ، انفصل عنا مير قاسم بك وذهب إلى "خُسرو شاه ". فلما وقع " خُسرو شاه " في أسْري عام تسعمائة وعشر[144] وتوجهت إلى كابُل لحصار "مُقيم "[145]، عاد إلينا "قاسم بك " مرة ثانية ، فشملته برعايتي وحمايتي كسابق عهدي معه. وأثناء هجومنا على التركمان الهزاره"[146]، في"دره ء خوش"[147]، تقدم " قاسم بك " رغم شيخوخته وقاتل في المقدمة أفضل من الشباب، فكافأته بولاية "بنكش". فلما جئت إلى كابُل فيما بعد، (١٤ب) جعلته وصيا على ابني همايون. وقد انتقل إلى رحمة الله أثناء ضم "زامين داور"[148]. كان مسلما متدينا تقيا، لا يأكل المشبوه من الطعام. ويقول نكاتا لطيفة.

---

[142] ياسي كجيت، اسم معبر فوق نهر آيلامش في ولاية فرغانه.

[143] مسيحا، وتكتب أيضا مسيخا، وبجا بالجيم المثلثة. اسم جبل شمال نهر زرفشان. وهو أيضا اسم ولاية تقع بين "سمرقند" وخجند تميل ناحية الغرب من سلسلة جبال آق طاغ أي الجبل الأبيض.

[144] يقابل عام ١٥٠٤–١٥٠٥م.

[145] مُقيم، هو محمد مُقيم أرغون، ابن ذو النون أرغون أحد أمراء "السلطان حسين ميرزا" بايقرا في "خراسان". وهو الأخ الأصغر لشاه شجاع أرغون.

[146] قبائل الهزارا من القبائل التي عاشت في منطقة كابل وغزنه آنذاك. وكانت هذه المناطق تسكنها قبائل وأجناس مختلفة من فرس ومغول وترك وعرب. ومن هذه القبائل الهزارا. انظر، أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧ ج٢، ص٦/٢.

[147] دره ء خوش، أو دره ء تركمان اسم واد في الجبال الواقعة شمال غرب كابل، الترجمة التركية، الملاحق، ص٤٦٤.

[148] زامين داور، تقع غرب وسط قندهار إلى مسافة تسعين ميلا، أسفل جبال الهزارة، على الساحل الأيمن من نهر سياه بند، الترجمة التركية، الملاحق، ص ١/٥٧٠.

ميربابا قولى بابا على بــــك :

وهو من نسل الشيخ علـى بـــهادر. جعلوه وصيا عليّ بعد وفاة الشيخ مزيـــد بـــك. فلما أرسل السلطـــان احـمد مـــيرزا، الجيش إلى "آنـــدجان"[١٤٩]، انضم إليه وسلّمه " اوراتيبه ". وبعد موت الســـلطان محمـــود ميرزا هرب من "سمرقند" ليلحق بي، فخرج له السلطـــان "على ميــــرزا " من " اوراتيبـــــه "، وتقاتل معه، فانهزم وقتل. كان جيدا في إدارته وعتاده، وبحسن المحافظـة على جنوده، لكنه لايصلى ولا يصوم. كما كان ظالمـا، ويبدو كالكافر.

ميرعلى دوست طغـــايى[١٥٠]:

من أمراء مقاطعة "ساغريجى"[١٥١]. وعت بصلة قربى لجدتى السيدة "إيســــن دولت بيكم". حظِىَ عندى برعاية تفوق ما حظى به فى زمن عمر شيخ ميرزا. قالوا عنه " إن الأمر معقود عليه "، لكننى لا أجاوز الحقيقة إذا قلتُ إنه لم ينجز ما يستحق الذكر خلال السنوات الطويلة التى قضاها بجانبى. (١٥أ) وعندما التحق بخدمة السلطان أبوسعيد ميرزا، ادّعى القدرة على جلب المطر بواسطة حجر اليشم[١٥٢]. وكان صيادا للطيور، سيىء الأخلاق والأطوار، حقودا، مثيرا للفتن، عديم

---

[١٤٩] كان ذلك فى العام الذى اعتلى فيه بابر عرش فرغانه سنة ٨٨٩هـ=١٤٩٤م.

[١٥٠] طغايى، لقب يطلق على من ينتسب بصلة قرابة إلى الأسرة الحاكمة. انظر الترجمة الإنكليزية، ص ٣/٢٧.

[١٥١] ساغريجى، أحد مقاطعات المغول.

[١٥٢] اليشم، مصطلح عام يشمل مجموعة من المعادن الصلدة التى تتدرج ألوانها من الأبيض تقريبا إلى الأخضر الأدكن، انظر المعجم الوجيز، ص ٢/٦٨٦.

الشرف، منافقا، مختالا، حاد اللفظ، بارد الوجه.

مير وَيْس لاغــرى :

وهو من عشيرة توقجى فى "سَمَرْقَنْد". صار من ذوى الحظوة والمكانة لدى عمرشيخ ميرزا فى أخريات أيامه. وكان بجانبى فى فترة الفتن. يحسن التفكير والتدبير، لكن به شىء من حب الفتنة.

ميرغياث طغـايى :

الأخ الأصغر لعلى دوســت. لم يكن بين أمراء المُغـول من يتقدّمه لدى السلطان أبوسعيد ميرزا. وكان "مُهْر دار"[١٥٣]. صار من أكثر المقربين إلى عمـو شيخ ميرزا فى أخريات أيامه. وكان مصاحباً لـ "وَيْـس لاغـرى". عندما أسِدَت كاسان إلى السلطان محمود خـان، التحق بخدمته، وقد أحسن الخان رعايته فظل بجانبه إلى أن وافته المنية. كان ضحوك الوجه، مرحاً، لا يتورع عن أعمال الفسق.

مير[١٥٤] على درويـش :

وهو من "خُراسان". عمل لدى السلطان أبوسـعيد مـيرزا ضمن فرقة "فتية خُراسان". فلما آلت "خُراسان" وسَمَرْقَنْد إلى السلطان أبوسعيد مـيرزا

---

[١٥٣] مُهْر دار، بمعنى حامل الخاتم. وهو موظف مهمته حمل الخاتم ـــ والمقصود هنا خاتم السلطان ـــ الذى تختـم بـه الأوراق الهامة. وتعتبر من الوظائف الهامة حيث أن هذا الخاتم هو الذى يعطى هذه الأوراق حجيتها، انظر الترجمة التركيـة، الملاحق، ص ٦٣٥، شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص١٤٣٧/١.

[١٥٤] كلمة "مير" وهي اختصار لكلمة أمير، جاءت فى الأصل، وأغفلتها الترجمة التركيـة ص١٥، والترجمـة الإنجليزيـة ص٢٨. ولم ترد فى أى من الترجمتين مقترنة بأسماء الأمراء.

(١٥ب)، قسّم الفتية الأكفاء على الفرق الخاصة في هاتين العاصمتين ؛ فأطلق على إحداهما اسم "فتية خُراسان "، وعلى الأخرى اسم "فتية سمرْقند" . كان علي درويش شجاعاً وقد استبسل في القتال إلى جانبي عند باب سمرْقند . كان يجيد كتابة خطيّ النسخ والتعليق، مدّاحاً، وإن غلبت الخِسة على طبعه .

مير قَنْبَر علي :

وهو مغولي من سائسي الخيل . أطلقوا عليه اسم "قَنْبَر علي " السلاخ. لأن والده عند مجيئه إلى الولاية[١٥٥]، اشتغل بالسلخ لفترة. واشتغل قَنْبَر علي "إبريقجي"[١٥٦] لدى يونس خان . ثم صار أميراً . وقد حظي عندي برعاية زائدة . كان يتحمّس للعمل في بدايته، وسرعان ما تفتر حماسته ، فيكثر من الكلام ويقول كلاما غير منتظم . ومعروف أن "من يتكلم كثيراً يتعثر كثيراً " . كان محدود الفطنة ، ناقص العقل .

اعتلاء بابُر عرش والده :

توفي عمر شيخ ميرزا أثناء وجودي في "جهار باغ " في "أنديجان" . وبلغني الخبر هناك في يوم الثلاثاء الخامس من رمضان. فاعتراني حزن شديد وامتطيت الجواد على الفور، وتحركت برفقة رجالي وأتباعي قاصدا القلعة . فلما وصلنا إلى باب الميرزا، أمسك شيريم تغاي بلجام جوادي، وقادني

---

[١٥٥] يقصد فرغانه.

[١٥٦] إبريقجي، بمعنى حامل الإبريق. وهي وظيفة توجد في القصور، وتعني الموظف المسئول عن الإبريق للوضوء، وسائر المشروبات، انظر. قاموس تركي ص ١/٦٦ . والترجمة التركية، الملاحق، ص٥٧٥.

ناحية المصلى. وكان يجول بخاطره أنه إذا جاء سلطانا كبيرا مثل السلطان احمد ميرزا، بجيشه الجرار (١٦أ) لابد أن الأمراء سيسلمونني أنا والولاية إليه. أما إذا أخذني[١٥٧] إلى "أوزكند"[١٥٨] وسفح "ايل طاغ"، وحدث أن سلم (الأمراء) له الولاية[١٥٩]، عندئذ يكون بمقدوري الذهاب بأي وسيلة إلى خالي "آلجا خان" أو خالي "السلطان محمود خان". قبل أن أقع في يده.

مولانا القاضي[١٦٠] هو ابن سلطان أحمد قاضي من نسل الشيخ برهان الدين قليج، ويمتد نسبه من ناحية أمه إلى السلطان إيليج ماضي. وقد خرج من هاتين الأسرتين المفتون وشيوخ الإسلام في تلك الولاية[١٦١] وسيكرر ذكره.

عندما علم مولانا القاضي والأمراء الموجودون في القلعه بمجيئي أرسلوا إلينا "خوجه محمد درزي"، وهو أحد رجال عمر شيخ ميرزا القدامى والوصي على إحدى بناته، وكنا قد اقتربنا من المصلى، فاصطحبني ورجع بي (إلى القلعة)، فبدد بذلك الوساوس التي ملأت خواطر (رجالي). ونزلتُ بالقلعة.

جاء مولانا القاضي[١٦٢] والأمراء وأقروا الوضع[١٦٣] ثم انشغلوا بتنظيم وتحصين

---

[١٥٧] يقصد شيرم تغاي.

[١٥٨] أوزكند، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانه. ويقال اوزجند وأوزكند. آخر مدن فرغانه مما يلي دار الحرب، لها سور وعدة أبواب، وإليها متجر الأتراك، ولها بساتين ومياه جارية. انظر، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٤.

[١٥٩] يقصد أن الجند والأمراء سلموا ولاية فرغانه إلى عمه السلطان أحمد ميرزا.

[١٦٠] اضطررت إلى تقديم هذه الفقرة التي يُعرِّف فيها بابر بمولانا القاضي، للمحافظة على سياق المعاني. حيث أن بابر وضع هذا التعريف ضمن الفقرة التالية عقب ذكره لاسم مولانا القاضي، ثم استأنف الكتابة بعده، فانقطع بذلك الموضوع الذي كان يتكلم فيه. ولهذا رأينا أنه من الأنسب تقديم التعريف بمولانا القاضي قبل الخوض في وصف الحدث.

[١٦١] يقصد ولاية فرغانه.

[١٦٢] مولانا القاضي، هو ابن عبد الله سلطان أحمد قاضي. ينتسب من ناحية الأب إلى الشيخ برهان الدين قليج.

أبراج وحوائط القلعة. وبعد يوم أو اثنين، جاء حسن يعقوب وقاسم قوجين وبعض الأمراء الذين أرسلوا إلى مرغينان وما حولها في وقت سابق وانضموا إلينا. وانشغل الجميع بتحصين القلعة باهتمام وحماس كبيرين.

مجيىء السلطان أحمد ميرزا لانتزاع اندجان ثم تراجعه :

(١٦ب) بعد استيلاء السلطان احمد ميرزا على "اوراتيبه" و"خجند" و"مرغينان" وماحولها، تقدم إلى "قُبا"[١٦٤] على مسافة أربعة فراسخ من "أندجان". أثناء ذلك قتل من يدعى "درويش كاو"، أحد أعيان "أندجان" بسبب كلمة غير مناسبة تفوّه بها، فأخضع بهذا التصرف العنيف أهل "أندجان" كلهم. وأرسلنا مولانا القاضي وأوزون حسن[١٦٥] وخوجه حسن، سفراء إلى السلطان احمد ميرزا، برسالة شفهية مفادها: "من المؤكد أنه[١٦٦] سيُعيّن واحداً من رجاله أياً من كان على هذه الولاية[١٦٧]، وأنا من رجاله وابنه في الوقت نفسه. فإذا أسند إلي هذه الولاية، فسوف يُحل الأمر بشكل أفضل وأسهل".

وهو من مريدى الشيخ عبد الله أحراري، وكان أستاذا وشيخا لبابر شاه. انظر، الترجمة التركية ص ٤٨٨، وبابر نامه ورقة ١٦أ.

١٦٣ يقصد أنهم بايعوه بالسلطنة.

١٦٤ وصف الشريف الإدريسي قبا في القرن السادس الهجري بأنها "من أنزه بلاد فرغانه وهي مدينة عالية الأسوار حسنة الأقطار كثيرة التجار ... ومدينة قبا بناها انو شروان ووصل إليها من كل بيت قوما وسماها "از هر خانه" أي من كل بيت". انظر، الشريف الإدريسي المرجع نفسه، ج١، ص ٥٠٧.

١٦٥ أوزون حسن، ورد في هذا النص ذكر شخصين يحملان اسم أوزون حسن، وهذا أحدهما وهو من عشائر الشاة السوداء "القرة قويونلو" وهو الأخ الأكبر لقره بارلاس، وكان يعمل في خدمة بابر. أما الآخر فهو من الآق قويونلو أي تركمان الشاة البيضاء وكان يحكم في آذربيجان والعراق وتوفى سنة ١٤٨٧م، ولم يرد ذكره في هذا الكتاب سوى مرة واحدة فقط في (ورقة ١٢٨أ) أثناء الحديث عن بشه بيكم إحدى نساء السلطان محمود ميرزا.

١٦٦ يقصد السلطان أحمد ميرزا.

١٦٧ يقصد "اندجان".

ولما كان السلطان احمد ميرزا، قليل الكلام بسيطا، لين العريكة، لايبتّ فى أمر أو يقطع رأيا أو يتصرف إلا بمشورة أمرائه، فقد استقبل أمراؤه اقتراحى استقبالا فاترا ولم يلتفتوا إليه. ولما كان الله دائما يقضى لى حوائجى بقدرته سبحانه وتعالى وبغير منّة من أحد، فقد اعترضتهم هذه المرة بضع صعاب، ضاقوا بسببها، وجعلتهم يتجرعون الشعور بالندم، فرجعوا بدون أن يظفروا بمرادهم.

من هذه العقبات (التى واجهتهم)، أنه يوجد فى "قُبا" مستنقع ماء أسود، يستحيل اجتيازه من غير الجسر. وقد تجمع فوق هذا الجسر جمعٌ غفيرٌ من الجُند (١٧أ) لاجتياز المستنقع، فانكسر بهم الجسر وسقط غالبية الخيل والبغال فى هذا الماء الأسود، وغرقوا فيه. وتذكروا هزيمتهم فوق جسر "ماجير"[١٦٨] قبل ثلاث أو أربع سنوات، فملأهم التشاؤم. كما تفشى فجأة مرض بين الخيل والبغال، نفقت على أثره. حدث هذا فى الوقت الذى اجتمع جنودنا والأهالى على قلب رجل واحد وهدف واحد وثبات، عاقدين العزم على الاستبسال فى القتال حتى الموت. وفى نهاية الأمر أدركوا[١٦٩] أنهم فى موقف صعب، فأرسلوا "درويش محمد ترخان"[١٧٠] وهم على مسافة فرسخ من "أندجان" (للتفاوض معنا). وخرج حسن يعقوب من القلعة لمقابلته، وعقدا معا ما يشبه الصلح، وانسحبوا على أثره.

---

١٦٨ عن هزيمتهم عند ماء "جير"، انظر بابر نامه ورقة الظر، بابرنامه ورقة ١٩ب.

١٦٩ يقصد السلطان أحمد ميرزا وجنده.

١٧٠ ترخان، بمعنى المعفى من الضرائب. وكان يمنح أى فرد بالإعفاء من الضرائب يعنى أنه خرج من طبقة دافعى الجزية وألحق بطبقة النبلاء. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، مرجع سبق ذكره، ص٢٣٨.

حصار السلطان محمود خان "اخسي" ثم تراجعه عنها:

جاء السلطان محمود خان من شمال ماء "خُجَنْد" وحاصر "اَخسِي". وكان بها جهانكيرميرزا ومعه على درويش بك وميرزا قولي، وكوكلداش، ومحمد باقربك، وهم من الأمراء، والشيخ عبد الله اشيك اغا[١٧١]. وأيضا ويَس لاغرى وميرغياث طغايى[١٧٢]. لكن هذين الأخيرين لم يطمئنا إلى بقية الأمراء، فتوجها إلى "كاسان" حيث ولاية ويَس لاغرى. وكان (أخي) ناصر ميرزا في "كاسان" لأن ويَس لاغرى كان الوصيَّ عليه.

لما اقترب الخان[١٧٣] من "اخسي"، سلَّمها أمراؤها،(١٧ب) وانضموا إليه والتحق ميرغياث بخدمته. أما ويَس لاغرى، فقد أخذ ناصر ميرزا إلى السلطان أحمد، الذي سلمه بدوره إلى "محمد مزيد ترخان". ورغم أن الخان سبق له أن اقترب من "اَخسِي"، وخاض عدة معارك، إلا أنها لم تسفر عن شيء. حيث أبلى أمراؤها والفتية الموجودون فيها، بلاءً حسنا. وأثناء ذلك مرض السلطان محمود خان، وسأمت نفسه القتال، فرجع إلى ولايته.

محاولة أبو بكر دوغلت الكاشغرى[١٧٤] الاستيلاء على اندجان:

ظل أبو بكردوغلت الكاشغرى، يحكم (مستقلا) في "كاشغر"

---

[١٧١] أشيك أغا، بمعنى أغا العتبة أو الحاجب.

[١٧٢] ميرغياث طغايى، من رجال عمر شيخ ميرزا والد بابر وقد عرفهما بابر عند حديثه عن أمراء والده. انظر. بابر نامه ورقة ١٥أ.

[١٧٣] يقصد خاله السلطان محمود خان.

[١٧٤] أبو بكر دوغلت الكاشغرى، زوج خوانزاده بنت السلطان محمود ميرزا عم بابر، وحاكم كاشغر وختن.

و "**خوتين**" لبضع سنين، دون أن يخضع لأحد. وجاء بدوره طامعا في ولايتي. فاقترب من "**أوزكند**" وشيد قلعة وبدأ في إثارة الفتن والقلاقل في الولاية. عندئذ كلفنا مولانا القاضي وبقية الأمراء بالتصدي له ودفعه. فلما اقتربوا منه، وأدرك الكاشغري عجزه عن التصدي والصمود أمامهم، طلب وساطة مولانا القاضي وتحايل بشتى الطرق حتى استطاع أن ينجُ بنفسه. وقد اشترك معي في كل هذه الوقائع الجسام، من كانوا بجانبي من أمراء وفتية **عمر شيخ ميرزا**، وأظهروا شجاعة وجرأة.

جاءت **السيدة سلطان بيكم** والدة **الميرزا**[١٧٥]، **وجهانكير ميرزا**[١٧٦]، والحريم والأمراء من "**أخسي**" إلى "**أنديجان**". وأقمنا مراسم الحداد، ووزعنا الطعام على الفقراء والمساكين.

اضطلاع بابُر بمهام ولايته:

(١٨أ) بعد الفراغ من هذه المهام الجسام[١٧٧]، انشغلت بتنظيم الولاية وضبط وربط الجُند. وقررنا إسناد إدارة "**أنديجان**" ومنصب الحاجب الأعظم إلى **حسن يعقوب**. وعينّا **قاسم قوجين** أميراً على "**أوش**"، **وأوزون حسن** و**علي دوست طغايي**، على "**أخسي**" و "**مرغينان**". وأعطيت الولايات المناسبة والمناصب والرتب والفِرَق، لأمراء ورجال **عمر شيخ ميرزا** كلٌ حسب مكانته.

---

[١٧٥] يقصد السيدة شاه سلطان بيجم زوجة أبو سعيد ميرزا وأم عمر شيخ ميرزا.

[١٧٦] جهانكير ميرزا، الأخ الصغير لبابر وأمه هي فاطمة سلطان.

[١٧٧] يقصد مراسم دفن والده عمر شيخ ميرزا وجلوسه على العرش ومبايعة رجاله له.

وحددت أماكن تواجدهم.

وفاة السلطان أحمد ميرزا :

مرض السطان احمد ميرزا أثناء تراجعه، وتوفى وهو فى الطريق إلى "آق سو" من نواحى "اوراتيبه" بعد أن قطع من الطريق منزلين أو ثلاثة منازل. وقد ودّع هذه الدنيا الفانية، وهو فى الرابعة والأربعين من عمره.

مولد السلطان أحمد ميرزا ونسبه :

هو أكبر أبناء السلطان أبو سعيد ميرزا. كان مولده فى عام ثمانمائة وخمس وخمسين[178]، أى فى نفس العام الذى اعتلى فيه والده العرش. أمه هى بنت أوردہ بوغاترخان، والأخت الكبرى لـ"درويش محمد ترخان". والزوجة ذات المكانة الخاصة لدى الميرزا[179].

شكله وصفاته :

كان طويل القامة، كث اللحية، أحمر الوجه، بدينا. لحيته تغطى ذقنه فقط، ووجنتاه خاليتان من الشعر. (١٨ب) وكان ممتعا فى صحبته، ويلف عمامته أربع أو خمس لفات، ثم يدلى طرفها فوق حاجبه حسب عادة ذلك الزمان.

أخلاقه وسلوكه :

كان حنفى المذهب، نقى العقيدة. يقيم الصلوات الخمس فى أوقاتها، ولا

---

[178] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٥١–١٤٥٢م.

[179] يقصد السلطان أبو سعيد ميرزا.

بتركها حتى عندما يشرب (الخمر) . وكان مريدا لمولانا الشيخ عُبَيْد الله، وجَمُّ الأدب خاصة فى صُحبة الشيخ. وكما يقولون إنه لايغير وضع سَاقَيْه أثناء جلوسه فى مجلس الشيخ. وحدث ذات مرة أن غَيّر وضعهما على خلاف عادته وبعد أن غادر المجلس، أمر مولانا الشيخ بالنظر فى موضع جلوس الميرزا، فوجدوا قطعة عظم.

كان الميرزا بسيطا ومتواضعا رغم نشأته فى المدينة. وكان أميا يجهل القراءة وليست لديه موهبة الشعر، وعادلا، ومرافقا لمولانا الشيخ فى كل أعماله. كما كان فقيها فى أحكام الشريعة وحل المسائل الشرعية[180] . صادق العهد والقول، شجاعاً . والواقع أنه لم تتح أمامه الفرصة لينجز عملاً ما بنفسه، لكنهم كما يقولون أظهر شجاعة فى بعض المعارك، وكان ماهرا فى رمى السهام. (١٩أ) وكثيرا ما يصيب الهدف. ويصيد البط البرى بالنبل، وغالبا ما يقذف النبل إلى الطرف الآخر من الميدان، فيصيب الهدف. فلما امتلأ جسمه وصار بدينا، صار يصيد الديوك البرية والسمان الأبيض، ونادرا ما يخطئها . ذلك لأنه كان صيادا بارعا . ولم نَرَ بعد أولُغ بك ميرزا، سلطانا بارعا فى الصيد مثله. وكان شديد الحياء . ويقولون إنه كان يغطى قدميه حتى فى حضور أقاربه المقربين وأصدقائه، بل وهو بعيد عن أعين الآخرين. وإذا بدأ فى الشراب، استمر يشرب لمدة عشرين أو ثلاثين يوما متصلة، فإذا ما توقف عن تناوله، استمر لعشرين أو ثلاثين يوما أخرى

---

[180] الأمر المثير للانتباه أن بابُر يصف عمه السلطان أحمد ميرزا بأنه كان أميا يجهل القراءة، وفى الوقت نفسه يقول إنه كان فقيها فى أحكام الشريعة وحل المسائل الشرعية، ولعل هذا العلم تلقاه سماعا على يد الفقهاء ومن خلال مجالس الشيخ عُبَيْد الله.

لايغرب فيها الخمر. وفي بعض الأحيان يستمر في المجلس ليل نهار لايبرحه. وفي الأيام التي يتوقف فيها عن الشراب، يعتريه السقم ويفقد شهيته. كان يغلب عليه البخل وهو قليل الكلام ولطيف، لكن زمام أموره كان في يد أمرائه"[181].

معاركه :

خاض (السلطان احمد ميرزا) أربع معارك: الأولى ضد نعمت أرغـون، الأخ الأصغر للشيخ جمال أرغون في "اقارتوزى "بجوار "زامين"[182]. وانتصر فيها. والثانية ضد عمر شيخ ميرزا في "خواص"[183]، وانتصر فيها أيضا. والثالثة ضد السلطان محمود خان بجوار تاشكند، على حافة ماء "جير". والواقع أنها لم تكن معركة (بالمعنى الصحيح). (١٩ب) فقد تسلل مهاجمو المغول فرادى خلف جنده، واستولوا على بعض متاعهم. وإذ بهذا الجند الغفير ينهزم بدون أى قتال، وبغير مواجهة مع المغول. بل إن أكثر جنده غرق في ماء "جير". والمعركة الرابعة كانت مع "كوكلداش "بجوار "يايلاق". وانتصر فيها.

ولايته :

كانت ولايته في "سمرقند" التي أعطاها له والده (أثناء حياته). ثم أخذ

---

[181] يصف منجم باشي السلطان أحمد ميرزا بقوله: "كان ملكا عاقلا عادلا شجاعا حازما.. قام بحفظ البلاد من الأعداء واستمال الأمراء ببذل المال والمواعيد (يقصد "الوعود") الجميلة"... وفي فترة حكمه "عمرت البلاد واستراح اهلها في ايامه ... وكان ملجأ لكل مظلوم ومرجعا للكل ذي حاجة" انظر. منجم باشي. جامع الدول. ج٢ ورقة ٢٧٠ب، ٢٧١أ.

[182] قال الشريف الإدريسي، إن زامين في طريق فرغانه من سمرقند وهي مدينة عامرة القطر كثيرة البشر حصينة. انظر، الشريف الإدريسي، المرجع نفسه، ج١، ص ٥٠٥.

[183] خواص، قرية بين اوراتيه وتاشكند.

تاشكند و**شاهرخيّه** و**سيرام** بعد مقتل **الشيخ جمال**[184] على يد **عبد القدوس**. وظلت تلك المناطق تحت إدارته لفترة. ثم أعطى **تاشكند** و**سيرام** إلى أخيه **عمر شيخ ميرزا**. كما ظلت "**خجند**" و"**اوراتيبه**" تحت حكمه لفترة.

أبناؤه :

كان له ولدان ماتا في سن صغيرة، وخمس بنات، أربع منهن من السيدة **قوتوق بيكم**.

أكبرهن السيدة **ربيعة سلطان بيكم**، وكانوا يطلقون عليها اسم "**قرا كوزبيكم**"[185]. وقد أعطاها والدها إلى **السلطان محمود خان** وأنجبت منه غلاما لطيفا اسمه "**باباخان**". وعندما استشهد الخان في "**خجند**"[186]، قتل **الأوزبك باباخان**، وعددا من الأطفال في مثل سنه. وبعد ذلك تزوجت السيدة **ربيعة بيكم** من **جاني بك سلطان**. (**١٢٠**)

وابنته الثانية، هي السيدة **صالحه سلطان بيكم**. وكانوا يطلقون عليها اسم"**آق بيكم**"[187]. بعد موت **السلطان أحمد ميرزا**، أخذها **السلطان محمود ميرزا** لابنه الأكبر "**السلطان مسعود ميرزا**". وأقام لها عرسا. ثم ذهبت إلى **كاشغر** مع السيدة **شاه بيكم** و**مهر نكار خانم**.

وابنته الثالثة، هي السيدة **عائشه سلطان بيكم**. وقد خطبوها لي عندما

---

[184] الشيخ جمال، يقصد الشيخ جمال ارغون وقد قتله عبد القدوس دوغلات سنة ٨٧٧هـ=١٤٧٢م.

[185] قرا كوزبيكم، بمعنى السيدة ذات العيون السوداء.

[186] كانت وفاة السلطان محمود خان في خجند سنة ٩١٤هـ=١٥٠٨م.

[187] آق بيكم، بمعنى السيدة البيضاء.

جئتُ إلى "سمرقند "وأنا فى الخامسة من عمرى. فلما جاءت إلى "خُجَنْد " فى زمن المنازعات والفتن، تزوجتُها هناك[188]. ولما أخذتُ سمرقند فى المرة الثانية، أنجبت ابنتها الوحيدة التى توفيت عقب مولدها ببضعة أيام. ثم انفصلت عنى بتحريض من أختها الكبرى، وذلك قبيل هزيمة تاشكند.

وابنته الرابعة، هى السيدة سلطانم بيكم. وقد أخذها السلطان "على ميرزا" أولا، ومن بعده تزوجها "تيمور سلطان"، ثم "مهدى سلطان"[189].

وأصغر بناته كانت السيدة معصومه سلطان بيكم. وأمها السيدة حبيبة سلطان بيكم أخت سلطان أرغون. وهى من الأرغونيين. رأيتها عندما جئتُ إلى "خراسان"، فأعجبتنى وأرسلتُ فى طلبها. ثم استدعيتُها إلى كابُل حيث تزوجتُها وأنجبت بنتا. وقد توفيت أثناء الولادة، فأطلقتُ على البنت اسم أمها.

نساؤه وجواريه:

إحدى نسائه كانت مهرنكار خسانم. التى طلبها له السلطان أبوسعيد ميرزا. وهى أكبر بنات يونس خان. والشقيقة الكبرى لأمى.

(٢٠ب) واحدة أخرى من نسائه كانت من الترخانيين. وكانوا يسمونها السيدة ترخان بيكم. وأخرى هى السيدة قوتوق بيكم. وهى أخت من الرضاع للسيدة

---

[188] كان ذلك سنة ٩٠٥هـ=١٤٩٩م.

[189] مهدى سلطان، هو سلطان من الأوزبك. تزوج ابنة السلطان محمود ميرزا وعمل فى خدمته ثم انتقل إلى جانب بابر، ثم انضم فى النهاية إلى شيباق خان الأوزبكى.

ترخان بيكم . وقد أحبها السلطان احمد مـــيرزا وأخذها لنفســه. وكانت عذبة المعشر، لكنها مسيطرة تماما، وتشرب الخمر. لم يكن السلطان احمد مـــيرزا يذهب إلى امرأة أخرى سواها أثناء حياتها . وبعد ذلك قتلها ليتخلص من سوء سيرتها .

وأخرى هي السيدة خوانزاده بيكم . وهي من خوانـــزادة ترمـــذ . تزوجها السلطان احمد ميرزا عندما جئت إلى "سمرقند "لدى السلطان أحمد ميرزا وأنا في الخامسة من عمري، ولم تكن قد رفعت حجابها بعد . وأذنوا لي برفع حجابها حسب التقاليد التركية، فقمت بكشف وجهها .

وأخرى كانت السيدة لطيفة بيكـــم، حفيدة "أحمـــد حاجي بـــك " .وقد تزوجت بعد الميـــرزا، من حمزه سلطان وأنجبت منه ثلاثة أبناء . ولما انتصرت على السلاطين الذين تحت إمرة حمزه ســـلطان وتيمور سلطان وأخذت"حصار"، سقط في يدي هؤلاء الأبناء الثلاثة وعدد من أبناء السلاطين. وقد أطلقت سراحهم

واحدة أخرى هي السيدة حبيبة سلطان بيكم، بنت أخي سلطان أرغون.

أمراؤه :

جاني بك دُلداي :

الأخ الأصغر لسلطان ملك الكاشغري. أعطاه السلطان أبوســـعيد مـــيرزا إدارة "سَمَرْقَنْد "، واتخذه السلطان احمد مـــيرزا حاجبا أعظم له. (٢١أ) وكان رجلا غريب الأخلاق والأطوار، وتروى عنه حكايات عجيبة، على سبيل المثال أنه

عندما كان حاكما على سمرقند، جاء رسول من عند الأوزبك، وكان رجلا مشهورا بينهم بقوته. والأوزبك يقولون عن الرجل القوى "بوكه". فسأله جانى بك: "هل أنت بوكه؟. إذا كنت كذلك تعال تصارع". وأخذ يلح على الرجل كى يصارعه، والرجل يرفض. وأمام إصرار جانى بك، صارعه الرجل، واستطاع جانى بك أن يصرعه. فقد كان شجاعا.

أحمد حاجى بك :

وهو ابن سلطان ملك الكاشغرى. أعطاه السلطان أبو سعيد ميرزا إدارة هراة، ثم بوأه مكانة عمه جانى بك بعد وفاته، وأرسله إلى "سمرقند". كان لطيف السجايا، شجاعا. وتخلصه الشعرى "وفائى". له ديوان مقبول من الشعر. وهذا البيت له:

أيها المحتسب، إننى ثمل. دعنى اليوم، وحاسبنى يوم أفيق[١٩٠].

عندما جاء "أحمد حاجى بك" من هراة إلى "سمرقند"، كان برفقته ميرعلى شيرنوائى. كما جاء إلى هراة عقب سلطنة أحمد ميرزا[١٩١] ونال منه رعاية كبيرة. وكان أحمد بك يربى أنواعا أصيلة من الخيل (٢١ب) ويركبها، وهذه الخيول على الأغلب خيول رباها بنفسه. كان شجاعا جسورا لايعرف الخوف، لكن قيادته العسكرية ليست فى مستوى شجاعته. وكان يترك أهم أعماله إلى رجاله يدبرون الأمر كيفما يشاؤون. وقد انهزم فى حربه مع "بايسنغر ميرزا" فى

---

[١٩٠] البيت مكتوب بالفارسية.

[١٩١] كان ذلك عام ٨٧٣هـ = ١٤٦٠م.

"بُخارا"، ووقع في أسْر السلطان "على ميرزا". واتهموه بقتل درويش محمد ميرزا ثم قتلوه بشكل وضيع.

درويش محمد ترخان :

هو ابن "أوردا بوغاترخان"، وخال السلطانين محمد ميرزا ومحمود ميرزا. وهو أكبر الأمراء في مجلس الميرزا، وأكثرهم احتراما. كان إنسانا مسلما، ودرويشا، ومنشغلا دائما بنسخ المصحف الشريف. كما كان بارعا في لعبة الشطرنج، وعارفا بعلم الصيد، ويجيد الصيد بالطير. لكنه مات مُهانا بعد أن تقدم به العمر[192] أثناء نزاع باي سُنْغُرميرزا والسلطان "على ميرزا".

عبد العلى ترخان :

من أقارب "درويش محمد ترخان" المقربين. تزوج أخت درويش الصغرى وهي والدة باقي ترخان. والواقع إن مكانة "درويش محمد ترخان"، تفوق مكانة عبد العلى ترخان في سلم للرتب والأعراف (المغولية) لكن هذا الفرعون لم يلتفت إليه وبقيت إدارة "بُخارا" في يده عدة سنوات (١٢٢أ). وبلغ عدد رجاله الذين تحت إمرته حوالي ثلاثة آلاف رجلا، وقد أحسن معاملتهم وقيادتهم. كان يتصرف تصرف السلاطين العظام سواء في منحه العطايا أو تقديمه الهدايا أو كافة أماكن عمله، وولائمه، ومجالسه. كما كان قديرا في إدارته لكنه ظالم وفاسق ومتكبر. صحيح أن "شَيْباني خان" كان ملازما له، دائم الحضور في معيته لكنه لم يكن من رجاله.

---

[192] عن واقعة موته انظر ص١٣٧.

كما كان أغلب الأمراء الصغار من أبناء السلاطين، منضوون تحت لواء عبد العلي ترخان الذى كان الوسيلة لصعود نجم " شَيْبانى خان " وتبوئه لمكانته، وبالتالى أفول نجم الأسر العريقة.

سيد يوسف أوغلاقجى :

كان جده من المُغول. وقد ترقّى والده عند أُلُغ بك ميرزا وزاد قدره. كان يحسن التفكير والتدبير، شجاعا ويجيد العزف على القوبوز[١٩٣]. وكان سيد يوسف اوغلاقجى فى معيّتى عندما جئت إلى كابُل، وأوليته رعاية خاصة هو جدير بها. وقد انتقل إلى رحمة الله فى كابُل، أثناء حملتى الأولى على الهند[١٩٤].

درويش بك :

من نسل "ايكوتيمور" الذى كان موضع رعاية تيموربك. وكان مريدا لمولانا الشيخ (عُبَيْد الله). كان يعرف علم الموسيقى، ويعزف الساز، ويكتب الشعر. (٢٢ب) وقد مات غريقا فى "ماجير" لدى هزيمة السلطان احمد ميرزا عند ساحل "ماجير".

محمد مزيد ترخان :

شقيق " درويش محمد ترخان " الذى يصغره سنّا. كان حاكما على تُركستان لعدة سنوات. وقد انتزعها منه "شَيْبانى خان". كان يحسن التفكير

---

[١٩٣] القوبوز: آلة موسيقية تشبه العود، قاموس تركي، ص١٠٨٨/٣.

[١٩٤] حملة بابر الأولى على الهند كانت سنة ٩٠٥هـ=١٥٠٥م.

والتدبير، جريئًا، وفاسقًا. كان فى معيتى عندما أخذت "سَمَرْقَنْد" فى المرتين الثانية والثالثة، فأسبغت عليه رعايتى. وقد لقى حتفه أثناء حرب "ملك كول"[195].

باقى ترخان :

هو ابن عبد العلى ترخان، وابن عم السلطان أحمد ميرزا. أسندوا إليه (إدارة) "خُراسان" خلفا لوالده. وارتفع نجمه فى عهد السلطان "على ميرزا"، فبلغ عدد رجاله خمسة آلاف أو ستة آلاف رجل. لم يكن مخلصا تماما للسلطان "على ميرزا". تحارب باقى ترخان مع "شَيْبانى خان" فى قلعة "دبوسى"[196] وانهزم أمامه[197]. وانتصر "شَيْبانى خان" وواصل تقدمه مظفرا إلى "بُخارا". واستولى عليها. كان باقى ترخان مغرما بصيد الطيور. ويُروى أنه اقتنى من طيور الصيد سبعمائة طائر. وليس هناك ما يستحق الذكر من أخلاقه وسلوكه. ترعرع وسط فخامة وأُبَّهة الأمراء. وذهب إلى "شَيْبانى خان" اعتمادا على ما أسداه والده إلى الخان من أعمال طيبة. لكن "شَيْبانى خان" هذا، الجاحد عديم المروءة، لم يلتفت إليه بعين الرعاية

---

[195] حرب ملك كول، كانت هذه الحرب شهر صفر سنة ٩١٨هـ. وقد دارت رحاها بين بابر و عبيد خان الأوزبكى عند موضع كول ملك، وقد خسر بابر هذه الحرب وهرب بعدها إلى كابل. انظر، منجم باشى، جامع الدول، ورقة ٢٧٤أ

[196] قلعة دبوسى، فى "سَمَرْقَنْد" وتبعد عنهامسافة سبعة عشر فرسخا عبر طريق كشانية أى حوالى خمسة وثمانين كيلو مترا، وينسب بناء القلعة (خطأ فى أغلب الظن) فى القرن الخامس عشر إلى جلال الدين آخر شاهات خوارزم انظر، تركستان، ص ١٨٧ – ١٨٨ وينسب اسمها إلى الشخص الذى بناه ويدعى دبوس، انظر، النرشخى، تاريخ بخارى، ص٢٠/١.

[197] كان ذلك فى عام ٩٠٥هـ = ١٥٠٠م.

أو الشفقة ردا لجميل والده. (١٢٣أ) وقد توفى فى ولاية "أخسى" بائسا ومهانا.

السلطان حسين ارغــون :

اشتهر باسم السلطان حسين قره كولى بسبب توليه إدارة "قره كــول"[١٩٨] عدة مرات. طيب التفكير والتدبير وكان فى معيتى لفترة طويلة.

قلى محمد بغـدا :

وهومن عشائر القوجين، وكان شجاعا.

عبد الكريم أشــرت :

وهو أيغــورى[١٩٩]. عمل حاجبا لدى السـلطان أحمــد مــيرزا. وكان كريما وشجاعا.

اعتــلاء الســلطان محمــود مــيرزا عــرش " ســمرقند " وســوء حكمه لــها :

بعد وفاة السلطان أحمد ميرزا، اتفق أمراؤه فيما بينهم على دعوة السلطان محمود ميرزا (لاعتلاء عرش سمرقند خلفا لأخيه)، وأرسلوا إليه رجلا عبر طريق الجبل لدعوته. فى الوقت نفسه طالب ملك محمد ميرزا ابن منوچــهرميرزا الأخ الأكبر للسلطان أبوسعيد ميرزا، بالسلطنة لنفسه، فجمع حوله مجموعة من الأوباش

---

[١٩٨] قره كول، تقع فى جنوب غرب "بخارا"

[١٩٩] الأيغور، قوم من الأتراك التتار لهم لغتهم وآدابهم المكتوبة بلغتهم وبالخط الأيغورى. انظر. قاموس الأعــلام، ج٢، ص١١١٠/١.

المسلحين واستقل عن الجيش[200] وتحرك نحو "سمرقند" ولما وصل إليها عجز عن القيام بشيء، بل تسبب (بتصرفه هذا) في مصرعه ومصرع عدد من الأمراء الأبرياء.

بمجرد أن تلقّى **السلطان محمود ميرزا** هذه الدعوة، توجه إلى "**سمرقند**" واعتلى عرشها بلا منازع. لكن أغلب الناس والجُند من مختلف الدرجات الدنيا والعليا نفروا منه وانفضوا من حوله وهربوا بسبب الكثيرمن تصرفاته. أحد هذه التصرفات ؛ أن **ملك محمد ميرزا** السابق ذكره (٢٣ب)، وهو ابن عم **السلطان محمود ميرزا** وأيضا وصهره، طرده **السلطان محمود ميرزا** إلى **كوك سراى** وبرفقته أربعة من الأمراء (**التيموريين**)، ثم عفى عن اثنين منهم، وقتل اثنين هما : **ملك محمد ميرزا** وأمير آخر. ومن هؤلاء الأمراء من لم تكن له أى أطماع فى السلطنة، وحقيقة الأمر ان **ملك محمد ميرزا** كانت له بعض الأخطاء، لكن الآخرين لم يبدر منهم أى جُرم أوخطأ.

كان **السلطان محمود ميرزا**، جيدا فى نظامه وإدارته، عادلا، وعارفا بالشؤون المالية. لكنه ميال للظلم والسفه. بدأ عقب اعتلائه عرش **سمرقند** فى وضع نظم جديدة للإدارة والإنفاق والضرائب. وكان الفقراء والمساكين من قبل، يلوذون برجال **مولانا عُبَيْد الله** فرارا من ظلم رجال (**السلطان محمود ميرزا**) واعتداءاتهم. أما الآن، فقد بدأوا فى إظهار الشدة والتعدى عليهم، وعلى من يلوذ بحمايتهم. حتى أنهم كانوا يمارسون هذا التعدى وهذه الشدة ضد أبناء **الشيخ عُبَيْد**

---

[200] يقصد جيش السلطان محمد ميرزا.

الله أنفسهم.

وكان كل رجاله وأمرائه على غراره فى الظلم والفسق. وساروا على نفس منواله ظلما وفسوقا. وكان أهل "حصار"، خاصة أتباع "خسرو شاه"، غارقين فى الشراب والزنا. لدرجة أنه، ذات يوم خطف رجل من هؤلاء الرجال امرأة، فجاء زوجها إلى "خسرو شاه" شاكيا ينشد العدل. (١٢٤أ) فما كان من "خسرو شاه" إلا أن قال له: "إن هذه المرأة معك منذ سنوات، فلتبق معه لبضعة أيام".

وأصبح أهل المدينة وتجارها بل وجنودها يمنعون أبنائهم من مغادرة البيوت خشية أن يُؤخذوا وتُفعل بهم الفاحشة. وكان أهل "سمرقند" طوال فترة حكم السلطان احمد ميرزا وتبلغ حوالى عشرين أوخمس وعشرين سنة ينعمون بالرفاهية والطمأنينة. وكانت كل أمورهم تُحل عن طريق مولانا الخوجه[٢٠١] بما يتفق مع الشرع. (أما فى أيام السلطان محمود ميرزا) فقد تكدرت الأرواح والقلوب من هذا الظلم والفساد، وارتفعت أكُفُّ الضراعة، ولهجت الألسن، وتعالى صوت الكبير منهم والصغير والفقير والمسكين، تستنزل عليهم اللعنات وسوء الدعاء.

إياك من ألم القلوب الجريحة، فجرح القلب يظهر فى النهاية.

ولا تفرط فى القسوة على قلب، لأن آهة واحدة

تقلب الدنيا رأسا على عقب"[٢٠٢].

---

[٢٠١] يقصد الشيخ عُبيْد الله.

[٢٠٢] البيتان مكتوبان بالفارسية وهما لسعدى الشيرازى.

ولم يستمر حكم السلطان محمود ميرزا لأكثر من خمسة أو ستة شهور، من جراء ظلمه وفساده.

*****

وقائع سنة تسعمائه[٢٠٣]

خيانة حسن يعقوب وموتـــــه :

جاء رسول من عند السلطان محمود ميرزا يدعى عبد القـــدوس بـــك، ومعه هدايا من عند السلطان بمناسبة زواج ابنه الأكبر"السلطان مسعود مـــيرزا"، بابنة أخيه الأكبر أحمد ميرزا واسمها "آق بيكـــم"[٢٠٤]. هذه الهدايا عبارة عن ذهب وفضة ولوز وفستق. وكان عبد القدوس بك هذا يمت بصلة قرابة لحســـن يعقوب"[٢٠٥]. وقد جاء (عبد القدوس) لكي يستميل حسن يعقـــوب إلى جانب السلطان محمود مــــيرزا، واعدا إياه بعدة أشياء(٢٤ب). وقد قابل حســـن يعقوب، (عبد القدوس هذا) بلطف، وأذن له (بالانصراف) وأظهر له ما يعبر عن استجابته. وبعد حوالى خمسة أوستة شهور، تغيرت طباع حسن يعقـوب وأخذ يسئ معاملة رجالى وكل الرجال الآخرين. وبلغ بـه الأمر حتـى أراد خلعى من السلطنة، وجعلها لجهانكير ميرزا. كما ساءت علاقته بسائر الأمراء والفرسان.

أدرك الجميع ما يدور بخلد (حسن يعقوب). فاجتمع مولانا القــــاضى، وقاسم قوجين، وعلى دوست طاغايي، وأوزون حســـــن، وغيرهم من رجالى الموالين لى. وانعقد هذا الاجتماع عند جدتى السيدة إيسن دولت بيكم وقرروا عزل

---

[٢٠٣] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٤–١٤٩٥م.

[٢٠٤] آق بيكم، اسمها صاحبه سلطان، وتلقب باسم السيدة البيضاء.

[٢٠٥] حسن يعقوب، هو الحاجب الأعظم لدى بابر فى ذلك الوقت.

حسن يعقوب من منصب الحاجب الأعظم، ووضع حد للفتن التى أثارها .

وجدتى **دولت إيسن بيكم**، امرأة قل أن يوجد مثلها بين النساء. بفكرها وحنكتها . فهى ذات عقل وتدبير، ولها الرأى والمشورة فى أغلب الأحوال.

كان **حسن يعقوب** فى القلعة، بينما أمى وجدتى لأمى فى برج القلعة الخارجية . وتوجهت إلى القلعة لتنفيذ ما تقرر . وكان **حسن يعقوب** قد خرج لصيد الطيور . فلما علم بالأمر، لم يعد إلى القلعة، واتخذ طريقه إلى "**سمرقند**" .

(١٢٥أ) فألقينا القبض على من سانده من الرجال والأمراء، ومن بينهم **محمد باقربك والسلطان محمود دلداى**، ووالد **السلطان محمود دلداى** وآخرين. وسمحنا لبعضهم بالذهاب إلى **سمرقند**، وقررنا إسناد منصب الحاجب الأعظم وإدارة "**اندجان**" إلى **قاسم قوجين** .

وصل **حسن يعقوب**، إلى "**كند بادام**" الواقعة على طريق "**سمرقند**" . وبعد بضعة أيام، تحرك إلى "**اخسى**" ، وهو يضمر السوء، وجاء إلى ما حول "**خوقان**" . فلما علمنا بالأمر، أرسلنا بعض الأمراء والجند لمهاجمته. وأرسل هؤلاء الأمراء المغيرون عددا من الفتية قبلهم. فلما علم **حسن يعقوب** بأمرهم، سار ليلا إلى هؤلاء الفتية الذين أرسلوا كطليعة (للجند)، وأحاط بهم، وأمطرهم بوابل من السهام. لكن أحد رجال **حسن يعقوب** أصابه بسهم فى ظهره، فلقى جزاء وفاقا ما فعله، ولم يستطع منه فرارا .

إذا اقترفت يداك إثما ، فلا تحسبن أنك بمنجى من البلاء

لأن الجزاء حتما من جنس العمل[٢٠٦].

بدأت هذه السنة فى اجتناب الطعام الذى فيه شبهة. واستخدم بجذر (كل شىء) بدءا من السكين والملعقة حتى غطاء المائدة. وقليلا ما كنت أتهاون فى صلوات الليل.

وفاة السلطان محمود ميرزا :

(٢٥ب) فى شهر ربيع الآخر، اعترى السلطان محمود ميرزا مرض شديد. وتوفى خلال ستة أيام، وهو فى الثالثة والأربعين من عمره.

مولده ونسبه :

كان مولده فى عام ثمانمائة وسبع وخمسين[٢٠٧]. وهو ثالث أبناء السلطان أبوسعيد ميرزا. وشقيق السلطان احمد ميرزا.

شكله وصفاته :

كان قصير القامة، خفيف اللحية، بدينا، شكله منفرا بعض الشىء.

أخلاقه وسلوكه :

كان حسن الخلق والسلوك، محافظا على الصلاة، بارعا فى حكمه وانضباطه. خبيرا بحسابات المالية، فلا ينفق درهم واحد أو دينار فى ولايته بدون علمه، لم يقصر أبدا فى نفقات رجاله. وكان مجلسه وعطاياه ومآدبه وموائده، بالغة

---

[٢٠٦] البيت مكتوب بالفارسية وهو من منظومة خسرو وشيرين لنظامى الكنجوى.

[٢٠٧] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٥٣م.

الروعة، وكلها تتم وفق قواعد ونظام. وضع نوعا من الترتيب والنظام لايمكن لأحد من جنده وأتباعه أن يتجاوزه مطلقا.

كان فى بداية أمره شغوفا بالصيد، ثم أكثر من صيد الصقور. وكان أيضا مفرطا فى الظلم والفساد. فيشرب الخمر بلا انقطاع، ويحتفظ بكثير من الغلمان. فما من فتى غرير وجميل فى أى مكان من أماكن حكمه، إلا وأتى به بشتى الوسائل. واتخذه غلاما لنفسه. وجعل من أبناء أمرائه، وأمراء أبنائه، (١٢٦أ) بل وأخوته من الرضاع غلمانا. وكان يستخدم فى هذا السبيل غالبية أخوته من الرضاع. وشاعت فى عهده هذه العادة المشؤومة، فلم يعد هناك رجل بلا غلمان. وكانوا يعتبرون تربية الغلمان نوعا من المهارة. ويعيبون على من لا غلام له. ومن شؤم هذا الظلم والفسق، مات كل أبنائه فى سنى الشباب. كان يقرض الشعر، وله ديوان. لكن شعره ضعيف وبلا رونق وكان خيرا له أن يكف عن نظم الشعر. وهو رجل فاسد العقيدة، فكان يستخف بمولانا **الشيخ عبيد الله**. كما كان غليظ القلب، قليل الحياء. يلتف حوله عدد من المهرجين الوقحاء، فتبدر منه تصرفات قبيحة ووضيعة وهو فى الديوان وعلى الملأ. وكان فاحش القول، ولايمكن فهم كلامه لأول وهلة.

معاركه :

خاض معركتين ضد "**السلطان حسين ميرزا**"[٢٠٨]. الأولى فى **استراباد**، والأخرى فى مكان يسمى "**جكمان**" بجوار "**اندخود**"[٢٠٩]. وذهب مرتين إلى

---

[٢٠٨] السلطان حسين ميرزا بايقرا، هو حاكم "خراسان" وهراة وله ترجمة وافية كتبها بابر فى كتابه هذا فى الجزء الثانى الخاص بوقائع كابل تحدث فيها عن عصره ورجاله بالتفصيل، انظر بابر نامه ص ١٦٣ب وما بعدها.

[٢٠٩] اندخود: فى الشمال الغربى من بلخ.

"كافرستان "[٢١٠] فى جنوب "بدخشان ". وحارب هناك. لهذا يكتبون اسمه فى طغراء مراسيمه "السلطان محمود الغازى ".

ولايته :

(٢٦ب) أعطاء السلطان أبوسعيد ميرزا، استراباد[٢١١]. وفى[٢١٢] واقعة العراق[٢١٣]، ذهب إلى "خراسان ". وأثناء ذلك خرج قنبرعلى بك[٢١٤] على رأس جند الهند بأمر السلطان أبوسعيد ميرزا حاكم "حصار"[٢١٥]، قاصدا العراق فى إثر السلطان محمود ميرزا، ولحق به فى "خراسان". وما أن سمع أهل خراسان صوت "السلطان حسين ميرزا "، حتى انقضوا على السلطان محمود ميرزا، وأخرجوه منها. فتوجه إلى "سمرقند "وانضم إلى السلطان احمد ميرزا. وبعد عدة شهور، هرب سيد بدر وخسروشاه وبعض

---

[٢١٠] كافرستان، هى المنطقة الجبلية الواقعة فى الشمال الشرقى لكابل رغيل ناحية جنوب جبال هندكوه التى تفصلها عن بدخشان. قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٨١٣.

[٢١١] كان ذلك فى عام ٨٦٤هـ=١٤٦٩م.

[٢١٢] جاءت هكذا فى النص الأصلى والترجمة التركية ص ٢٧والفارسية ص ١٨، لكنها جاءت فى الإنجليزية " بعد واقعة العراق"ثم أعقبت هنا بقولها (أى بعد وفاة والده)، انظر الترجمة الإنجليزية ص٤٦.

[٢١٣] واقعة العراق، هذه الواقعة هى أن أبو سعيد ميرزا، اعتلى عرش "سمرقند "بعد أرلغ بيك، بمساعدة الأوزبك. وضم إلى مملكته أجزاء من السند و "خراسان "وسيستان، وامتد ملكه إلى العراق. وهزم التركمان واقتحم آذربيجان وانحدر منها إلى العراق. واستطاع أوزون حسن زعيم تركمان الشاة البيضاء "الآق قويونلو " أن يتسلل إلى جبال آذربيجان، فيقطع الإمدادات، لتفشى المجاعة فى الجيش بعد ذلك وينفرط عقد الجند، وينتهى الأمر بالسلطان أبى سعيد نفسه إلى الوقوع فى الأسر ثم القتل على يد أوزون حسن فى شهر رجب من عام ٨٧٣هـ ، انظر،خواندامير، حبيب السير،ج٤، ص٥٠-٥١، وايضا ، الساداتى، نفس المرجع، ج٢، ص٢٨٦.

[٢١٤] قنبرعلى بك هذا هو أحد رجال السلطان أبو سعيد ميرزا.وهو غير قنبر على السلاخ أحد رجال بابر.

[٢١٥] جاءت هذه العبارة فى الترجمة الإنجليزية على النحو التالى: "وفى هذه الأثناء خرج قنبر على بيك حاكم حصار" انظر الترجمة الانجليزية ص٤٦. واتفقت معه فى هذا المعنى الترجمات الفارسية ص١٨ فى القول بأن قنبر على بيك هو حاكم حصار.

الفتية وعلى رأسهم أحمد مشتاق"[٢١٦] ومعهم السلطان محمود ميرزا إلى "حصار"، وانضموا إلى قنبرعلى بك. ومنذ ذلك اليوم والولايات الواقعة جنوب جبال "قهقه" و "كوهتن" مثل ترمذ وجغانيان"[٢١٧] وحصار وختلان وبدخشان، حتى جبل "هندكوش"، كلها تحت حكم السلطان محمود ميرزا. كما آلت إليه ولاية أخيه الأكبر السلطان احمد ميرزا"[٢١٨]. بعد وفاته.

أبناؤه :

كان للسلطان محمود ميرزا خمسة أبناء، واحدى عشرة بنتا. أكبر الذكور هو السلطان مسعودميرزا. وأمه (٢٧أ) بنت "ميربزرك" الرمذى"[٢١٩]. وبايسنغر ميرزا، وأمه السيدة "بشه بيكم". والسلطان على ميرزا"، وأمه أوزبكية من السرارى اسمها "زهره بكى أغا". و"السلطان حسين ميرزا"، وأمه السيدة "خوانزاده بيكم" حفيدة "ميربزرك" وقد توفى وهو فى الثالثة عشر من عمره أثناء حياة والده الميرزا. والسلطان "ويس ميرزا" وأمه "سلطان نكار خانم" بنت يونس خان، وهى الأخت الصغرى لأمى. وأخبار هؤلاء الأمراء الأربعة، سترد فى هذا التاريخ فى موضعها من وقائع الأعوام.

أما البنات فثلاث منهن شقيقات لـ"بايسنغر ميرزا". تزوجت أكبرهن

---

[٢١٦] أحمد مشتاق، هو أحد أتباع السلطان محمود ميرزا.

[٢١٧] جغانيان، وتكتب فى المصادر العربية صغانيان. انظر، الإدريسى، نزهة المشتاق، ص ٤٨٩. وهى ولاية قريبة من ترمذ اشتهرت بأنها ولاية معمورة بمياهها وأشجارها ومنها خرج كثير من العلماء ومنهم الإمام الترمذى نسبة إليها. انظر، قاموس الأعلام، ج٤، ص ١/٢٩٥٤.

[٢١٨] يقصد ولاية سمرقند، وكان السلطان أحمد ميرزا سلطانا عليها حتى وفاته عام ٩٠٠هـ= ١٤٩٤م.

[٢١٩] بنت "ميربزرك" الترمذى، اسمها خوانزاده بيجوم كما تبين من بابر نامه ورقة ٢٧أ.

من ملك محمود ميرزا بن منوجهر عم السلطان محمود ميرزا. وخمس بنات أخريات من السيدة خوانزاده بيكم حفيدة ميربزرك. أكبرهن أعطوها لأبو بكر الكاشغرى، بعد وفاة السلطان محمود ميرزا. (٢٧ب) والبنت الثانية هى السيدة "بيكه بيكم ". وقد أخذها "السلطان حسين ميرزا " لابنه حيدرميرزا أثناء محاصرته "حصار ". وهو ابنه من السيدة "بايندة سلطان بيكم "بنت السلطان أبوسعيد ميرزا. من قبيل المصالحة ثم رفع الحصار عن المدينة. والبنت الثالثة هى السيدة "آق بيكم ". والرابعة هى السيدة "آى بيكم " وقد خطبها جانكير ميرزا، عندما أرسله والده عمر شيخ ميرزا على رأس جندد "اندجان " للمساعدة لدى مجىء "السلطان حسين ميرزا " إلى "قوندوز". وكانت هاتان السيدتان فى ترمذ مع أمهما، وقت مجىء باقى جغانيانى إلى ساحل آمودريا وانضمامه إلينا عام تسعمائة وعشر[٢٢٠]. وقد جئن برفقة عائلة باقى جغانيانى. وتزوجت (آى بيكم) من جهانكير ميرزا عند "كساهمرد". وأنجبت بنتا واحدة تعيش الآن فى ولاية "بدخشان " "فى كنف جدتها السيدة "خوانزاده بيكم ".

والبنت الخامسة هى السيدة زينب سلطان بيكم. وقد تزوجتها بعد أن أخذت كابل. نزولا على رغبة والدتى السيدة قتلق نكار خانم، لكن لم ننسجم معا. وقد توفيت بعد سنتين أو ثلاث، على أثر إصابتها بمرض الجدرى. وإحدى بناتها السيدة مخدومة سلطان بيكم، الشقيقة الكبرى للسلطان "على ميرزا". وهى الآن فى ولاية بدخشان. وللسلطان محمود ميرزا، ابنتان من جارية له.

---

[٢٢٠] هذا التاريخ يقابل عامى ١٥٠٤–١٥٠٥م.

(٢٨أ) إحداهما اسمها رجب سلطان، والأخرى محب سلطان.

نساؤه :

كانت **خوانزاده بيكم** بنت **ميربزرك الترمذى** هى كبرى زوجاته وأم "**السلطان مسعود ميرزا**". كان الميرزا عاشقا لها وعندما توفيت غشى **الميرزا** حزن شديد. وبعدها أخذ حفيدة **ميربزرك**[٢٢١]، وهى ابنة أخ **خوانزاده بيكم** هذه، واسمها أيضا **خوانزاده بيكم**. وأنجب منها خمس بنات وولد.

بشه بيكم :

وهى بنت على "**شكربك**" من أمراء تركمان "**قرا قوينلو**" البهارية[٢٢٢]. كانت متزوجة من قبل من "**محمدى**" **ميرزا بن جهانشاه ميرزا** من (تركمان) **قرا قوينلو البارانية**"[٢٢٣].

عندما أخذ **أوزون حسن**"[٢٢٤] وهو من (تركمان) "**آق قوينلو**" آذربيجان والعراق من يد أبناء جهانشاه هذا، لاذ أبناء "**شكربك**" ومعهم خمسة أو ستة

---

[٢٢١] كان اسمها أيضا خوانزاده بيجم كما تبين من بابر نامه ٢٧أ.

[٢٢٢] القره قويونلوالبهارية، هي واحدة من طوائف القره قويونلو وكانوا قد استولوا على قلعة بهار فنسبوا إليها ومستقرها فى همدان. وبعد سقوط دولة القره قويونلو، لجأ أمراء هذه الطائفة إلى "خراسان"، والتحقوا بخدمة الأمراء التيموريين، وكان لهم دور فى الفتن التى نشبت بين هؤلاء الأمراء. ثم استقروا فى "خراسان"، واشترك قسم منهم مع بابر فى حملته على الهند. أنظر فاروق سومر، قراقوينلو، ترجمة وهاب ولى، تهران١٣٦٩، جلد اول ص٢٧–٢٨.

[٢٢٣] قرا قوينلو البارانية، اسم أسرة من القره قويونلو، لا يعرف سبب تسميتهم بهذا الاسم على وجه التحديد، وربما ترجع النسبة إلى اسم شخص أو مكان. انظر، فاروق سومر، نفس المرجع، ص٢٣.

[٢٢٤] أوزون حسن، هو زعيم تركمان الشاة البيضاء"الآق قويونلو" وقد توفى سنة١٤٧٨م قبل اعتلاء بابر عرش فرغانه ولم يكن له دور يذكر فى هذه الوقائع ولم يرد ذكره فى هذا النص سوى فى هذا الموضع فقط، أما الآخر الذى يحمل نفس الاسم فقد عرفنا به عند ذكره للمرة الأولى وهو الذى سيتردد اسمه فى هذا النص.

آلاف أسرة من تركمان قرا قوينلو، بالسلطان أبوسعيد ميرزا. ولما انهزم السلطان أبوسعيد ميرزا، ظلوا هناك لفترة، ثم دخلوا في خدمة السلطان محمود ميرزا لدى مجيئه من " سمرقند " إلى "حصار ". في هذه الأثناء أخذ الميرزا بشه بيكم هذه، وأنجب منها ولدا وثلاث بنات.

سلطان نكار خانم :

وقد شرحنا نسبها وذكرناه في وقائع الخانات"[٢٢٥].

السراري والجواري :

(٢٨ب) كان (**السلطان محمود ميرزا**) كثير الجواري والسراري أنجب من اثنتين منهن بنتين سلف ذكرهما[٢٢٦]. وكانت "**زهره بيكي أغا**" أعلاهن قدرا. وهي من **الأوزبك**. وقد أخذها في شبابه أثناء حياة **السلطان أبوسعيد ميرزا**، وأنجبت ولدا[٢٢٧] وبنتا.

أمراؤه :

"**خسرو شاه**"؛ أحد أمراء (**السلطان محمود ميرزا**) ؛ **وهوتركستاني** من القبجاق. خدم في شبابه لدى أمراء ترخان وكان قريبا منهم وربما كان غلاما. ثم التحق بخدمة **مزيد بك ارغون** الذي أولاه رعايته بشكل عام. ثم لحق

---

[٢٢٥] انظر بابر نامه ورقة ٢٦ب.

[٢٢٦] هما رجب سلطان ومحب سلطان، انظر بابر نامه ص٢٧ب وإن ذكر في ذلك الموضع أن البنتين من جارية واحدة.

[٢٢٧] الولد هو السلطان "علي ميرزا".

بالسلطان محمود ميرزا أثناء واقعة هزيمة العـــراق وحظى برعايته لما أبداه من جهود مفيدة أثناء الطريق. ثم ارتقى عنده رقيا كبيرا، حتى صار لديه أثناء حياة السلطان محمود ميرزا، حوالى خمسة آلاف أو ستة آلاف جندي. وكانت الولايات الممتدة من سيحون إلى جبال هندكوش كلها تابعة له باستثناء بدخشان ولم يتورع عن التهام كل إيرادها. كان سخيا ومضيافا رغم شدة حرصه على المال؛ فكان يجيد الحصول عليه، وفى الوقت نفسه مسرفا فى إنفاقه. بعد (وفاة) السلطان محمــود ميرزا، ارتفع نجمه وتألق فى زمن أبنائه، وقارب عدد جنده العشرين ألفا. ورغم حرصه على أداء الصلاة وتحرى الحلال فيما يأكل من طعام، إلا أنه كان رجلا فاسدا، فاسقا، أحمقا، ضيق الأفق (٢٩أ)، جاحدا ومنكرا للجميل. فمن أجل هذه الدنيا الفانية ذات الأيام الخمسة، سمل عينى أحد أبناء ولى نعمته الذى رباه[٢٢٨]، وقتل الآخر[٢٢٩]. فأصبح عند الله عاصيا، وفى أعين الناس منبوذا، عليه اللعنة والبغضاء إلى يوم الدين. ورغم ما فى حوزته من هذه الولايات العامرة، وهذا العدد من الجند المسلحين، لم يخض حربا ضد دجاجة. وهذا ما سوف يأتى ذكره، فى هذا التاريخ.

محمد إيلجى بوغـــه :

وهو من عشائر القوجين. كان شجاعا، وقد لكم السلطان أبوسعيد ميرزا أثناء نزاع معه فى معركة الهزاره أمام باب بلسيخ. كان يلازم الميرزا بصفة دائمة ويتصرف الميرزا وفق مشورته. ولما حاصر " السلطان حسين ميرزا " "

---

[٢٢٨] سمل عينى السلطان مسعود ميرزا، ابن السلطان محمود ميرزا، انظر بابر نامه ص ٣٧أ.

[٢٢٩] قتل السلطان "باى سنقر ميرزا"، ابن السلطان محمود ميرزا، انظر بابر نامه ص ٦٨أ.

"قوندوز"[٢٣٠]، أغار عليه ليلا بعدد قليل من الرجال بغير دروع وذلك مساندة منه لـ "خسرو شاه"، لكنه لم يتمكن من النيل منه[٢٣١]. فماذا عساه أن يفعل أمام هذا الجيش الجرار. فأرسلوا وراءه من يتعقبه؛ فلم يسعه في نهاية الأمر إلا أن يلقى بنفسه في النهر، ليلقى حتفه غرقا.

أيوب:

كان يعمل في خدمة السلطان أبوسعيد ميرزا ضمن فرقة "فتية خراسان". اتصف بالشجاعة. كان وصيا على "بايسنغر ميرزا"، غريبا في مأكله وملبسه، محبا للدعابة. وكان السلطان محمود ميرزا، يخاطبه بأنه "عديم الحياء". (٢٩ب)

ولي:

(٢٩ب) هو الأخ الأصغر لخسروشاه. كان يهتم جيدا برجاله وقد تسبب في سمل عيني "السلطان مسعود ميرزا"[٢٣٢]، ومقتل "بايسنغر ميرزا"[٢٣٣]. كان سليطا وفاحش اللسان ومغتابا، ومغرورا وضيعا، فاسد الفكر، شديد الإعجاب بنفسه، فلا يرضى قط عن عمل يقوم به أحد سواه. أثناء مجيئه من ولاية "قوندوز"، انفصل عن رجال "خسرو شاه" بالقرب من "دوشي"، وعندما أذنت له (بالانضمام

---

[٢٣٠] انفردت الترجمة الفارسية بترجمة العبارة على النحو التالي: "ولما أمعن السلطان حسين ميرزا في القتل في قوندوز". انظر الترجمة الفارسية ص ١٩.

[٢٣١] يقصد النيل من "السلطان حسين ميرزا".

[٢٣٢] في تفصيل هذه الواقعة، انظر، بابر نامه، ورقة ٥٧ب.

[٢٣٣] في تفصيل هذه الواقعة انظر، بابر نامه، ورقة ٦٨أ.

إلينا)، إذ به يهرب من خطر الأوزبك، ويأتي إلى أندرآب[٢٣٤] وسيرآب[٢٣٥] ويهاجم العشائر التي في ذلك الجوار وينهبها، ثم يلحق بنا في كابل. وبعد ذلك ذهب إلى محمد شيباني خان، وقطعت رأسه في مدينة "سمرقند".

الشيخ عبد الله برلاس[٢٣٦]:

كان متزوجا من بنت شاه سلطان محمد، التي هي عمة أبو بكر ميرزا والسلطان محمود خان. كان يرتدي الملابس الضيقة جدا. وهو رجل أصيل.

محمود برلاس :

وهو من برلاس نونداك[٢٣٧]. كان أميرا لدى السلطان أبوسعيد ميرزا الذي أعطاه كرمان، بعد استيلائه على ولاية العراق. وعندما تحالف أبو بكر ميرزا، (٣٠أ) ومزيد بك أرغون وأمراء التركمان القرا قوينلو وهاجموا السلطان محمود ميرزا في "حصار"، فلجأ السلطان محمود ميرزا إلى أخيه الأكبر في "سمرقند". لكن محمود برلاس لم يسلم "حصار"، وأبلى بلاء حسنا في الذود عنها. وكان شاعرا وله ديوان.

---

[٢٣٤] أندرآب،وتكتب أيضا أندرآبه، تقع في الجنوب الغربي لبدخشان على سفح السلسلة الرئيسية لجبال هندكوش.بارتولد، تركستان، ص١٤٩. وبها لذاب الفضة وهي مدينة حسنة.معجم البلدان ن ج١، ص٣٤٥. للمدينة نهران أحدهما يسمى أندراب والآخر يسمى نهر كاسان ولها حدائق ومتنزهات وبساتين. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٤٨٤.

[٢٣٥] سيرآب، مكان في عمق نهر بزارق في شمال جبال الهندكوش.

[٢٣٦] برلاس، نسبة إلى قبيلة برلاس التي ينتمي إليها الأمير تيمور وكثيرا ما كان أفراد هذه القبيلة يوصفون بأنهم (أخوة تيمور). انظر : و.بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٤٢.

[٢٣٧] نونداك أو نوندك، اسم مكان في شمال ترمذ، ويبعد عن الصغانيان بمسيرة أميال، انظر، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٤٨٩.

بعد وفاة **السلطان محمود ميرزا**، أخفى "**خسرو شاه**" خبر موته، وامتدت يده إلى الخزائن. وكيف يظل خبر كهذا في طي الكتمان؟! إذ سرعان ما ذاع الخبر وانتشر في المدينة[238] كلها. وكان يوم موت **السلطان محمود ميرزا**، يوم عيد كبير لأهل "سمرقند". وأراد الجند والناس أن يفتكوا بـ "**خسرو شاه**". لكن "**أحمد حاجي بك**"، وأمراء ترخان، قاموا بتهريبه من المدينة إلى "**حصار**" لإخماد هذه الفوضى. وكان **السلطان محمود ميرزا** أثناء حياته، قد أعطى ولاية "**حصار**" لابنه الأكبر "السلطان مسعود ميرزا"، كما أعطى "**بخارا**" إلى "**بايسنغر ميرزا**"، لهذا لم يحضرا وفاة والدهما. وبعد "**خسرو شاه**"، أرسل أمراء **سمرقند** و "**حصار**"، رسولا إلى "ايسنغر ميرزا" في "**بخارا**"، ليأتي ويعتلي عرش **سمرقند** خلفا لوالده.

هزيمة السلطان محمود خان أمام "بايسنغر ميرزا":

كان "**بايسنغر ميرزا**" وقت اعتلائه عرش السلطنة، في الثامنة عشر من عمره. وفي هذه الأثناء استجاب **السلطان محمود خان** لرأي **سلطان جنيد** (٣٠ب) **برلاس**[239]، وبعض أعيان "**سمرقند**"، وجاء بجيشه قريبا من "**كنباي**"[240]، مطالبا بعرش **سمرقند**. فخرج له "**بايسنغر ميرزا**" من "**خراسان**" على رأس جيش غفير مجهز. ودارت رحى الحرب بجوار **كنباي**. وكان **حيدركوكلداش**، أهم

---

[238] يقصد مدينة "سمرقند".

[239] سلطان جنيد برلا، أحد أمراء السلطان حسين بايقرا وزوج شهر بانو بيكم أخت بابر، وعمل أيضا في خدمته.

[240] كنباي، مكان بالقرب من "سمرقند".

رجل فى جند المغول فى المقدمة[٢٤١].

ترجل الجند عن جيادهم، وبدأوا فى إطلاق السهام. وتقدم إليهم فتية سمرقند وحصار على ظهور الخيل، مفعمين بالحماسة، فإذ بهؤلاء المغول الذين يقودهم حيدربك، يتساقطون تحت سنابك الخيل. ولما رأى بقية الجند مصير هؤلاء، جبنوا عن القتال وحلت بهم الهزيمة وهلك أكثرهم. فأمر باى سنقرميرزا بقطع رؤوس أغلب من وقعوا بأيديهم وكانوا كثرة، مما اضطرهم إلى تغيير موضع الخيمة ثلاث مرات.

فتنة ابراهيم سارو[٢٤٢]:

فى هذه الأثناء، انشق علينا ابراهيم سارو، فدخل قلعة اسفرا، وأمر بقراءة الخطبة باسم "بايسنغر ميرزا". وابراهيم سارو هذا من قوم ماتغليغ[٢٤٣]. كان منذ صغره فى خدمة والدي، وارتقى عنده حتى رتبة الإمارة، ثم طرده والدى فيما بعد بسبب ذنب اقترفه.

فى شهر شعبان حركنا الجند، بنية دفع فتنة ابراهيم سارو(٣١أ) وبدأنا حصار اسفرا فى أواخر الشهر نفسه. وفى ذات اليوم تحرك الجند من تلقاء أنفسهم، واستولوا فوربجيهم على الحصن الواقع فى الطرف الخارجي من قلعة

---

[٢٤١] يقصد مقدمة جيش السلطان محمود خان المغولى.

[٢٤٢] ابراهيم سارو، ويدعى أيضا ماتغليغ بك. كان يعمل فى خدمة عمر شيخ ميرزا والد بابر، وارتقى لديه، ثم خرج على بابر والتحق بخدمة بى سنقر ميرزا، ابن السلطان محمود ميرزا، ثم عاد إلى بابر مرة ثانية. انظر، بابر نامه، ورقة ٣٠ب، ٣١ب،٣٨ب.

[٢٤٣] ماتغليغ، جاء فى الترجمة الإنجليزية أن هذا الاسم ربما يكون مشتقا من كلمة "مان" وتعنى رقم ألف فيكون من الجماعة التى تقود الألف مثل كلمة هزاره الفارسية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١/٥٢.

كانت تحت الإنشاء.

أبلى سيد قاسم أشيك أغا في ذلك اليوم بلاء أحسن من كل من معه، بل وتفوق عليهم جميعا في استخدام السيف. فقد أجاد كل من سيد قاسم، و السلطان أحمد تنبل[٢٤٤]، ومحمد دوست طاغايي في استخدام السيف، لكن سيد قاسم انفرد بينهم بدرجة البطولة. ودرجة البطولة، عادة قديمة عند المغول. يحصل عليها المتفوق من الرجال في استخدام السيف في كل عيد أو احتفال. وقد حصل عليها سيد قاسم بدوره في شاهرخيه، وكان ذلك عندما ذهبت لمقابلة خالي السلطان محمودخان.

في اليوم الأول للحرب، استشهد ولي خداي بردي إثر إصابته بسهم زنبركي. كما لقي بعض الفتية حتفهم، وأصيب آخرون كثر، لأنهم حاربوا بغير دروع. وكان في صفوف ابراهيم سارو، رجل ماهر في رمي الزنبرك لم نعرف أمهر منه، وقد استطاع أن يصيب أغلب الجند. وانضم هذا الرجل إلى بعد أن تمكنت من السيطرة على القلعة[٢٤٥].

ولما طال الحصار، أصدرت الأوامر بأن ينشغل (الرجال) جديا بالأعمال اللازمة لإنشاء منصات[٢٤٦] في موضعين أو ثلاثة[٢٤٧]، وفتح ثغرات (٣١ب) في جدار

---

[٢٤٤] السلطان أحمد تنبل، احد الأمراء الخواص عند بابر. وأولاه عنايته ورعايته بما يليق به ويزيد عمن سواه، وارتقى إلى مصاف الأمراء الكبار، ثم انقلب على بابر بعد ذلك، وناصبه العداء، وكان السبب في ضياع فرغانه من يده وخروجه إلى "خراسان". انظر، بابر نامه، ورقة ٥١أ.

[٢٤٥] يقصد قلعة اسفرا.

[٢٤٦] المقصود بكلمة منصة كما في النص الجغتائي "سركوب"، وهو الشيء الذي يقصف الرأس. وفسرته الترجمة الإنكليزية بأنه ارتفاع عن مستوى الأرض مثل حائط المجوم من التراب أو الخشب يمكن منه ضرب الرؤوس التي تظهر أعلى الاستحكامات، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٥٣ وجاءت في التركية "إنشاء قلاع صغيرة"، انظر الترجمة

القلعة والسيطرة عليها. واستمر الحصار أربعون يوما، وفى النهاية أصبح ابراهيم سارو عاجزا (عن الصمود). فى شهر شوال جاء إلينا ابراهيم سارو بوساطة مولانا الخوجه القاضى، وقد اختار الخضوع لنا وعلق السيف والكنانة فى رقبته[٢٤٨]، والتحق بخدمتى، وسلم لنا القلعة.

استيلاء بابر على قلعة "خجند":

كانت "خجند" لسنوات طوال،تحت حكم عمر شيخ ميرزا. وانتقلت إدارتها أثنا هذه الفتن إلى السلطان احمد ميرزا، وكان تراخى القائمين على أمرها سببا آخر لانتقال إدارتها. ونظرا لاننا كنا على مقربة منها فرأينا التوجه إليها. وكان عليها عبد الوهاب شقاوول والد ميرمغول. فلما اقتربنا منها سلم لنا القلعة سلما.

سعى بابر لكسب مودة خاله السلطان محمود خان:

وصل السلطان محمود خان فى هذه الأثناء إلى شاهرخيه. وكان قد حاصر اخسى من قبل. وكما ذكرنا من قبل فقد وصل السلطان احمد ميرزا إلى جوار "الدجان"[٢٤٩] أثناء هذا الحصار. وفكرت فى الآتى: " مادامت المسافة بيننا قريبة إلى هذا الحد، والسلطان محمود خان فى مقام أبى وأخى الكبير، فلم لا أذهب إليه وأجالسه عندئذ سيزول ما بيننا من كدر، وسيكون لذلك أثره الطيب فى

التركية ص ٣٢.

[٢٤٧] هذه الجملة غير موجودة فى الترجمة التركية ص٣٢.

[٢٤٨] والكنانة فى رقبته، يعنى بهذا أنه استسلم له.

[٢٤٩] كان ذلك فى عام ١٤٩٤م. انظر، بابر نامه، ورقة ١٦ب.

نفس كل من يعرف به قريبا كان أو بعيدا ". بناء عليه توجهت إليه و التقيت به في الحديقة التي أقامها **حيدربك** خارج **شاهرخيه**. وكان (**السلطان محمود خـــان**) يجلس[٢٥٠] في خيمة كبيرة مقامة في وسط الحديقة. (١٣٢أ) فلما دخلت الخيمة، انحنيت أمامه ثلاث مرات بتعظيم، فنهض بدوره من مكانه بتعظيم. وتحدثنا سويا و وبعد أن انحنيت له مرة أخرى تأهبا للذهاب، استدعاني إلى جانبه، وأظهر لي الكثير من العطف والمحبة. وبعد يوم أو يومين، تحركت قاصدا "**اخسي**" و"**اندجـــان**" من عند ممر "**كندرلك**"[٢٥١]. فلما بلغت "**اخسي**"، زرت قبر والدي وغادرت **اخســــي** وقت صلاة الجمعة[٢٥٢]. ثم واصلت المسير إلى " **تدجـــان** "،وسلكت الطريق عبر طريق "**بندسالار**"[٢٥٣]، فبلغت **اندجان** بين صلاتي المغرب والعشاء.

طريق "**بندســالار** " هذا طوله تسعة فراسخ[٢٥٤]. ومنطقة "**جكــرك** " التي تشكلت من مهاجري ولاية "**اندجـــان** "، منطقة شديدة الزحام، وهي عبارة عن مقاطعة تضم مايقرب من خمسة أو ستة آلاف أسرة يسكنون الجبال التي بين **فرغانه** و**كاشغر**. وخيولهم وأغنامهم كثيرة. وفي تلك الجبال يربون **القطـــاس**[٢٥٥] بدلا من

---

٢٥٠ يتكلم بابر عن خاله الخان هنا بصيغة الجمع دليل على الاحترام الذي يكنه بابر لخاله الخان.

٢٥١ كندرلك، ممر في فرغانه.

٢٥٢ ويلاحظ هنا أن بابر لم يؤد صلاة الجمعة، ذلك لأن صلاة الجمعة لا تجب على المسافر، وإذا كان نازلا وقت إقامتـــها فإن أكثر أهل العلم يرون أنه لا جمعة عليه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يسافر فلا يصلي الجمعة في سفره. انظـــر، سيد سابق، فقه السنة دار التراث، القاهرة، ج١، ص ٢٥٦.

٢٥٣ اسم موقع على الطريق الموصل بين آخسي واندجان.

٢٥٤ جاء في الترجمة الانجليزية "يطلق عليه الناس اسم طريق الفراسخ التسعة". انظر الترجمة الانجليزية ص٥٥.

٢٥٥ القطاس، هو ثور بري طويل الشعر يوجد في التبت في أواسط آسيا. الياس انطـــون الياس، قاموس اليـــاس العصري، دار الياس العصرية للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص٢/٨٤٦.

الثور. والقطاس كثير جداً هنا. ونظرا لوعورة جبال "جكــرك" ووقوعها علـى الحدود، لم يكن لدى أهلها رغبة لدفع المكوس. فأرسلت الجُند إلى **جكرك** تحت إمرة "**قاسم بك**"، لجمع الأموال من هناك وإحضار بعض لوازم الجُند. فأخذ (من **جكـرك**) حوالى عشرين ألف رأس من الغنم، وألف وخمسمائة جوادا، وزعها على الجُند.

استيلاء السلطان محمود خان علـــى "اوراتيبــه":

بعد العودة من "**جكرك**" سار الجُند إلى "**اوراتيبــه**"، (٣٢ب) وكانت تحت إدارة (والدى) **عمر شيخ مــيرزا** لفترة، وخرجت من يده فى نفس السنة التى توفى فيها[٢٥٦] وهى الآن فى يد **السلطان** "**على مــيرزا**"[٢٥٧]، ويحكمها باسم أخيه الأكبر "**باى سُنْغُر مــيرزا**". فلما نما خبر (هذا التحرك) إلى علم **السـلطان** "**على ميرزا**"، خرج إلى جبال **مسيحا وبلغر**، وترك **الشيخ ذوالنون** الوصى عليه فى "**اوراتيبه**". واجتاز **خُجَنْد**. فلما بلغ منتصف الطريق، أرسلنا رجلا يدعى "**خليفة**"[٢٥٨]، رسولا إلى **الشـيخ ذوالنـون**. فلم يرُدّ ذلك الأحمق الوضيع ردا شافيا، وحبس "**خليفة**" هذا، وأمر بقتله. ولأن **خليفة**، لم يحن أجله بعد، فقد نجا (بنفسه)، وعانى مائة ألف مشقة وعذاب حتى جاء إلينا بعد يومين أو ثلاثة أيام قطعها ماشيا على الأقدام عاريا.

وصلنا إلى جوار "**اوراتيبه**"، فوجدنا الأهالى وقد جمعوا المحاصيل التى

---

[٢٥٦] يقصد عام ١٤٩٤م.

[٢٥٧] السلطان على ميرزا، هو إبن السلطان محمود ميرزا عم بابر.

[٢٥٨] خليفة، هو نظام الدين على بارلاس، إبن السلطان جنيد بارلاس، وكان نائبا لبابر.

فى المروج (خارج المدينة) بسبب اقتراب فصل الشتاء. لهذا السبب رجعنا بعد عدة أيام إلى "**اندجان**". وبعد عودتنا، سار رجال **الخان**"[259] إلى **اوراتيبه**، فترك أهل أوراتيبه مدينتهم دون أن يقاوموا، فأعطاها الخان إلى **محمد حسين كوركان**. وظلت فى يد **محمد حسين كوركان** منذ ذلك اليوم، حتى سنة تسعمائة وثمان[260].

*****

[259] يقصد خاله السلطان محمود خان.

[260] هذا التاريخ يقابل عامى ١٥٠٢-١٥٠٣م.

وقائع سنة إحدى وتسعمائة[٢٦١]

فى الشتاء ، ساق "السلطان حسين ميرزا "، الجند من "خراسان " إلى "حصار "(١٣٣أ) حتى وصل أمام "ترمذ ". كما جمع "السلطان مسعود ميرزا " جنده لمحاربته، وجاء واستقر أيضا أمام "ترمذ ". فى حين تحصن "خسرو شاه" فى "قوندوز"، وأرسل أخاه الأصغر ولى، على رأس الجند (لمساعدة السلطان مسعود ميرزا) . وقد أمضى كل الأطراف فصل الشتاء على حافة الماء هناك، دون أن يعبروه.

ولما كان "السلطان حسين ميرزا"، سلطانا خبيرا محنكا ومجربا، فقد توجه إلى الجانب الأعلى من الماء فى اتجاه "قوندوز". وأرسل عبد اللطيف بخشى على رأس خمسمائة أو ستمائة من رجاله الممتازين، إلى ممر "كليف"، منتهزا فرصة غفلة الجند الذين فى مواجهته هو[٢٦٢]، وانهماكهم فى الصيد. وإلى أن علم أولئك الجند بالأمر، كان عبد اللطيف بخشى قد اجتاز الممر بالفعل وسيطر رجاله على حافة الماء. فلما علم السلطان مسعود بالأمر، صمم "خسرو شاه "على ضرورة السير مع (أخيه) ولى إلى هناك فورا، لكن السلطان مسعود، تخلى عن السير إلى أولئك الرجال[٢٦٣] الذين عبروا هذا الماء وتراجع ناحية حصار كالمهزوم. وكان ذلك

---

[٢٦١] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٥-١٤٩٦م.

[٢٦٢] يقصد جند السلطان مسعود ميرزا.

[٢٦٣] يقصد رجال "السلطان حسين ميرزا"بايقرا.

إما جبنا منه، أو بسبب استجابته لرأى باقى جغانيانى الذى كان معارضا لولى"[٢٦٤]

عبر "السلطان حسين ميرزا " الماء، وأرسل "بديع الزمان ميرزا، وابراهيم حسين، ومحمد ولى بك، و"ذو النون" إلى ارغون، لمهاجمة "خسرو شاه". كما أرسل مظفرميرزا، (٣٣ب) ومحمد برندق برلاس إلى "ختلان"، وجاء هو بنفسه إلى "حصار". ولدى اقترابه منها، كان الأمر قد صار معلوما لمن فيها. فلم يتمكن "السلطان مسعود ميرزا "من البقاء فى "حصار"، وغادرها إلى أخيه الأصغر "بايسنغر ميرزا " فى "سمرقند" سالكا طريق "سروطاغ"[٢٦٥] فى الطرف العلوى من ماء "كمرود". كما انسحب ولى قاصدا "ختلان" فى حين قام باقى جغانيانى ومحمود برلاس ووالد السلطان قوج بك، بتحصين قلعة "حصار".

على أثر هذه الهزيمة، انسحب حمزه سلطان و " مهدى سلطان ". وكانا قد تركا " شيبانى خان "، والتحقا بخدمة السلطان محمود ميرزا لبضع سنين. انسحبا إلى " قره تيكين "[٢٦٦] ومعهما كل رجالهم الأوزبك وكذلك محمود دوغلت، والسلطان حسين دوغلت، وكل المغول الذين كانوا فى ولاية حصار. فلما علم "السلطان حسين ميرزا " بأمر هذا (الانسحاب)، أرسل (ابنه) ابو

---

[٢٦٤] باقى جاغنيانى وولى، هما أخوى "خسرو شاه" وكانا ضمن أمراء السلطان محمود ميرزا عم بابر، انظر، بابر نامه، ورقة ٢٩أ—ب..

[٢٦٥] سروطاغ: بمعنى جبل السرو.

[٢٦٦] قره تيكين، تقع فى الجنوب الغربى من فرغانه.

المحسن ميرزا، وبعض الفتية إلى أعلى وادى كمرود، يتعقبون السلطان مسعود ميرزا. وأدركوه فور دخولهم الممر، لكنهم عجزوا عن النيل منه"[٢٦٧] .وكان ميرزا بك فرنكباز"[٢٦٨] شجاعا في استخدام السيف .كما أرسل "ابراهيم ترخان" و" يعقوب ايوب " ومجموعة من الجند إلى " قره تيكين "،فى أعقاب حمزه سلطان والمغول"[٢٦٩]، فأدركوهم فى قره تيكين وحاربوهم، وانهزم مهاجموا "السلطان حسين ميرزا "(٣٤أ) ووقع أغلب أمرائهم فى أيديهم. ثم أطلق سراحهم بعد ذلك.

لجوء بعض أمراء الأوزبك والمغول إلى بابر:

فى شهر رمضان ، جاء "حمزه سلطان " و "مهدى سلطان " و "مامق سلطان "[٢٧٠]" بن حمزه سلطان ومحمد دوغلت الذي عرف فيما بعد باسم محمد الحصارى . والسلطان حسين دوغلت والأوزبك الذين تحت إمرتهم، والمقيمون في ولاية حصار، والمغول من رجال السلطان محمود ميرزا، جاءوا جميعا إلى "اندجان "طالبين الدخول فى خدمتنا .

كنت أجلس مستندا إلى المتكأ حسب عادة التيموريين، فلما دخل حمزه سلطان ومامق"[٢٧١] سلطان لمقابلتى، اعتدلت ووقفت احتراما لهما، واستقبلتهما ثم

---

[٢٦٧] جاءت فى الترجمة الإنجليزية ص٥٩ "إنهم لم يكونوا أقوياء بالدرجة اللازمة لمثل هذا العمل عندما وصلوا الممر".

[٢٦٨] ميرزا بك فرنكباز، هو من أمراء "السلطان حسين ميرزا "بايقرا.

[٢٦٩] لم ترد كلمة المغول فى الترجمة الإنجليزية ص٥٩.

[٢٧٠] مامق سلطان، جاءت فى الترجمة الفارسية جاق سلطان، انظر الترجمة الفارسية ص٢٢.

[٢٧١] مامق سلطان،جاءت فى الترجمة الفارسية جاق سلطان، انظر الترجمة الفارسية ص٢٢.

أجلستهما القرفصاء عن يميني. وجاء كل المغول الذين تحت إمرة محمد الحصاري وأعربوا عن رغبتهم في الدخول في طاعتنا.

فشل "السلطان حسين ميرزا" في اقتحام قلعة حصار:

جاء "السلطان حسين ميرزا " إلى "حصار" وضرب حصارا حول قلعتها. وانشغل ليل نهار في فتح الثغرات ومهاجمة القلعة وقصفها بالحجارة وإقامة المراجل. ففتح عدة ثغرات في أربعة أو خمسة مواضع. واتسعت الثغرة التي فتحها في الباب الواقع ناحية المدينة. كما فتح الموجودون داخل القلعة فتحة أخرى، فلما وجد (من بداخل القلعة) تلك الفتحة (٣٤ب) سارعوا بإطلاق الدخان عليهم من أعلى. فقام (رجال السلطان حسين ميرزا) بإغلاقها، فاتجه الدخان ناحية حراس القلعة، فلما شارف هؤلاء الحراس على الموت، لاذوا بالفرار. ثم أتوا بالماء وأخذوا يسكبونه بالجرار من فوق القلعة، فأجبروا من دخلها على الفرار من تلك الفتحة. وتسلق عدد من الفتيان الأشداء سور القلعة، وأجبروا الفتية الذين عند الفتحة على الفرار.

ومرة أخرى أقاموا مرجلا شمال مكان الميرزا، وألقوا النيران على القلعة عدة مرات، فدمروا أحد أبراجها. وانهدم البرج وقت العشاء. وأراد بعض الفتية أن يعجلوا بشن الهجوم، لكن الميرزا لم يأذن لهم بسبب حلول الليل. وانشغل من في القلعة بإصلاحها حتى الصباح. وفي اليوم التالي، لم ينشب بينهما قتال. وظل الأمر لمدة شهرين أو شهرين ونصف لايعدو فتح ثغرات أو إقامة قلاع، وإلقاء الحجارة، بدون أن يدور قتال بالمعنى الصحيح.

قتال "خسرو شاه" و "بديع الزمان ميرزا" بسبب "قوندوز":

عندما وصلت الفرقة التى يقودها "بديع الزمان ميرزا" لمحاربة "خسرو شاه" إلى مكان أسفل "قوندوز" بحوالى ثلاثة أو أربعة فراسخ، نظم خسرو شاه كل رجاله وخرج له من " قوندوز" فى اليوم التالى، لمحاربته . ورغم هذا العدد الكبير من الأمراء وأمراء الجند والقواد (١٣٥أ) والرجال الذين ضمهم جيش "بديع الزمان ميرزا "، والذى يقارب ضعف جند" خسرو شاه " ولا يقل عن مثلهم مرة ونصف، فقد جبنوا بالتزامهم الحيطة الزائدة وبقائهم فى خنادقهم ، فى حين كان عدد جند " خسرو شاه " بخيرهم وشرهم وكبيرهم وصغيرهم حوالى أربعة أو خمسة آلاف رجل. وفى سبيل هذه الدنيا الفانية، ورجال غير أوفياء سينتهى أمرهم فى يوم من الأيام، مضى " خسرو شاه " فى تكوين هذا العدد الكبير من الجند وضم الكثير من الولايات الكبيرة، متخذا من الظلم والضلال شعارا، وارتضى لنفسه كل هذه الآثام والسيرة السيئة. ثم زاد عدد رجاله وناهز العشرين أو الثلاثين ألفا .وأصبحت ولايته تفوق ما لدى سلطانه وما لدى أمرائه. وهذا هو العمل الوحيد الذى نجح فى إنجازه طوال حياته. وحقق " خسرو شاه " وأتباعه شهرة واسعة فى الشجاعة وقيادة الجيش. أما الذين جبنوا ولم يخرجوا له من الخندق فقد اشتهروا بالجبن والتخاذل، ولاكتهم الألسن.

تحرك "بديع الزمان ميرزا " من مكانه[٢٧٢]، واستطاع أن يصل إلى جبل

---

[٢٧٢] مكانه أسفل "قوندوز"

"ألغو" في "طالقان" [273] بمشقة كبيرة. في حين ظل خسرو شاه في قلعة "قوندوز"، وأرسل أخاه الأصغر "ولي" مع عدد من خيرة فتيانه إلى "أشمك" و "قلولي" [274] وسفوح الجبال المجاورة، بغية نقل النزاع إلى خارج "قوندوز".

إلتقى "محب علي القورجي" [275] وعدد من الفتيان الشجعان، بهؤلاء الرجال [276] عند حافة ماء ختلان (٣٥ب) فهزمهم، وقبض على بعضهم، وقطع رأس البعض الآخر. وفي المرة الأخيرة جاء "سيديم علي دربان" وأخوه الأصغر قولي بك وبهلول أيوب وعدد من فتيانه، للثأر لهذه الهزيمة. ودار القتال عند سفح جبل "العنبر" بالقرب من "خوجه جنكسال" [277] في نفس المكان الذي اجتازه جند "خراسان" وأدركهم بعض الرجال من الجانب الآخر، وقبضوا على سيديم علي وقول بابا وكل الفتيان الشجعان.

إنتهاء الحرب بالصلح والمصاهرة :

علم "السلطان حسين ميرزا" بهذه الواقعة، ولم يكن جيشه في وضع آمن بسبب أمطار "خراسان" الربيعية لهذا رأى عقد المصالحة. فالتقى الأمراء الكبار ومحمود برلاس نائبا عمن داخل قلعة (حصار)، وحاجي بير بقاوول

---

[273] طالقان، هكذا في المخطوطة وفي الترجمة الإنجليزية ص ٦٠، وقد جاءت في الترجمة التركية "حديقة طالقان الكبيرة" انظر، الترجمة التركية ص ٣٦، وجاءت في الترجمة الفارسية "طالخان" انظر، الترجمة الفارسية ص٢٣.

[274] قلولي، جاءت في الترجمة الفارسية قلول، انظر الترجمة الفارسية ص٢٣.

[275] محب علي القورجي، هو أحد رجال "خسرو شاه" و"قورجي هو اسم مغولي يطلق على الشخص الذي يقوم بحمل السهام والأقواس. انظر، فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٥٩..

[276] يقصد رجال "بديع الزمان ميرزا" ابن السلطان حسين بايقرا.

[277] خوجه جنكال، تقع شمال طالقان بأربعة عشر ميلا على نهر طالقان..

نائبا عمن خارجها . وجمعوا كل ما لديهما من مغنيين وموسيقيين، وزوجوا بنت **السلطان محمود ميرزا** الكبرى وابنة السيدة **خوانزاده بيكم**، إلى **حيدر ميرزا**، ابن السيدة **باتيه سلطان بيكم**، حفيدة بنت **السلطان أبوسعيد ميرزا ترخان**. ثم تحرك "**السلطان حسين ميرزا** "من عند **حصار**، قاصدا "**قوندوز**". فلما بلغها، انشغل بحصارها مستخدما شيئًا من السياسة[٢٧٨] . وفى النهاية توسط بينهما[٢٧٩] "**بديع الزمان ميرزا** "، فتصالحا وتبادلا الأسرى (٣٦أ) ورجع كل منهما من حيث أتى .

كان مجيء "**السلطان حسين ميرزا** " مرتين إلى "**حصار** " وفشله فى أخذها، سببا فى استفحال أمر **خسروشاه**، وتجاوزه الحد فى تصرفاته .

لما جاء"**السلطان حسين ميرزا** " إلى **بلخ**، أعطاها إلى (ابنه) "**بديع الزمان ميرزا** "، كما أعطى ولاية "**استرآباد** " التى هى ولايته، إلى (ابنه الثانى) **مظفر حسين ميرزا**، حتى يستتب السلام والأمن فى ولاية ما وراء النهر . على أن يتبع الاثنان مجلسا واحدامشتركا **لبلخ واسترآباد** . وهذا ما أغضب "**بديع الزمان ميرزا** " وتسبب فى إثارة العداوة والفتنة بينهما لعدة سنوات .

تمرد الترخانيين فى "سمرقند ":

فى شهر رمضان من العام نفسه تمرد الترخانيون فى "**سمرقند** ". وسبب ذلك أن "**بايسنغر ميرزا** "كان وثيق الصلة بأمراء وفرسان "**حصار**". فى حين لم

---

[٢٧٨] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "حفر عددا من الخنادق". انظر الترجمة الإنجليزية، ص٦١.

[٢٧٩] بينهما، يقصد بين السلطان حسين بايقرا و"خسرو شاه".

تكن علاقته بأمراء وفرسان سمرقند،بنفس الدرجة. وكان له صديق كبير اسمه "الشيخ عبد الله برلاس"، فتوثقت صلة أبنائه (بالميرزا)، وربطت بينهم وبين الميرزا أخوة عميقة، حتّى صاروا يشبهون صلة العشاق والمعشوقون. وأثارت هذه العلاقة الحميمة، البغضاء بين أمراء ترخان وبعض أمراء سمرقند. بناء على ذلك جاء "درويش محمد ترخان "من " بخارا "، وجاءوا بالسلطان "على ميرزا "من "قارشى " إلى "باغ نو "[٢٨٠]، وأعلنوه سلطانا (فى سمرقند). وأخذوا باى سنقر من "باغ نو " إلى القلعة مجردا من رجاله وخدمه، وكأنه أسير. (٣٦ب)

هروب "باى سنقر ميرزا ":

أعلنوا الأميرين حاكمين فى مكان واحد. وفكر (الترخانيون) فى نقل "بايسنغر ميرزا " إلى "كوك سراى " عند صلاة العصر"[٢٨١]. و دخل "بايسنغر ميرزا " تكية فى الطرف الشمالى من "بستان سراى "[٢٨٢] بحجة الوضوء ودخل معه محمد قولى قوچين وحسن شربتچى بينما ظل الترخانيون واقفين بالباب. وتصادف أن كان الباب الخلفى للمكان الذى دخله الميرزا للوضوء، مغطى بالقرميد وبه باب يوصل إلى الخارج. فكسر(الميرزا) هذا الباب وخرج من جسم القلعة الواقع ناحية "غاتفر " متتبعا طريق الماء. وألقى بنفسه من فوق جدار مرتفع،

---

[٢٨٠] باغ نو، بمعنى الروضة الجديدة،وهى إحدى حدائق سمرقند.

[٢٨١] نقله إلى كوك سراى اى قصر السماء، بمعنى الإشارة إلى قتله. فكما ذكر بابر أن"كوك سراى واحدة من التكايا الكبيرة التى ابتناها تيمور بك فى قلعة "سمرقند".وكان لهذه التكية سمة غريبة، فإذا اعتلى أحد أبناء تيمور العرش على أثر تمرد، فإنه يعتليه هناك. وإذا قطعت رأسه بسبب نزاع، فإنما تقطع هناك حتى صار القول بأنهم نقلوا الأمير السلطان إلى كوك سراى، كناية عن قتله. انظر، بابر نامه، ورقة ٣٧أ.

[٢٨٢] بستان سراى، بمعنى قصر البستان.

وذهب إلى منزل **"خوجه كا خوجه"**[٢٨٣] في **"خوجه كفشير"**[٢٨٤]. ولم يتبين الواقفون بباب الميضأة أمر هروب **الميرزا** إلا بعد فترة.

وفي صباح اليوم التالي، توجه **الترخـــانيون** في جمع غفير، إلى منزل **"خوجه كا خوجه "** لكنه رفض أن يسلم لهم **الميرزا**. ولم يتمكنوا من أخذه عنوة، فمكانة **الشيخ** المرموقة تحول دون استخدامهم القوة. وبعد يوم أو يومين اجتمع **خوجه أبو المكارم**، و**"أحمد حاجي بك "**، وبعض الفتية والفرسان، وكل أهل المدينة[٢٨٥] وباغتوا **الترخانيين** بهجمة رجل واحد. (٣٧أ) وأخذوا **"بايسنغر مــيرزا "** من منزل الخوجه، وحاصروا **"على ميرزا "** والترخانيين داخل القلعة. وعجز الموجودون داخل القلعة عن الدفاع عنها ليوم واحد. وخرج **"محمد مزيد ترخــان "** من باب **"جار راه "**[٢٨٦] وذهب إلى **"بخارا "**. بينما قبضوا على **السلطان "على مــيرزا "** و **"درويش محمد ترخان "**.

كان **"بايســنغر مــيرزا "** في منزل **حـاجي بــك** عندما جاء الناس بـ **"درويش محمد ترخــان "** إليه. فسأله[٢٨٧] عدة أسئلة، فلم يجب عنها جوابا شافيا، وكل ما قاله إنه لم يقم بمثل هـذا العمل، وأمر به أن يعدم فعلقوه على العمود بسبب وهنه. لكن أيتركونه معلقا على العمود بهذه الصورة ؟! وأعدموه. كما طرد

---

[٢٨٣] خوجه كا خوجه، يقصد أكبر أبناء الشيخ عبيد الله وكنيته أبو المكارم ولقبه شمس الدين.

[٢٨٤] خوجه كفشير، مكان بجوار سمرقند.

[٢٨٥] يقصد مدينة سمرقند.

[٢٨٦] جار راه، الشكل المخفف لكلمة جهار راه، بمعنى الطرق الأربعة.

[٢٨٧] "باي سنقر ميرزا" سأل درويش محمد ترخان مثير الفتنة.

السلطان على ميرزا " إلى كوك سراى، وأمر بسمل عينيه.

كوك سراى واحدة من التكايا الكبيرة التى ابتناها تيمور بك فى قلعة "سمرقند". وكان لهذه التكية سمة غريبة هى أنه إذا اعتلى أحد أبناء تيمور العرش على أثر تمرد، فإنه يعتليه هناك. وإذا قطعت رأسه بسبب نزاع، فإنها تقطع هناك أيضا. حتى صار القول "إنهم نقلوا الأمير الفلانى إلى كوك سراى" كناية عن قتله.

صعدوا بالسلطان "على ميرزا" إلى كوك سراى، وسملوا عينيه، لكنه لم يتأثرا من عملية السمل؛ وقد يكون هذا بوعى الجراح أو بدون رغبة منه. (٣٧ب) لكن السلطان "على ميرزا" أخفى الأمر فى الحال، وتوجه إلى منزل "خوجه يحيى"[٢٨٨]، وبعد يومين أو ثلاثة هرب إلى "بخارا" حيث الترخانيين. ولهذا السبب نشبت العداوة بين أبناء الخوجه عبيد الله، وأصبح الكبير مريبا للكبير والصغير عضدا للصغير"[٢٨٩]. وبعد بضعة أيام ذهب "خوجه يحيى" أيضا إلى "بخارا". وساق "بايسنغر ميرزا" الجند إلى هناك ضد السلطان "على ميرزا". فلما اقترب من "بخارا"، خرج له السلطان "على ميرزا" والأمراء الترخانيون، وجرت بينهم مناوشة بسيطة. وكانت الغلبة للسلطان "على

---

[٢٨٨] خوجه يحيى، هو إبن الشيخ عبيد الله وقد خلط قاميردى بينه وبين اخيه الأكبر خوجه كا خوجه المكنى بأبو المكارم خوجه.لكن بابر يذكرهما باعتبارهما شخصين وليسا شخصا واحدا حيث أن أبو المكارم خوجه هو الأخ الأكبر ليحيى خوجه وهما إبنا الشيخ عبيد الله خوجه.انظر قاميرى، تاريخ بخارى، ص٣٠٢.

[٢٨٩] جاء فى الترجمة الانجليزية تفسيرا لهذا القول يفيد أن خوجه أبو المكارم وهو الابن الكبير للشيخ عبيد الله صار مساندا للسلطان الكبير وهو السلطان "باى سنقر ميرزا"، كما صار خوجه يحي وهو الابن الأصغر للشيخ عبيد الله مساندا للسلطان الصغير وهو السلطان "على ميرزا".

ميرزا"وانهزم "بايسنغر ميرزا " . ووقع "أحمد حاجى بك " وبعض الفتية الآخرين فى قبضتهم، فقتلوا أغلبهم، واتهموا "أحمد حاجى بك " بقتل "درويش محمد ترخان "[٢٩٠]، وقتلوه انتقاما بطريقة مهينة.

حصار "سمرقند":

سار السلطان "على ميرزا " إلى سمرقند فى أعقاب "بايسنغر ميرزا"[٢٩١] . وقد علمنا بهذ الأمر فى شهر شوال أثناء وجودنا فى أنديجان، فتحركنا بالجند فى الشهر نفسه للاستيلاء على سمرقند . وكان "السلطان حسين ميرزا " فى طريقه عائدا من "حصار " و "قندوز "، وبذلك هدأ بال "السلطان مسعود ميرزا " و "خسرو شاه " (٣٨أ) كما جاء "السلطان مسعود ميرزا " إلى "شهر سبز "[٢٩٢] قاصدا الاستيلاء على سمرقند، وسانده "خسرو شاه "، فأرسل معه أخاه الأصغر "ولى " . وهكذا حاصرنا سمرقند من جهات ثلاث لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر.

جاء "خوجه يحيى " من عند السلطان "على ميرزا "، للاتفاق معنا على تكوين جبهة واحدة. واتفقنا على أن نتقابل (مع السلطان على ميرزا) .

---

[٢٩٠] هكذا جاءت العبارة فى الأصل الجغتائى والترجمة التركية. وجاءت فى الترجمة الإنجليزية على النحو التالى: "إن إماه وعبيد درويش محمد طرخان قبضوا على أحمد حاجى بك الذى طردهم من بخارى، وقتلوه بطريقة مهينة ثأرا لدماء سيدهم ". انظر الترجمة الإنجليزية ص ٦٣. كما جاءت ذات العبارة بنفس المعنى فى الترجمة الفارسية :"وقبض غلمان وإماء درويش محمد ترخان، على أحمد حاجى بك وقتلوه بطريقة مهينه إنتقاما لمقتل سيدهم". انظر الترجمة الفارسية ص ٢٥.

[٢٩١] هذه العبارة غير موجودة فى الترجمة الإنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٦٤.

[٢٩٢] شهر سبز، بمعنى المدينة الخضراء، وتسمى أيضا كيش. فى "سمرقند".

توجهت بجنودي إلى المكان المتفق عليه من ناحية "**سـغد**"[٢٩٣] أسفل "**سمرقند**" بفرسخين أو ثلاثة فراسخ. كما جاء السلطان "**على ميرزا**" بجنده من الناحية الأخرى. وعبر مع أربعة أو خمسة من رجاله من جانب، وعبرت من الجانب الآخر مع عدد مماثل من رجالي، والتقينا وسط ماء "**كـهك**". وتكلمنا ونحن على ظهور الخيل، ثم رجع كل فريق من حيث أتى. وهناك رأيت الملا[٢٩٤] **بنائى**[٢٩٥] **ومحمد صالح** في خدمة الخوجه. ولم ألتق **بمحمد صالح** سوى هذه المرة فقط، والتحق **الملا بنائى**[٢٩٦] فيما بعد بخدمتي لفترة.

بعد أن تقابلت مع السلطان "**على ميرزا**"، رجعت إلى "**اندجـان**" نظرا لاقتراب فصل الشتاء، وأيضا حتى لا يتعرض أهل **سمرقند** لمزيد من المعاناة، كما ذهب السلطان "**على ميرزا**" إلى "**بخـارا**". وكان لدى "**السلطان مسعود ميرزا**" ميل شديد لابنة "**الشيخ عبد الله برلاس**"، فتزوجها ورجع إلى "**حصار**"، صارفا النظر عن المطالبة بالحكم (٣٨ب) وربما كان هذا هو سبب مجيئه إلى

---

[٢٩٣] سغد، وتكتب أيضا "صغد، بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة. ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلالها وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند. انظر معجم البلدان، ج٥، ص ٨٦. وموضعها المنطقة الجبلية بإقليم ما وراء النهر. فامبري، تاريخ بخارى، ص٢٧.

[٢٩٤] الملا، الشكل الإملائي العربي لها "مولى"

[٢٩٥] بنائي، هو كمال الدين شير علي الهروي، شاعر إيراني، توفي عام ٩١٨هـ = ١٥١٢م، تخلص ببنائي لأن والده كان معماريا. تعلم الأدب والموسيقى والخط في هراة. وبرع في الشعر والنثر وتفوق على شعراء عصره. لقب في بلاط محمد شيباني خان بلقب ملك الشعراء. وكان معه عندما فتح "خراسان". انظر خواندامير، تاريخ حبيب السير، كتابفروشي خيام، جاب دوم ١٣٥٣ هجري شمسي، ص ٢٨٦. وقد ترجم بابر ترجمة وافية لبنائي في بابر نامه، ذكر فيها أنه لقب بهذا اللقب لأنه كان رئيس معماريين. وهو شاعر صاحب ديوان وله مثنويات ثم ذكر علاقته بمير علي شير نوائي. انظر، بابر نامه، ورقة ١٧٩ب. وقد أوردت الترجمة الفارسية اسمه "ثنائي" بدلا من بنائي، انظر الترجمة الفارسية ص ٢٥.

[٢٩٦] الملا بنائي، جاء الإسم في الترجمة الفارسية "المولى ثنائي" انظر الترجمة الفارسية، ص٢٥.

سمرقند. وهرب "مهدي سلطان" إلى سـمرقند (مرورا) من جوار شـيراز وكنباي. كما استأذن حمزه سلطان عند "زامين " وذهب إلى بخارا.

*****

وقائع سنة اثنتين وتسعمائة[297]

نزاع الأخوين "على ميرزا " و "بايسـنغر مـيرزا ":

فى هذا الشتاء كانت كل جهود "بايسـنغر مـيرزا " تسيرعلى ما يرام بشكل عام. فقد جاء عبد الكريم اشرت من عند "السلطان علـى مـيرزا "، واقترب من كوفين[298]، وخرج له "مهدى سلطان " من "سـمرقند " على رأس جيش "بايسنغر ميرزا " والتقيا وجها لوجه بالقرب من كوفين. فضرب "مـهدى سلطان " جواد "اشـرت " بسيفه الجركسى، فأهلكه وطرح اشـرت الذى هم بالوقوف لكن "مهدى سلطان " بادره وقطع يده من المفصل، فسقط على الأرض ووقع فى الأسر ومنى جنده بهزيمة منكرة. ولما رأى هؤلاء السلاطين[299] أن الفوضى تعم سمرقند، وأبواب الأمراء (التيموريين)، ذهبوا فى الربيع التالى إلى "شـيبانى خـان ". واستمد السمرقنديون الشجاعة من هذا[300]، وجيشوا الجيش ضد السلطان "على ميرزا ". وذهب "بايسنغر ميرزا " إلى سـربل[301]، بينما توجه السلطان "على ميرز" إلى خوجه كازرون[302]. وفى ذات الوقت وبتحريض من

---

[297] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٦-١٤٩٧م.

[298] كوفين، اسم مكان بجوار "سمرقند".

[299] يقصد سلاطين الأوزبك ومنهم "مهدى سلطان" هنا.

[300] يقصد هذا الانتصار على عبد الكريم اشرت.

[301] سربل، يعنى رأس الجسر. وهو مكان بجوار "سمرقند"

[302] خوجه كازرون، جاء هذا الاسم فى الترجمتين الإنجليزية والفارسية كازرون. وهو اسم مكان بجوار "سمرقند".

خوجه منير الأوشى"[٣٠٣]، أرسل خوجه أبو المكارم، كلا من يس لاغـوى أحد أمراء "اندجان"(١٣٩أ)، ومحمد بـاقر وبعض الفتية الآخرين المقربين للأمير قاسم دلدى و "بايسنغر ميرزا "، لمهاجمة "بخـارا ". وكان أهلها يعلمون بأمر الهجوم المرتقب، لهذا عجز هؤلاء المهاجمون عن النيل منهم، وعادوا أدراجهم دون أن يظفروا بشيء.

تحرك بابر والسلطان "على ميرزا " لمحـاصرة "سـمرقند":

عندما تقابلت مع السلطان "على ميرزا "(فى العام الماضى)، اتفقنا أن يأتى بجنده من "بخارا "، ونأتى نحن من "اندجان "، ونحاصر "سمرقند " فى الربيع القادم. وبناء على هذا الاتفاق، تحركنا من "اندجـان " فى شهر رمضان. فلما اقتربنا من "يـاربيلاق "، علمنا بأمر المواجهة الدائرة بين الأميرين. فأرسلنا تولون خوجه المغولى على رأس مائتى أو ثلاثمائة من الفتية المغيرين لشن الهجوم. وعلم "بايسنغر ميرزا " بأمرنا، فانسحب كالمهزوم. ودخل الفتية، معسكر أولئك الأمراء فى جنح الليل، وأمطروا أكثر رجالهم بالسهام، وعادوا بغنائم كثيرة.

التوجه إلى شيراز :

بعد يومين وصلنا إلى قلعة شيراز. وكانت شيراز فى يد قاسم دلداى[٣٠٤]. فلما عجز والى القلعة عن الدفاع عنها، سلمها لنا. وأسندنا إدارتها إلى ابراهيم سارو.

---

[٣٠٣] خوجه منير الأوشى، هو أحد رجال "باى سنقر ميرزا" بن السلطان محمود ميرزا.

[٣٠٤] قاسم دلداى، هو أحد رجال باى سنقر ميزا بن السلطان محمود ميرزا، ثم انضم إلى بابر بعد ذلك.

كان اليوم التالى هو عيد الفطر فصلينا صلاة العيد هناك، ثم استأنفنا السير إلى "سمرقند" فبلغنا مرعى "آيبار"[٣٠٥]. وفى ذلك اليوم جاء قاسم دلداى، وويس لاغرى، وحسن بنده، والسلطان محمد سيغل (٣٩ب)، والسلطان محمد ويس، وانضموا إلينا مع ثلاثمائة أو أربعمائة رجل، وقالوا :(عندما انسحب "بايسنغر ميرزا"، تركناه وجئنا لنلتحق بخدمة السلطان). لكن اتضح فيما بعد أنهم انفضوا عن "بايسنغر ميرزا" بغية الدفاع عن "شيراز". فلما صار أمر "شيراز" إلى ما صار إليه، أسقط فى أيديهم، فجاؤا إلينا. وعندما نزلنا "قرا بولاق"[٣٠٦]، أمسك رجالنا بالمغول المتمردين فى بعض القرى التى آلت إلينا، وجاءوا بهم فقتل "قاسم بك" ثلاثة أو أربعة منهم ومزقهم إربا لردع الباقين وتخويفهم. ولهذا السبب، انفصل "قاسم بك" عنا بعد ذلك بأربع أو خمس سنوات، ونحن فى الطريق من "مسيخا" لمقابلة حضرة الخان فى زمن المنازعات، وذهب إلى "حصار".

التحرك إلى يام[٣٠٧]:

تحركنا من قرا بولاق، وعبرنا الماء، ثم نزلنا أمام يام. وفى ذلك اليوم تقاتل بعض أمرائنا الخواص[٣٠٨]، مع رجال "بايسنغر ميرزا" عند رأس "خيابان"[٣٠٩]،

---

[٣٠٥] آيبار، هو اسم مرعى بجوار "سمرقند".

[٣٠٦] قرا بولاق، هو موقع بالقرب من "جكمند" فى ولاية سوديا، انظر، عبد الرشيد إبراهيم، عالم الإسلام، ترجمة أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى، ط١، ص ٧٦. ويقول رشيد رحتى أرات إنه اسم مملكة تقع بين جبال مسيخه ويام بجوار "سمرقند" الترجمة التركية، الملاحق، ص٤٩٨/١.

[٣٠٧] يام، اسم مكان بجوار "سمرقند".

[٣٠٨] الأمراء الخواص بمثابة الأصدقاء وهم الأمراء المقربون من السلطان، كما أنهم طائفة من الأمراء القائمين على الخدمة الشخصية للسلطان ويشتركون فى كل وظائف القصر وقد يترقون إلى وظائف عالية فى الدولة. انظر، الترجمة التركية لبابر نامه، ج ٢، ص ٦١٣.

فأصابوا السلطان أحمد تنبل برمح في حلقه، لكنه لم يسقط من فوق جواده. كما انتقل إلى رحمة الله الحاج مولاى صدر، الأخ الأكبر لخوجــه كــلان، على أثر إصابته بسهم في عنقه. وكان فتى ممتازا، حظى برعاية والدى فاتخذه "مــهردار". وكان مشتغلا بالعلم (١٤٠أ)، جميل الإنشاء، عارفا بفنون الصيد. واستطاع المطر عن طريق استخدام حجر اليشم.

أثناء وجودنا بجوار "يام"، خرج من المدينة عدد كبير من التجار وغيرهم، ليتاجروا في سوق الجيش. وذات يوم، وفي وقت صلاة العصر، سرقت فجأة (بضائع) كل هؤلاء المسلمين. ولما كان النظام مستتبا بقوة بين الجنود، فقد أصدرنا أوامرنا على الفور بإعادة البضائع للأهالى، وألا يخفى أحد شيئا منها. وفي صباح التالى كانت كل الأشياء قد أعيدت إلى أصحابها ولم ينقص منها شيء مهما قل شأنه، "فلم يبق خيط ولا طرف إبرة مكسورة".

الوصول إلى خان يــوردو[٣١٠]:

تحركنا من "يام"، ونزلنا "خان يــوردو" على مسافة ثلاثة فراسخ[٣١١] من "ســمرقند"[٣١٢]. وأقمنا هناك حوالى أربعين أو خمسين يوما. وخلال هذه الفترة القصيرة، حدثت في "خيابان" عدة مناوشات بين الفتية في الجانبين. وقد اشترك

---

[309] خيابان، تعني في الفارسية شارع رئيسي، المتسع.

Ziya Şükün.a.g.e.c.2.s.833.

[٣١٠] خان يوردو، بمعنى موطن الخان.

[٣١١] ثلاثة فراسخ، هذه المسافة تعادل خمسة عشر كيلو متر.

[٣١٢] ذكر بابر في ص ٤٨أ، أن خان يوردو هذا يقع على مسافة فرسخ واحد من شرق سمرقند.

إبراهيم باغجيك فى إحدى هذه المناوشات، وجرح فى وجهه، فسمى لذلك باسم "إبراهيم جابوق ". وفى مرة أخرى استخدم "ابو القاسم كهبر" دبوسه[٣١٣]، عند جسر ماغاق قرب "خيابان"، ودار قتال آخر فى "خيابان " أيضا، بجوار نهر صغير (٤٠ب)، استخدم فيه "مير شاه قوجين " الدبوس، وأخذوا[٣١٤] يكيلون له الضربات حتى قطعت رقبته إلى منتصفها، باستثناء الشريان الرئيسى.

بينما نحن فى "خان يسوزدو "، أرسل الذين داخل القلعة رجلا لخداعنا، برسالة فحواها أن : تعالوا إلى "غار عاشقان "[٣١٥] ليلا، لنسلم لكم القلعة. (بناء عليه) تحركنا فى المساء حتى بلغنا جسر ماغاق. وأرسلت عددا من خيرة الفتيان والمشاة، إلى المكان المتفق عليه. وبعد ذلك علمنا أنهم قتلوا أربعة أو خمسة من مشاتنا الأشداء، وألقوا بجثثهم خارج القلعة. وكان أحدهم ويدعى حاجى، يعمل فى خدمتى منذ طفولتى. وآخر يدعى محمود كوندوسنك.

أثناء وجودنا هناك[٣١٦]، جاء جمع غفير من أهل "سمرقند "وتجارها، فحولوا معسكر الجيش إلى مدينة، وتوفر فى المعسكر كل ما نرجوه من المدينة.

فى تلك الأثناء، استوليت على سائر القلاع والجبال والوديان، باستثناء "سمرقند" وقام بعض الرجال بتحصين قلعة "أوزكست "، وتقع على سفح جبل

---

[٣١٣] الدبوس، أداة قتال قديمة عبارة عن عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس. انظر، شمس الدين سامى، انظر، قاموس تركي، ص ٨٩٠/٣.

[٣١٤] يعنى رجال أمير خيابان.

[٣١٥] غار عاشقان، يعنى غار العشاق.

[٣١٦] أى فى خان يوردو.

"شـــاودار "[٣١٧] فلما أدركنا أهمية التوجه إلى "أوزكـــت"، تحركنا إليها ولم يقاوم أهلها، وأعلنوا طاعتهم لنا، وتوسط بيننا وبينهم مولانا القـــاضى،(١٤١أ) فتجاوزنا عن أخطائهم، ورجعنا لمحاصرة سمرقند مرة أخرى.

نزاع " السلطان حسين ميرزا " مع " بديـــع الزمـــان مـــيرزا ":

فى هذه السنة ،أدت الخلافات الناشبة بين "السلطان حسين ميرزا "، وابنه "بديع الزمان ميرزا "، إلى اشتعال القتال بينهما. والمسألة هى أنه ، كما ذكرنا فى السنة الماضية، أن "السلطان حسين ميرزا "، أخضع ولديه "بديع الزمان مـــيرزا " و "مظفر ميرزا " بإعطائهما بلخ وأستراباد . ومنذ ذلك الحين، وحتى اليوم، لم تنقطع الرسل بينهما . ثم جاء "على شير بك " رسولا من عند حسين ميرزا وبذل محاولات كثيرة لإقناع "بديع الزمان مـــيرزا " بالتنازل عن أستراباد إلى أخيه الأصغر، لكنه رفض قائلا :" إن السلطان حسين ميرزا "، أهدى هذه المنطقة إلى إبنى محمد مؤمـــن عند ختانه ". وذات يوم اجتمع "علـــى شـــير بـــك " مع الميرزا[٣١٨] فى مجلس دار فيه حديث دل على سرعة بديهة المـــيرزا، ورقة قلب "على شير بك". ذلك أن "على شير بك " أفضى إلى الميرزا بأسرار كثيرة، ثم أردف قائلا له :" إنس كل ما قلته لك "، فبادره الميرزا متسائلا :"ماذا قلت ؟ "، فبدى التأثر على (وجه) على شير وأجهش بالبكاء.

---

[٣١٧] شاودار، ذكرها الأصطخرى باسم "جبال ساودار ". وقال : إن الساودار هو الجبل الذى عن جنوبى سمرقند. انظر، الاصطخرى، المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١، ص١٨٠. وذكرها الشريف الإدريسى باسم "جبال شـــاوذار"، وقال: "إنها فجاج ذات أنهار جارية تسقى ضياعا ومزارع. انظر، الشريف الإدريسى، نزهة المشتاق، ج١، ص ٥٠٢.

[٣١٨] يقصد "السلطان حسين ميرزا" (بايقرا).

واشتعلت(الفتنة) بين الأب وابنه بسبب الشائعات،وساق الأب الجند ضد ابنه، وساق الابن الجند ضد أبيه إلى بلخ وأستراباد. وجاء "**السلطان حسين ميرزا**" من أسفل[319] و "**بديع الزمان ميرزا**" من أعلى[320]، إلى جوار "**يك جراغ**" (١٤ب) عند سفح "**كاروزن**". وفي يوم الأربعاء غرة رمضان، تقدم **أبو المحسن ميرزا** على رأس عدد من الأمراء والمغيرين من جند "**السلطان حسين ميرزا**"، فانهزم "**بديع الزمان ميرزا**" بغير أن تدر حرب بالمعنى المعروف. ووقع في الأسر عدد من خيرة فتيانه. فأمر "**السلطان حسين ميرزا**" بقطع رؤوسهم جميعا. ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة،فقد أمر **السلطان** بقطع رؤوس كل من يقع في أسره من الرجال، إذا انهزم من تمرد عليه من أبنائه وناصبه العداء. ولماذا لا يفعل هذا والحق بجانبه ؟.

لقد أطلق أولئك الأمراء العنان لشهواتهم ومتعهم، ولم يردعهم اقتراب سلطان عاقل ومجرب مثل والدهم، إلى مسافة نصف يوم منهم، أو دخول شهر مبارك وعزيز كشهر رمضان، من الانغماس في الخمر والمتعة واللهو بغير حياء من والدهم، أو خوف من الله. ولا ريب أن رجال هذا دأبهم، لابد وأن تحل بهم، وبكل من على شاكلتهم، هزيمة كهذه.

كانت **استرآباد** في يد "**بديع الزمان ميرزا**" لعدة سنوات. وكان المحيطون به وفتيانه، منغمسين في الملذات والترف. فأكثروا من الأدوات المصنوعة من الذهب والفضة، ولبس فتيانه الملابس الموشاه (٤٢أ)، واقتنوا ما لا يحصى من الخيل

[319] يقصد جاء من بلخ.

[320] يقصد جاء من هرات.

الأضيلة. وقد خسروها كلها هنا . وأثناء هروبهم[٣٢١] عبر طريق الجبل، مروا بمنطقة صخرية ذات هاوية لقى فيها أغلب الرجال حتفهم، ونزلوا من الجبل بصعوبة.

استرداد " السلطان حسين ميرزا " "بلخ ":

جاء "السلطان حسين ميرزا " إلى **بلخ** بعد أن هزم ابنه (**بديع الزمان ميرزا**) .وكان "**بديع الزمان ميرزا** " قد ترك **الشيخ على طغايي** فى **بلخ**، والذى أظهر بدوره عجزا عن التصرف، فسلم **بلخ** طواعية إلى "**السلطان حسين ميرزا** "، فأعطاها بدوره إلى **إبراهيم حسين ميرزا**، وترك معه **محمد ولى بك**، و**الشيخ حسين جهره**، ثم رجع إلى "**خراسان** ".

لجوء " بديع الزمان ميرزا " إلى " خسرو شاه ":

بعد هزيمة "**بديع الزمان ميرزا** "، وضياع ملكه وماله، ذهب مع من تبقى من فتيانه ورجاله، حفاة عراة، إلى "**خسرو شاه**" فى "**قوندوز**" . فأحسن الأخير وفادته، وأعطاه خيلا وإبلا وخياما من كل حجم، وكل ما يلزم الفرسان من تجهيزات، وما يحتاج إليه **الميرزا** أو من معه. وأظهر له من حسن المعاملة والرأفة الشيء الكثير، حتى أن من رأوا هذا قالوا : "ما خسر **الميرزا** بعد هزيمته، سوى الأدوات الموشاة بالذهب والفضة " .

نزاع "مسعود ميرزا " و " خسرو شاه ":

دب الخلاف بين "**السلطان مسعود ميرزا** "، و "**خسرو شاه** "، بسبب

[٣٢١] يقصد "بديع الزمان ميرزا" ورجاله.

عصيان أحدهما وغرور الآخر. وأرسل "خُسرو شـــاه "، "وَلـــيِ" و "بـــاقى" و"بديع الزمان ميرزا "(٤٢ب) إلى "حِصار" ضد "السلطان مسعود مـــيرزا "، وتبارز الطرفان قريبا من القلعة وفيما حولها لكنهم فشلوا فى الاقتراب من القلعة. وذات مرة انفصل "محب على القورجى" عن الجماعة وجاء إلى "قوشخانه"[٣٢٢] فى الطرف الشمالي من حِصار، والتحم معهم، فسقط من فوق جواده، وأوشك أن يقع فى الأسر، وبصعوبة استطاع أن ينجّ بنفسه بمساعدة إخوانه. وبعد بضعة أيام عقد صلحا بينهما، ورجع كل فريق من حيث أتى.

ذهاب بديع الزمان إلى قندهـــار :

بعد بضعة أيام أخرى، ذهب "بديع الزمان مـيرزا "، عن طريق الجبل، إلى "قندهار "و"زامين داور "عند ذوالنون ارغون، وابنه شاه شجاع أرغون"[٣٢٣]. ولما كان ذو النون رجلا رؤوفا، فقد عامله معاملة طيبة، وأهداه أربعين ألف رأس من الغنم دفعة واحدة.

والأمر الغريب أنه فى يوم الأربعاء الذى انهزم فيه "بديع الزمـــان مـــيرزا "، أمام "السلطان حسين ميرزا "، انهزم أيضا محمد مؤمن ميرزا"[٣٢٤] فى اســترآباد

---

[٣٢٢] قوشخانه، بمعنى بيت الطير، وهو عبـــارة عن مكان مخصص للطيـــور كان فى العصـــور القـــديمـــة. قـــاموس تركي، ص١١٠١/٣.

[٣٢٣] عندما طرد بابر، شاه شجاع من كابل ومن غزنه، استولى شاه شجاع على المنطقة أسفل سيستان، ثم هزم جام فيروزى حاكم السند سنة ٩٢٧هـــ، وأسس دولة آرغون هناك، توفى سنة ٩٣٠هـــ=١٥٢٤م.انظر قاموس الأعلام، ج٤، ص ٢/٢٧٧٣٥.

[٣٢٤] محمد مؤمن ميرزا، هو ابن "بديع الزمان ميرزا".

أمام **مظفر مـيرزا**. والأغرب من هذا أن رجلا يدعى **"جهارشـــنبه"**[٣٢٥]، جاء **بمحمد ميرزا** أسيرا.

*****

[٣٢٥] جهارشنبه، كلمة فارسية بمعنى "يوم الأربعاء".

وقائع سنة ثلاث وتسعمائة[٣٢٦]

محاولة بابر دخول "سمرقند"[٣٢٧]:

سرنا خلف "باغ ميدان"[٣٢٨]، فنزلنا إلى مرعى "قلبه" وخرج فرسان "سمرقند" ونفر كثير من أهل المدينة إلى جسر محمد جب ليمنعونا. كان جندنا غير مستعدين للقتال (٤٣أ). وإلى أن أتموا استعداداتهم، كان أهل سمرقند قد قبضوا على "سلطان قولى" و "بابا قولى" وحملوهما إلى القلعة.

وبعد بضعة أيام تحركنا إلى مرعى "قلبه" وراء "كسهك" فوصلنا إليه. وفى ذلك اليوم،أخرجوا سيد يوسف بك من "سمرقند"، فجاء إلى معسكرنا ودخل فى خدمتنا. ظن (السلطان ورجاله) الذين فى سمرقند أننا بقيامنا من مرعى "قلبه" ووصولنا إلى هذا المكان، أننا انسحبنا، وبالتالى فقد اتجهت الفرق المعاونة والفرسان وأهل المدينة نحو جسر الميرزا، وجسر محمد جب من باب "شيخ زاده"[٣٢٩]. وعندئذ أصدرنا أوامرنا إلى الفتيان أن يحملوا أسلحتهم ويمتطوا جيادهم ويشددوا الهجوم على العدو من ناحية جسر الميرزا وجسر محمد جب. وبعون الله هزموا العدو، وقبضوا على أقوى أمرائه وخيرة فتيانه، وجاءوا بهم إلينا. وكان

---

[٣٢٦] هذا التاريخ يقابل عامى ١٤٩٧–١٤٩٨م.

[٣٢٧] كانت "سمرقند" فى ذلك التاريخ تحت يد "باى سنقر ميرزا" ابن السلطان محمود ميرزا.

[٣٢٨] باغ ميدان،بمعنى حديقة الميدان.

[٣٢٩] باب "شيخ زاده،بمعنى باب ابن الشيخ. وقد وردت فى الترجمة التركية باسم باب شهزاده أى باب ابن الأمير، انظر الترجمة التركية، ص٤٥.

من بينهم "**محمد مسكين حافظ دلداى**" وقد قطعوا إبهامه، وكثير غيره من الفتيان المعروفين أمثال "**محمد قاسم نابيره**" وأخيه الأصغر "**حسن نابيره**"، و**ديوانه جامه باف**[٣٣٠] وكل قلاشوق، وهؤلاء من أوباش المدينة، ومعهم (٤٣ب) عدد من الأعيان. فأمرنا بتعذيبهم وقتلهم قصاصا لمن ماتوا فى "**غار عاشقان**"[٣٣١]. وكانت الهزيمة ساحقة لأهل **سمرقند**؛ كفوا بعدها عن مغادرة القلعة خاصة وأن رجالنا كانوا كلما خرجوا إلى حافة الخندق، عادوا بالأسرى.

دخلت الشمس برج الميزان، وبدأ البرد. فاستدعيت أصحاب الرأى من الأمراء لمشاورتهم في الأمر. وبعد التشاور قررنا؛ إن أهل "**سمرقند**" صاروا عاجزين تماما (عن المقاومة)، ويمكننا بعون الله أن نأخذ (سمرقند) اليوم أو غدا. لكن المرابطين خارج القلعة يتعرضون للأذى بسبب برودة الهواء، لذلك فإنه من الأهمية أن نتحرك من عند سمرقند، ونقضى الشتاء بإحدى القلاع تفاديا للبرد. وإذا استدعى الأمر أن نغادر هذا المشتى، فسيكون الأمر كذلك بغير تردد. ورأينا أن قلعة "**خوجه ديدار**" تبدو مناسبة لهذا (الغرض). فتحركنا إلى المرعى الواقع أمامها، ثم دخلنا القلعة وحددنا أماكن المبيت والخيام، وتركنا هناك رجالا لنصب الخيام ومعهم المراقبون، ورجعنا إلى المرعى وأمضينا فيه بضعة أيام إلى أن تم إعداد المشاتى.

---

[٣٣٠] ديوانه جامه باف، اسم أحد زعماء العامة من أهل "سمرقند".

[٣٣١] انظر هذه الواقعة فى بابر نامه، ورقة ٤٠ب.

استعانة باى سنقر ميرزا بالشيبانيين :

فى تلك الأثناء أرسل "بايسنغر ميرزا " الرجال واحدا تلو الآخر، إلى "شيبانى خان " فى تركستان طلبا للمساعدة.

ولما صار المشتى جاهزا، آوينا إلى القلعة. (١٤٤أ) وجاء "شيبانى خان" من تركستان مهاجما، وهاجم معسكرنا فى تلك الليلة. ولم يكن جنودنا كلهم معنا. فقد ذهبوا بسبب الشتاء، فاتجه بعضهم إلى "رباط خوجه"[٣٣٢]، وبعضهم إلى قابود، والبعض الآخر إلى شيراز. ورغم هذا، فقد نظمنا صفوف من بقى معنا من الجند، وخرجنا إليهم، فانسحب "شيبانى خان " إلى "سمرقند" بدون قتال.

لجوء "باى سنقر ميرزا " إلى "خسرو شاه ":

لم تسر الأمور وفق ماقاله "بايسنغر ميرزا "، ولم يتفق مع "شيبانى خان مما حدا "بشيبانى خان " إلى الانسحاب بعد عدة أيام عائدا إلى تركستان يائسا بعد أن عجز عن إنجاز شيء .وظل "بايسنغر ميرزا " محاصرا (فى سمرقند) لمدة سبعة شهور إذ كان أمله الوحيد معقودا على "شيبانى خان "، وقد تبدد هذا الأمل، فذهب فى نهاية الأمر مع مائتين أو ثلاثمائة من رجاله الجائعين، ولجأ إلى "خسرو شاه " فى "قوندوز". وأثناء اجتيازه نهر جيحون من عند "ترمذ"، علم بأمره "سيد حسين أكبر" حاكم "ترمذ"، وهو من أصحاب المكانة ومن أقارب "السلطان مسعود ميرزا "، فخرج لقتاله، لكن الميرزا عبر النهر بينما غرق ميريم ترخان.

---

[٣٣٢] رباط خوجه، اسم حصن فى مركز مقاطعة شاودار فى غرب "سمرقند".

واستولى سيد حسين أكبر على ما تركه الميرزا وراءه من متاع ورجال، وقبض على غلام له يدعى "طاهر مصطفـــى" . ونجح "بايســـنغر مـــيرزا " فى الوصول إلى "خسرو شاه"، فأحسن استقباله (٤٤ب) .

دخول بابر "سمرقند " للمرة الأولـــــى :

علمنا بأمر خروج "بايسنغر ميرزا " من "سمرقند"، فتوجهنا إليها عبر طريق "خوجه ديدار" . وقد توافد أمراء سمرقند الكبار وفتيانها لاستقبالنا على الطريق. بلغت سمرقند وفى أواخر شهر ربيع الأول ونزلت فى "بستان سراى" . وبعون الله تعالى استولينا على مدينة سمرقند وولايتها وسخرناها لنا .

وصف ســمرقند :

"سمرقند " مدينة جميلة، قل أن توجد مدينة فى الدنيا بجمال سمرقند . وهى من الإقليم الخامس. طولها تسع وتسعون، ورمز نجومها ست وخمسون درجة ودقيقة، عرضها ثلاثون درجة ودقيقة. وسمرقند عاصمة ولاية اسم "مـــا وراء النهر". كما يسمونها أيضا إسم "البلاد المحفوظـــة " لعجز العدو مهما بلغت قوته وتفوقه، عن الاستيلاء عليها .

دخل الإسلام "سمرقند "فى عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان . كذلك جاء إليها قثم بن العباس وهو من الصحابة وقبره موجود خارج "باب آهنين"[٣٣٣] . ويعرف الآن باسم "مزار شاه " .

[٣٣٣] باب آهنين، بمعنى باب الحديد. احد ابواب "سمرقند"

وسمرقند أسسها الإسكندر. ويطلق عليها أقوام المغـول والـترك اسم "سميز كند "[٣٣٤]. وقد أقام تيمور بـك عرشـه هنا فى "سـمرقند ". ولم يسبقه سلطان عظيم مثله فى اتخاذ سمرقند عاصمة له[٣٣٥]. وقد أمرت بقياس طول القلعة من فوق السور، ووجدوا أن طولها يبلغ عشرة آلاف وستمائة خطوة.

وكل أهل "سـمرقند " سنيون. وهم أطهار المذهب، ملـتزمون بالشريعة، ومتدينون. وظهر فى ما وراء النهر منذ عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) عدد كبير من أئمة الإسلام، ولا نعرف أنه ظهر فى أى ولاية أخرى مثل هذا العدد من الأئمة (٤٥أ). فمن علماء الكلام الشيخ أبو منصـور وهو من حى "مـاتريد " أحد أحياء سمرقند. وأئمة علم الكلام فرقتان: "الماتريدية " و "الأشعرية ".

تأسست الماتريدية على يد الشيخ أبو منصور هذا. وخوجه اسـماعيل صاحب صحيح البخارى أيضا من ما وراء النهر. وصاحب كتاب الهداية، من ولاية اسمها "مرغينان " فى "فرغانـه ". ولا يوجد كتاب فى الفقه على مذهب الإمام أبو حنيفة، يفوق فى قيمته كتاب الهداية.

وفرغانـه من بلاد مـا وراء النـهر. وتقع على حافة المعمورة. وتقع فرغانه وكاشغر فى الشرق من "سمرقند "، و "بخـارا " وخوارزم فى الغرب منها، وتاشكند وشـاهرخيه التى يكتبونها فى الكتب "شـاس وبنـاكت " فى الشمال. "وبلخ وترمذ " فى الجنوب.

---

[٣٣٤] سميز كند،يعنى المدينة الغنية.

[٣٣٥] يقول منجم باشى إن تيمور لنك فى عام ٧٧١هـ"سار فى جيشه وعبر جيحون على جسر معمول بأمره، واتخذ سمرقند واتخذها دار الملك".انظر منجم باشى، جامع الدول، ورقة ٢٣١أ.

ويجرى ماء "كهك " شمال سمرقند د على مسافة فرسخين منها . وبين هذا الماء وسمرقند، تل يدعى "كهك "[٣٣٦] . ولما كان النهر يتدفق من سفح هذا التل، فقد أطلقوا عليه اسم ماء "كهك " . وينشق عن هذا الماء رافد كبير وعريض باتساع الوادي ويطلقون عليه اسم ماء "درغم " . ويجرى على مسافة شرعى واحد جنوب "سمرقند" . وحدائق وأحياء "سمرقند " وعدد من أقضيتها، كلها معمورة من هذا الماء . كما يوجد سهل طوله حوالى ثلاثين أو أربعين فرسخا ، يمتد إلى "بخارا" و "قره كول " وهذا السهل أيضا عامر ومزروع من ماء "كهك " . ورغم أنه نهر كبير جدا (٥٤ب)؛ إلا أن ماءه لا يكفى إلا للزراعة والعمران فقط . حتى أن "بخارا "تظل بلا ماء لمدة ثلاثة أو أربعة شهور من فصل الصيف .

وتشتهر "سمرقند " بعنبها وشمامها وتفاحها ورمانها وغيرها من الفواكه الممتازة . ولكن يشتهر منها نوعان فقط هما : "سيب سمرقند" (التفاح) و"صاحب سمرقند" (العنب) .

لا يسقط الثلج فى سمرقند بقدر سقوطه فى كابل . ومع هذا فإن شتائها بارد جدا . وهواء الصيف لطيف لكنه ليس كهواء كابل . وتكثر التكايا والحدائق التى أنشأها تيمور بك وأولغ بك فى سمرقند وأحيائها . وقد شيد تيمور بك فى قلعة سمرقند قصرا كبيرا يتكون من أربعة طوابق، يشتهر باسم "كوك سراى " . كما ابتنى داخل القلعة جامعا بالقرب من "باب آهنين" . وقد أعد أحجاره الحجارون

---

[٣٣٦] تل "كهك "، ويعنى الجبل الصغير، وهو حال يا "جوبان آتا" ويبلغ وفقا للإصطخرى نصف ميل ويمتد إلى أسوار شهرستان "سمرقند"، انظر، بارتولد، تركستان، ص١٧٣ .

الذين جلب أكثرهم من بلاد الهند . وكتبوا أعلى الجامع بحروف كبيرة آية "وإذ يرفع إبراهيم القواعد "[337] . ويمكن قراءتها من على مسافة فرسخ . وهو بناء ضخم جدا . كما أنشأ حديقتين في شرق سمرقند، إحداهما وهي الأبعد واسمها "باغ بولدى "والأخرى وهي الأقرب واسمها "باغ دلكشا"[338] . وشق طريقا من باغ دلكشا إلى "باب فيروزه "[339] وغرس على جانبيه أشجار الحور. كما شيد قصرا كبيرا في "دلكشا " وقد صوروا (على جدران) هذا القصر (146أ) حروب تيمور بك في بلاد الهند "[340]، كما أنشأ فوق تل "كهك " في الطرف العلوي من "قان جيل "و"قره سو "الذي يطلقون عليه اسم "ماء الرحمة "، حديقة اسمها "نقش جهان ". وكانت هذا الحديقة عندما رأيتها . قد صارت خرابا ليس بها ما يسترعي الانتباه.

وتقع حديقة "باغ جنار"[341] في جنوب "سمرقند " وفي مكان قريب من قلعتها، وحديقة "باغ شمال "[342] وحديقة "باغ بهشت"[343] في الطرف السفلي من سمرقند . كما ابتنى السلطان محمود ميرزا بن جهانكير ميرزا وحفيد تيمور بك مدرسة في قلعة سمرقند الخارجية وفيها قبور كل أولاد تيمور بك الذين تبوؤا

---

[337] الآية ١٢٧ سورة البقرة.

[338] باغ دلكشا، بمعنى الروضة المفرحة للقلب.

[339] باب فيروزه، بمعنى باب الفيروز.

[340] توجه تيمور لنك إلى الهند في شهر رجب من عام ٨٠٠هـ. انظر منجم باشي، جامع الدول، مرجع سبق ذكره ، ج٢، ورقة ٢٣٥أ.

[341] باغ جنار، بمعنى روضة الحور.

[342] باغ شمال، بمعنى روضة الشمال.

[343] باغ بهشت، بمعنى روضة الجنة.

السلطنة فى سمرقند .

وفى الطرف الداخلى لقلعة "سمرقند" تقع مدرسة وخانقــــاه[٣٤٤] وهما من منشآت أولغ بك ميرزا، وقبة هذه الخانقاه كبيرة أكثر من المعتاد . ويقولون إنه ليس فى الدنيا قبة فى مثل حجمها . وإلى جانب هذه المدرسة وهذه الخانقاه[٣٤٥]، شيد الميرزا حماما جيدا أرضيته مصنوعة من مختلف الأحجار أشتهر باسم حمام الميرزا، ولا نعرف فى "خراسان " و "سمرقند " حمام مثله .

(٤٦ب) كما شيد فى جنوب المدرسة مسجدا يطلقون عليه اسم "المسجد المقطع". وسبب تسميته بهذا الاسم أنهم نحتوا أشد الأشجار صلابة ثم حفروا عليها نقوش على الطرازين الإسلامى والصينيى . وعلى هذا النسق جملوا كل جدرانه وأسقفه . والفرق كبير بين قبلة هذا المسجد وقبلة مدرسة أولغ بــــك . ويبدو أنهم حددوا اتجاه قبلة هذا المسجد تبعا للنجوم .

ومن المبانى الكبيرة التى بنيت أيضا مرصد[٣٤٦] مكون من ثلاثة طوابق فى سطح تل "كهك "، بداخله آله كتابة الزيج[٣٤٧] . وقد دون أولــــغ بــــك بهذا المرصد

---

[٣٤٤] الخانقاه، هو رباط المتصوفة أو التكية، أى المكان الذى يقيمون فيه للعبادة والذكر تحت إمرة شيخهم، انظر، قاموس تركي، ص٥٧١/١ .

[٣٤٥] فى ذكر منشآت أولغ بك يقول منجم باشي :"أمر (أولغ بك) ببناء مدرسة عالية فى وسط ملكه سمرقند، وفى جنبها خانقاها كبيرا وغيرها من أبنية الخير فتمت فى عدة سنين وجاءت بحيث لم ير مثلها بل لم يسمع فاوقف عليها أوقافا جليلـــة وكان يحضر الدرس فى أغلب الأوقات ويناظر الطلبة "انظر منجم باشي، جامع الدول، ورقة ١٤٤ب.

[٣٤٦] يقول منجم باشي : "وكان الغ بيك لما أراد المرصد الجديد إلى بهما (يقصد مولانا علاء الدين علي القوشجي والمولى الأعظم غياث الدين جمشيد الكاشي صاحب الزيج الخاقاني كما أشار إليهما) من كاشان وأتـــى بكـــل حكيـــم ومنجـــم ومهندس جمعه من كل الديار والبلاد فبنى لهم بيت الرصد وصرف أموالا عظيمة عليه وعلى عمل آلاته ". انظـــر، منجـــم باشي،جامع الدول، ورقة ١٤٤ب. وأنظر أيضا، غياثالدين خواندمير، حبيب السير، ص ٢١.

[٣٤٧] الزيج، كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة ســـنة. انــظر، المعجم الوجيز ص ٣/٢٩٧ ، المعجم الوسيط ص ٤٠٩/١.

"**الزيج الجرجانى**" الذى يستخدم الآن أكثر من غيره من الزيجات. وكان المستخدم قبله "**الزيج الجرجانى**" الذى رتبه "**خوجه نصيرى طوسى**"[٣٤٨] فى "**مراغه**"[٣٤٩] فى زمن **هولاكو خان**. وأغلب الظن، أنهم رتبوا فى الدنيا أكثر من سبعة أو ثمانية مراصد مرتبة. أحدها يرجع إلى الخليفة المأمون وأطلقوا عليه اسم "**الزيج المأمونى**"[٣٥٠] نسبة إليه. كما رتب **بطليموس**[٣٥١] مرصدا، وأقاموا فى **الهند** مرصدا فى زمن "**راجه بكر ماجيت هندو**"، فى **أجين**"[٣٥٢] **ودهار** فى دولة **مالوه**"[٣٥٣] المعروفة اليوم باسم **مالدو**. وهذا الزيج يستخدمه الهنود اليوم فى بلادهم. وقد مضت ألف وخمسمائة وأربع وثمانون سنة منذ ترتيب هذا المرصد

---

[٣٤٨] **خوجه نصيرى طوسى**، هو نصير الدين الطوسي، محمد بن فخر الدين محمد الرازي. فيلسوف وعالم كبير في علم الهيئة. ولد في طوس سنة ٥٩٧هـ. كان رئيسا لوزراء هولاكو خان. له مؤلفات كثيرة في الهيئة والهندسة والإلهيات. إستطاع أن يقنع هولاكو بإنشاء مرصد فريد في عصره في مراغه سنة ١٢٥٩م، وكان به أدق الآلات، واشتهرت أرصاده بالدقة فاعتمد عليها علماء أوروبا في القرون الوسطى. وأسس مكتبة ضخمة ضمت أربعمائة ألف مجلد من الكتب النفيسة في مختلف الفنون والعلوم. وقد أسدى خدمة جليلة لعلم الهيئة بما وضعه من مؤلفات مثل الزيج الإلخانية وجداول الأزياج. ومن مؤلفاته المشهورة التجريد وهو في علم المنطق. وفي التصوف أوصاف الأشراف، وفي علم الكلام التخليص قواعد العقائد. هذا فضلا عن كتبه في الهندسة وعلوم الرياضة مثل المتوسطات بين الهندسة والهيئة، وجامع الحساب في التخت والتراب والكرة والاسطرلاب وغيرها من الكتب. انظر قاموس الأعلام، شمس الدين سامي ج٦، ص ٤٥٨٢.

[٣٤٩] **مراغه**، في آذربيجان، وتقع على مسافة ٨٠كم جنوب تبريز، في السفح الجنوبي لسهل كوهسك. انظر، قاموس الأعلام، ج٦، ص ١/٤٦٥٦..

[٣٥٠] **الزيج المأموني**، كان الخليفة المأمون مغرما بالفلك، وظهر في عهده يحيى بن أبي منصور المأموني الذى وضع جداول فلكية، وقام بمشاهدات فلكية فوق جبل قرب بغداد، وفوق جبل قيصوم قرب دمشق في سنة ٢١٥هـ - ٨٣٠م. انظر، خواد بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة وتعليق، علي حسني الخربوطلي، بدون تاريخ طبع، ص ١٦٤.

[٣٥١] **بطليموس**، واسمه كلود بطليموس، أحد العلماء المشهورين في الفلك والرياضيات، عاش في الأسكندرية في مطلع القرن الثاني الميلادي. وله مؤلفات كثيرة في علوم الهيئة والجغرافيا والرياضيات. ومن أكبر وأشهر مؤلفاته في علم الهيئة، أثره المعروف عند العرب باسم المجسطي. انظر، قاموس الأعلام، ج٢، ص ٢/١٣٢١.

[٣٥٢] **أجين** بضم الأول وفتح الثاني، مدينة في ولاية ملوى من بلاد الهند. وهي مدينة مقدسة عند أهل الهند. وبها مرصد جميل للهندين يمر به خط نصف النهار على رأى الجغرافيين منهم وكانت عاصمة لبلاد السند قبل سنة ١٢٢٥هـ. انظر، منجم العمران في المستدرك علي معجم البلدان، جمعه ورتبه السيد محمد أمين الخانجي، ط١، القاهرة ١٩٠٧، ج٩، ص ١٥١.

[٣٥٣] **مالوه**، وتكتب أيضا ملوه، إقليم كبير في وسط الهند. قاموس الأعلام، ج٦، ص ٢/٤١٢٤.

(٤٧أ). وهو ناقص مقارنة بالزيجات الأخرى. وقد شيد أولغ بك مبنى كبيرا وسط حديقة "باغ ميدان" في سفح الطرف الغربي لربوة "كـــوهك"، ويطلقون عليه اسم "جهل ستون"[٣٥٤] وهو عبارة عن مبنى من طابقين كل أعمدته من الحجارة، وفي أركانه الأربعة أقيمت أربعة بروج تشبه المآذن، ويصعدون من هذه البروج إلى الطابق العلوي. وتنتشر الأعمدة الحجرية في كل أرجائه وبعضها ذو التواءات، وبعضها له ميزاب[٣٥٥]. وفي جوانب الطابق العلوي، أربعة إيوانات أعمدتها من الحجر. وكل مقاعد البناء مبنية من الحجارة. كما أنشأ حديقة أخرى في سفح تل "كـــوهك" في المسافة بين هذا البناء و ربوة "كوهك". وشيد في نفس المكان قصرا كبيرا ووضع حجرا كبيرا بمثابة العرش، طوله تقريبا أربعة عشر أو خمسة عشر ذراعا، واتساعه حوالي سبعة أو ثمانية أذرع، وارتفاعه ذراعا واحدا. وقد جلبوا هذا الحجر الضخم من مكان بعيد جدا. وكان في وسطه شرخ قالوا إنه حدث بعد نقله إلى هنا. كما شيد قصرا آخر في هذه الحديقة (٤٧ب) كانوا يطلقون عليه اسم "القصـــــر الصيني"، لأن كل جدرانه من الصيني، فقد أرسل أولغ بك رجلا إلى الصين لجلبه من هناك. وداخل قلعة "ســـمرقند"، مبنى قديم يطلقون عليه اسم مسجد "اللقلقه"، لأن في وسطه موضع إذا وطأته القدم يصدر صوت "لق لق" وهذا أمر عجيب ولا أحد يعرف السر في هذا الصوت.

وقد أنشأ الأمراء في عهد السلطان احمد ميرزا، حدائق وبساتين

---

[٣٥٤] جهل ستون، بمعنى الأربعين عمودا.

[٣٥٥] الميزاب أو المزراب، عبارة عن أنبوبة من الحديد ونحوه تركب في جانب البيت ونحوه من أعلاه ليتصرف منها ماء المطر المتجمع، المعجم الوجيز، ص٢/٢٨٧.

كثيرة، منها حديقة "جار باغ" التى أنشأها "درويش محمـــد ترخـــان"، وهى حديقة قل نظيرها فى جمالها وهوائها وساحتها الواسعة. وإلى أسفل قليلا من حديقة باغ ميدان، وفوق ربوة مرتفعة، توجد حديقة أخرى تطل على مرج "قلبـــه" فيبدو المرج كله أسفل منها. وجعلوا الحديقة على طبقات مستوية تعلو بعضها البعض، وغرسوا فيها أشجار الدرداء الجميلة وأشجار السرو الأبيض والصفصاف. وهى مكان جميل حقا لايعيبه سوى عدم وجود ماء كثير به.

ومدينة "سمرقند" جميلة ومزينة بشكل رائع. وتمتاز بميزة يندر وجودها فى أى مدينة سواها. فكل تاجر من تجارها له حانوت خاص به، ولا يختلط التجار ببعضهم، ولهم تقاليدهم وأصول تعاملهم. وفيها صناع الخبز والطهاة الشجعان.

وتنتج سمرقند أجود أنواع الورق فى الدنيا، وكل لوازم ورق الجوز تأتى إليها من "كان كل"[356]، الواقعة على ضفاف ماء "قـــره ســـو"، (148أ) الذى يطلقون عليه اسم "ماء الرحمة". ويخرج أيضا من سمرقند المخمل الأسود الذى يشتهر باسمها، ويذهب إلى كل أنحاء الدنيا. وتحيط بها المراعى الجيدة. ومن مراعيها المشهورة مرعى "قره سو" فى الطرف الشرقى لمدينة سمرقند، على مسافة فرسخ واحد فى اتجاه الشمال. ويجرى ماء "قره سو" من وسط "كان كل" وبه ماء يكفى لتشغيل سبع أو ثمان طواحين. وأطراف النهر كلها مستنقعات. والاسم الأصلى لهذا المرعى هو "كان آبكير"، لكنه يكتب فى كتب التاريخ دائما "كان كل". وهو مرعى غاية فى الجمال. وقد أنشأ سلاطين سمرقند فى هذا المرعى أماكن لإقامتهم،

---

[356] كان كل، اسم مرعى فى الطرف الشرقى من "سمرقند".

يخرجون إليها مرة واحدة فى العام لمدة شهر أو شهرين.

وأعلى منه فى اتجاه الجنوب الشرقى، يوجد واد آخر اسمه "خان يوردو"[٣٥٧] ويقع فى شرق سمرقند على مسافة فرسخ منها، يجرى بداخله ماء "قره سو" ويذهب إلى "كان كل". وينحنى هذا الماء داخل "خان يورد" فيظهر مكان يكفى لنزول الجيش. ومكان الخروج منه ضيق جدا. وقد أقمت على حافة هذا الماء عدة مرات أثناء حصار سمرقند عندما تبينت أنه يصلح لهذا.

ومن المراعى أيضا (٨٤ب) مرعى "بودانا" الواقع بين "ثلكشا" وسمرقند. ويقع مرعى "كول مغاك"[٣٥٨] فى الشمال قليلا من سمرقند، على مسافة فرسخين ناحية الغرب. وهذا أيضا مرعى جميل. ويطلقون عليه هذا الاسم لأنه يقع على حافة بحيرة كبيرة. وأثناء محاصرتى لسمرقند، كان السلطان "على ميرزا" يقيم فيه، بينما أقيم أنا فى خان يوردو. هناك أيضا مرعى "قلبه" وهو أصغر من المراعى الأخرى. وفى شماله قرية "قلبه"، ونهر "كهك"، وفى جنوبه "باغ ميدان" وحديقة محمد ترخان، وفى شرقه تل "كهك"

بخارا[٣٥٩]:

---

[٣٥٧] خان يوردو، بمعنى موطن الخان.

[٣٥٨] كول مغاك، بمعنى حديقة البحيرة.

[٣٥٩] قال الإصطخرى فى وصف بخارا فى مطلع القرن الرابع الهجرى أى العاشر الميلادى: "لم أر ولم أبلغنى فى الإسلام بلدا أحسن خارجا من بخارى، لأنك إذا علوت قلعتها لم يقع بصرك من جميع النواحى إلا على خضرة، تتصل خضرتها بلون السماء، فكأن السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما بينها كالنوائر فيها، وأراضى ضياعهم مقومة بالاستواء كأنها المرآة، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدا أحسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى، ولا أكثر عددا على قدرها فى المساحة". الإصطخرى، ص١٦٤ ـ ١٦٥.

ولاية كبيرة تناظر "سمرقند". وتقع في الغرب منها، على مسافة خمسة وعشرين فرسخا.

وفي "بخارا" عدة مراكز تجارية. والمدينة رائعة الجمال. فاكهتها وفيرة وجميلة، وشمامها طيب جدا. ولا يوجد في ما وراء النهر شمام طيب ووفير مثل شمام "بخارا". وفي "الخسى" من ولاية فرغانه نوع من الشمام اسمه "شمام الأمير تيمور"، وهو ألذ وأطيب من أي شمام آخر. لكن شمام "بخارا" على اختلاف أنواعه وفير وجيد. كما أن برقوق "بخارا" أيضا مشهور، وليس مثل برقوق بخارا برقوق آخر يشبهه. وهم هنا ينزعون منه النواة، ويجففونه ويصبح بضاعة نادرة، ومنها يرسل إلى الولايات الأخرى (٤٩أ). وهو دواء ملين ممتاز. كما أن الطيور والدجاج والأوز وفير هنا.

كش[٣٦٠]:

ولاية في جنوب "سمرقند"، على مسافة تسعة فراسخ[٣٦١]. وبين "سمرقند" و "كش" جبل اسمه "إيتمك داپان"[٣٦٢] ويقولون إن كل الأحجار التي تستخدم في النحت يجلبونها من هذا الجبل. كما يطلقون عليها اسم "شهر سبز"[٣٦٣]

---

[٣٦٠] كش، وصفها الإدريسي في القرن السادس الهجري بأنها "مدينة جليلة كثيرة الأهل عامرة بالناس والتجار، وبناؤها بالطين والخشب، ولها فواكه كثيرة يحمل فاضلها إلى سمرقند وبخارا، ويرتفع من مدينة كش من الملح الذراني المعدني ما يحمل إلى سائر الآفاق ويقع بجبالها العراجين كثيرا. انظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٠٠.

[٣٦١] تسعة فراسخ، هذه المسافة تعادل حوالي خمسة وأربعين كيلومتر.

[٣٦٢] إيتمك داپان، بمعنى جبل الباء.

[٣٦٣] شهر سبز، بمعنى المدينة الخضراء.

لوقوعها وسط الخضرة الجميلة التى تكسو المدينة كلها والسهول فى الربيع. وقد سعى تيمور بك كثيرا ليقيم فيها عرشه لكونها مسقط رأسه، وشيد قنطرتين كبيرتين ليقيم فوقهما ديوانا له ويجلس على جانبيها من جهة اليمين والشمال أمراء النواحى وأمراء الديوان. كما ابتنى دوائر صغيرة حول هذا الديوان ليجلس ذوى الحاجات للسؤال عن حاجاتهم. ويقولون إنه يندر وجود ديوان بهذه الضخامة فى أى مكان آخر من العالم، بل إنه أكبر من ديوان كسرى. وشيد أيضا فى " كش" مدرسة ومقبرة. وبها قبر جهانكير ميرزا، وقبور بعض أبنائه (٤٩ب). ولأن "كش" مدينة غير مؤهلة للتطور مثل سمرقند، فقد اتخذ تيمور بك من سمرقند مقرا لعرشه.

ولاية قارشى[٣٦٤]:

ويقولون عنها أيضا "نسف" و "نخشب". وقارشى اسم مغولى يطلقونه على القبر فى اللغة المغولية. والغالب أن هذا الاسم أطلق عليها بعد استيلاء جنكيزخان عليها[٣٦٥]. وماؤها قليل، وربيعها لطيف. ومحصولها وشمامها طيب. وتقع قارشى على مسافة ثمانية عشر فرسخا من "سمرقند"، فى اتجاه الجنوب الغربى منها مع ميل قليل جهة الغرب. وفيها من الطيور فقط طير ذو ذيل من الشعر يشبه ديك الخلنج. وهو كثير جدا فى ولاية قارشى.

---

[٣٦٤] قارشى، وتكتب أيضا قرشى وقد وردت فى الأصل الجغتائى لهذا النص "قرشى" وقد آثرنا أن نكتبها "قارشى" تحسبا لاحتمال قراءتها قُرشى نسبة إلى قريش. وقارشى هى مسقط رأس علماء كثيرين منهم نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفى صاحب العقائد النسفية والمتوفى ٣٥٧هـ=٩٦٧م.، وأبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى من مشاهير الفقهاء وصاحب كتاب الوافى وشرحه والمتوفى ٧١٠هـ=١٣١٠م.، انظر، معجم البلدان، ج٨، ص٣٧٣.

[٣٦٥] عندما استولى جنكيز خان على بلاد ما وراء النهر وقد اجتاحها كلها بالحديد والنار، قصد قارشى واتخذها مركزا لقيادته فى الصيف. انظر فامبرى، تاريخ بخارى، ص ١٧٥.

ويطلقون عليه هناك اسم "ديك قارشي".

ومن الولايات ولايتي خزار و كرمينه[٣٦٦] وتقعان بين "سمرقند" و "بخارا".

ولاية قره كول :

وهي أوفر ماء مقارنة بسائر الولايات الأخرى. تقع في شمال غرب "بخارا"، على مسافة سبعة فراسخ منها. وبها أقضية جميلة مثل، قضاء سغد وأقضية أخرى قريبة منه. وهي منطقة مشهورة. ولا يخلو فرسخ واحد بين "قره كول" و "بخارا" من قرى أو أماكن معمورة. وقد قال تيمور بك :"عندي حديقة يبلغ طولها ثلاثون فرسخا"، ويعني بقوله هذا، هذه الأقضية الجميلة.

قضاء[٣٦٧] شاودار :

وهو قضاء لطيف جدا يتصل بالمدينة وبأحيائها. وفي طرف منه يقع الجبل الذي يفصل بين "سمرقند" و "شهر سبز". (١٥٠أ) وأكثر قراه تقع في سفح هذا الجبل. كما يجري في طرف منه أيضا نهر "كوهك". وهو قضاء رائع الجمال لطيف الهواء. فمنطقته ذات صفاء، ماؤها وفير، وغلاتها كثيرة. ويقول السائحون الذين زاروا مصر والشام، إنهم لم يشاهدوا مكانا يشبه شاودار. وهناك أقضية أخرى

---

[٣٦٦] كرمينه، كانت تسمى كرمينية وتقع على مسافة خمس وعشرين كيلو متر من دبوسية وهي كرمينه الحالية ويعد نرشخي المسافة من بخارا إلى كرمينية على أنها أربعة عشر فرسخا أي حوالي سبعين كيلو متر بينما يجعلها السمعاني وياقوت ثمانية عشر فرسخا أي حوالي تسعين كيلومتر، انظر، بارتولد، تركستان، ص١٩٠

[٣٦٧] القضاء، تقسيم إداري وجمعه أقضية ويعتبر أصغر التقسيمات الإدارية، قاموس تركي، ص١٠٧٣/٣.

غيره لكنها ليست مثله، لذا نكتفي بهذا القدر.

أعطى تيمور بك إدارة "سمرقند" إلى جهانكير ميرزا. وبعد موت جهانكير، أعطاها لابنه الأكبر السلطان محمد جهانكير. كما أعطى شاهرخ ميرزا ولاية ما وراء النهر كلها لابنه الأكبر ألغ بك ميرزا. فانتزعها منه ابنه عبد اللطيف ميرزا. ومن أجل هذه الدنيا الفانية، وأيامها الخمسة، استشهد والده الشيخ الورع. وقد ضبط تاريخ موت ألغ بك ميرزا على النحو التالي:

"أولغ بك"، بحر العلم والعقل، مسند الدنيا والدين، ذاق الشهادة بيد عباس، وأرخ له بجملة "قتل عباس"[368].

ولم تستمر سلطنة (عبد اللطيف) أكثر من خمسة شهور.

وذلك البيت المشهور يقول:

"إن قاتل والده غير جدير بالسلطنة. وإن صار سلطانا،

فإن سلطنته لا يمكن أن تدوم لأكثر من ستة شهور"[369].

وقد ضبط تاريخ موته على النحو التالي:

كان عبد اللطيف، سلطانا ذا جاه مثل جمشيد (٥٠ب) وكان فريدون وزردشت ضمن عبيده. فقتله بابا حسين بسهم في ليلة الجمعة، وأرخ له بأن "قتله بابا حسين"[370]

---

[368] البيت بالفارسية. وقد قتل أولغ بك ميرزا، بيد من يدعى سيد عباس، انتقاما لقتل والده، وبتحريض من ابنه عبد اللطيف ميرزا. وقد قتل سيد عباس هذا بعد ذلك بأمر عبد اللطيف ميرزا. انظر بابر نامه ورقة ٥٠أ وما بعدها.

[369] البيت مكتوب بالفارسية وهو لنظامي الكنجوي.

[370] البيت مكتوب بالفارسيه.

انتقل عرش "سمرقند" بعد عبد اللطيف ميرزا"[٣٧١] إلى عبد الله ميرزا، حفيد شاهرخ ميرزا، وابن السلطان إبراهيم ميرزا، وصهر ألغ بك. وظل في مقام السلطنة لمدة عام ونصف أو عامين. ثم آلت السلطنة من بعده إلى السلطان " أبوسعيد ميرزا". وتنازل عنها في حياته إلى ابنه الأكبر السطان احمد ميرزا. وبعد موت السلطان " أبوسعيد ميرزا "، تبوأ السلطنة من بعد ابنه السطان احمد ميرزا، وأعقبه على عرش سمرقند بعد وفاته، السلطان محمود ميرزا، ثم "بايسنغر ميرزا ". وقدقبض على "بايسنغر ميرزا " أثناء تمرد الترخانيين"[٣٧٢]، وألقى في الحبس، وأجلسوا مكانه أخاه الأصغر السلطان "على ميرزا " لمدة يوم أو يومين.

وكما ذكرنا في هذا التاريخ، أن "بايسنغر ميرزا " استرد العرش مرة أخرى. وقد انتزعناه نحن من "بايسنغر ميرزا ". أما بقية الأحداث الأخرى التى جرت، فسوف يرد ذكرها فيما بعد.

إعتلاء بابر عرش سمرقند :

بعد اعتلائى عرش "سمرقند "، أوليت أمراءها جل اهتمامى ورعايتى كسابق عهدهم. كما أظهرت مظاهر الإحسان والرعاية، لأمرائى الذين بجانبى، لكل حسب كفائته ومكانته. (٤٥أ) أما فيما يتعلق بالسلطان أحمد تنبل، فقد أوليته من

---

[٣٧١] يقول منجم باشي في وصف عبد اللطيف ميرزا ، إنه كان مهورا سفاكا فاتكا لم يوقر الكبير ولم يرحم الصغير ولم يترك قلبا إلا كسره من الصغير والكبير فنفر منه القلوب تنفرا كليا"انظر، منجم باشي ، جامع الدول، ج٢، ورقة١٢٥١].

[٣٧٢] عن هذه الواقعة، انظر، بابر نامه، ورقة ٣٦ب–٣٧أ].

رعايتي ما يليق به، ويزيد عمن سواه. فقد كان من الأمراء الخواص، وارتقى إلى مصاف الأمراء الكبار. وقد حاصرنا سمرقند شهور سبعة، وملكناها بشق الأنفس. فلما جاء تنبل، تبين أن الجند قد استولوا على بعض الأشياء كغنائم[٣٧٣].

بعد "سمرقند"، انضوت بقية الولايات الأخرى تحت لوائي باختيار أهلها ورغبتهم، وصارت تحت إدارتي أو إدارة السلطان "على ميرزا". ولا يمكن نهب هذه الولاية وهي تابعة لنا. والولايات التي تعرضت لهذا القدر من الاعتداءات لا يجني منها ثمر، كما نفد ما غنمه الجند. وكانت سمرقند عندما أخذناها، مخربة تماما، وتحتاج لوقت طويل حتى تؤتي ثمارها، وتعود إلى حالها. فكيف والأمر كذلك، يستطيع المرء أن يظفرمنها بشيء. لهذا كله عاش الجند في ضيق وشظف وأنا بدوري عاجز عن تقديم شيء لهم، فضلا عن شعورهم بالحنين إلى أهلهم. فأخذوا يفرون واحدا تلو الآخر. وكان أول الفارين قولي بيان قولي، ثم أعقبه إبراهيم بكجيك. كما هرب كل المغول. ثم هرب أيضا السلطان أحمد تنبل. ولكي نضع حدا لهذا الاضطراب، أرسلنا مولانا القاضي[٣٧٤]. وكان مولانا القاضي يثق تماما في إخلاص أوزون حسن (٥١ب) واتفق معه أن ينزل العقاب ببعض هؤلاء الهاربين، ويرسل لنا البعض الآخر. ولم يكن المتسبب في هذا الاضطراب، والمحرض لهؤلاء الهاربين على هذه المساوئ، سوى أوزون حسن هذا الجاحد. وقد

---

[٣٧٣] هذه العبارة جاءت في الإنجليزية "فلما دخلنا استولى الجند على بعض الأشياء كغنائم" دون ذكر لاسم تنبل، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٨٧. وجاءت في الفارسية "در آن آمدن بدست مردم لشكر او جه جيزى نيافتاده بود" ومعناها: وفي المجيء هذه المرة، لم يجد الجند شيئا، انظر الترجمة الفارسية ص٣٤.

[٣٧٤] أرسله إلى اوزون حسن في أندجان كما سيتضح من سياق العبارة بعد ذلك.

اتضحت كل مساوئه بذهاب السلطان أحمد تنبل إلى هناك.

خلاف بابر مع أوزون حسن وأحمد تنبل :

كما نسير الجيوش بغير توقف، ولسنوات طوال بهدف الاستيلاء على "سمرقند". ورغم أننا لم نلمس خلالها، أي مساعدة تذكر من السلطان محمود خان، فإنه بعد أن فتحنا سمرقند، رغب [٣٧٥] أن يأخذ منا "اندجان". في هذه الأثناء هرب القسم الأعظم من الجيش وكل المغول وذهبوا إلى "اندجان" و"اخسى، فأراد أوزون حسن و (السلطان أحمد تنبل)، أن تؤول هاتان الولايتان [٣٧٦] إلى جهانكير ميرزا. وكان من العسير أن يتحقق هذا لسببين ؛ أولهما رغبة الخان في هذه الولايات على الرغم من عدم وجود وعد له بهذا. فإذا أعطينا هذه الولايات الآن إلى جانكير ميرزا، مع رغبة الخان فيها، فإنها ستؤدي إلى فساد العلاقة تماما معه [٣٧٧]. والسبب الآخر، أنهما طمعا في الحصول على هاتين الولايتين تحكما وإملاء لإرادتيهما، بعدما التحق بهما رجالنا الهاربون، ولو أن طلبهم هذا كان في وقت سابق، (١٥٢أ) لأمكن تحقيقه، ولما اعتبرناه تحكما. أما الآن فقد فر جند المغول و"اندجان" وبعض الأمراء والخواص من عندي وذهبوا إلى "اندجان" ولم يبق معي في سمرقند سوى ما يقرب من ألف رجل بين جيد وردئ. فلما عجز أوزون حسن وأحمد تنبل، عن تحقيق ما يرميان إليه، ضما إليهما الهاربين والخائفين

---

[٣٧٥] أي السلطان محمود خان.

[٣٧٦] يقصد "اندجان" و"اخسي".

[٣٧٧] جاء معنى هذه العبارة مختلفا في الترجمة الإنجليزية، فجاء "إنه في حالة إعطائهما إلى جهانكيرميرزا، يجب عقد اتفاق مع الخان" انظر الترجمة الإنجليزية ص٨٧.

من الناس بعد أن أثارا مخاوف المتشككين منهم مما ينتظرهم فى المستقبل، حتى أصبحوا يسألون الله حدوث أمر كهذا. ثم ساقا الجند من "اخسى" إلى "اندجان"، وصارت مساويهما وعداوتهما (لنا) علانية.

كان تولون خوجه[٣٧٨]، من شجعاء بـارين وأعيانها، وكان جسورا. وقد أولاه والدى الشيخ عمر ميرزا رعايته. و ترقى عندى وجعلته أميرا. والواقع أن شجاعته وجرأته تؤهلانه لذلك. ولما أخذ جند المغول يفرون من "سمرقند"، أرسلنا إليهم تولون خوجه، وهو رجلنا الذى نحترمه ونثق فيه من بين المغـول، ليسدى لهم النصح ويزيل الخوف من قلوبهم، حتى لا يكون خوفهم سببا لأن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة (٢٥ب) لكن هؤلاء الجند والخونة المثيرين للفتنة، بلغوا تلك الدرجة التى لا يجدى معها نصح أوتهديد. وكان تولون خوجه موجودا فى المكان الذى يطلقون عليه اسم رباطك ــ أورجلـى[٣٧٩] الواقع بين مائين. فأرسل أوزون حسن والسلطان أحمد تنبـل عددا من المهاجمين ضده، فانقضوا عليه، وأمسكوا به، وقتلوه هناك.

ضياع "اندجان" من بـابر :

جاء أوزون حسن وتنبل، وجهانكير ميرزا، وحاصروا "اندجـان". وكنا لدى تحركنا[٣٨٠] قد تركنا على دوست طغايى فى "اندجان"، وأوزون حسن فى

---

[٣٧٨] تولون خوجه، أحد أمراء المغول اللذين عملوا فى خدمة بابر توفى عام ١٤٩٨.

[٣٧٩] رباطك ــ أورجلى، فى فرغانه ويقع فى الشرق من اندجان.

[٣٨٠] يقصد تحركنا إلى سمرقند

"اخسى" ولحق به فيما بعد مولانا القاضى. وكان فى "اندجــان" عدد كبير من الجند القادمين من "سمرقند". وأثناء تولى مولانا القاضى أمر تلك القلعة وزع ثمانية عشر ألفا من الغنم على فتية القلعة والفتية المهاجرين الذين معنا. وذلك لعلاقته الطيبة بى، واحتراما لى. وأثناء الحصار كانت الرسائل تتوالى علينا باستمرار من أمهاتنا اللاتى فى القلعة ومن مولانا القاضى، بما يفيد : "إنهم يحاصروننا، فإن لم تسرعوا لنجدتنا، سيزداد الوضع سوء. لقد أخذتم ســمرقند بقوة "اندجــان "(١٥٣أ) فإن صارت "اندجان " فى قبضتكم، يمكنكم استرداد سمرقند بمشيئة الله".

فى تلك الأثناء، مرضت ثم تحسنت حالتى، لكنى لم أحتط جيدا فى فترة النقاهة، فانتكست واشتدت وطأة المرض هذه المرة، وتفاقم الأمر وأمسك لسانى عن الكلام لمدة أربعة أيام. وكانوا يقطرون الماء فى فمى بقطعة قطن. وقطع الأمراء والفتية الذين ظلوا معى، الأمل فى تحسن حالتى، وانشغل كل واحد منهم بما يدور فى خلده. وفى ذلك الوقت أساء الأمراء التصرف مع مبعوث أوزون حسن الذى جاء مهددا بفاسد القول، وقبل أن يأذنوا له بالانصراف سمحوا له أن يرانى وأنا بحالتى هذه. وبعد أربعة أو خمسة أيام، بدأت حالتى فى التحسن وإن ظل لسانى ثقيلا لبضعة أيام أخرى، رجعت بعدها إلى حالتى الطبيعية. وعندما كانت تصلنى رسائل بهذا المعنى من أمهاتى، أى أمى وجدتى إيسن دولت بيكم، و من الخوجه مولانا قاضى شيخى الحكيم، يلحون فيها كل هذا الإلحاح، (فى حضورى إلى اندجان)، كيف يمكن للمرء أن يتجاهل الأمر.

أن اعتليت السلطنة فى سمرقند هذه المرة لمدة مائة يوم (٥٣ب). وبلغت "خجند" فى يوم السبت (التالى). وفى ذلك اليوم جاء أحدهم من "اندجان" وأبلغنا أن على دوست طغايى قد سلم قلعة "اندجان" إلى المناوئين لنا قبل سبعة أيام، أى فى يوم السبت الذى غادرنا فيه سمرقند. وتفاصيل ذلك على النحو التالى :

"عندما رقدت مريضا فى "سمرقند"، وسمح أمرائى لرسول أوزون حسن بأن يرانى فى مرضى ثم سمحوا له بالعودة، ذهب بعدها إلى المناوئين لنا الذين يحاصرون قلعة "اندجان" وأبلغهم " أن لسان السلطان قدأمسك، وأنهم يقطرون له الماء فى فمه"، وكرر نفس الكلام أمام على دوست وأقسم له على ذلك. وكان على دوست فى تلك الأثناء فى "باب الخاقان"، وفت هذا الخبر فى عضده. فاستدعى المناوئين لنا وسلم لهم القلعة بميثاق وشرط. ولم يكن استسلام القلعة لنقص فى المؤونة والرجال، إنما بسبب جبن المنافقين والخونة والسفلة، الذين اتخذوا من مقولة ذلك الرجل ذريعة للاستسلام. ولما بلغهم خبر وصولى إلى "خجند"، بعد ضياع اندجان، علقوا مولانا القاضى على باب القصر وقتلوه بشكل مزر.

سيرة مولانا القاضى:

اسم مولانا الخوجه (٥٤أ) القاضى، هو عبد الله. وقد اشتهر بهذا الاسم. ويمتد نسبه من ناحية والده إلى الشيخ برهان الدين قليج، ومن جهة أمه إلى السلطان "ايليك ماضى". ومن أبناء هذه العائلة خرج الأئمة وشيوخ الإسلام والقضاة فى ولاية فرغانه. وكان مولانا القاضى مريدا لمولانا الشيخ عبيد الله.

فقد تربى على يديه. ولا يساورني شك في كرامات **الخوجه** إذ سرعان ما هلك كل من أرادوه بسوء، وانمحى أثرهم. وماذا أدل من هذا على أنه صاحب كرامات.

كان **مولانا القاضي** رجلا عجيبا، جسورا. لم أر أبدا رجلا بشجاعته. وهذه الشجاعة دليل آخر على كراماته. فأي رجل مهما بلغت درجة شجاعته، يمتلىء أمامه خوفا ورهبة بينما **الخوجه** لا يعتريه أي خوف أو رهبة. وبعد مقتله، استولوا على كل رجاله ومزارعيه ونهبوا متاعهم.

ضاعت "**سمرقند**" من بين أيدينا في خضم انشغالنا بـ "**اندجان**". ثم ضاعت "**اندجان**" أيضا. وانطبق علينا المثل القائل، "أن الغافل مطرود من هنا، ومحروم من هناك". وكان هذا ثقيل الوطأة على نفسي، فلم يسبق لي منذ أن تبوأت السلطنة، أن خلوت من رجالي وولاياتي (٤٥ب) كما أخلو الآن، ولم أعان منذ أن وعيت، قدر ما أعانيه الآن من مشقة وعدم استقرار. فلما بلغنا "**خجند**"، لم يتحمل بعض المنافقين رؤية "**خليفة**" حاجبا على بابي. وبذل **محمود حسين ميرزا** وآخرون، جهودا كبيرة حتى سمحنا **لخليفة** بالذهاب إلى **تاشكند**.

استعانة بابر بالخان لاسترداد "اندجان":

أرسلت "**قاسم بك**" إلى **الخان**[٣٨١] في **تاشكند**، يسأله العون في السير إلى "**اندجان**". فجاء **الخان** بجنده من وادي "**آهنكران**"[٣٨٢]، واتجه إلى أسفل ونزل

---

[٣٨١] يقصد خاله السلطان محمود خان.

[٣٨٢] آهنكران، ل فرغانه.

بجوار ممر "كندرليك "[٣٨٣]، وجئت بدوري من "خجند " والتقيت به هناك، وتجاوزنا الممر معا، ثم نزلنا إلى طرف "اخسى ". وفى المقابل جمع أعداؤنا الخارجون علينا كل ما لديهم من قوة، وجاءوا إلى "اخسى ". وقد أعرب من بداخل "حصن باب "عن مساندتهم لنا بأن أغلقوا الحصن (فى وجه أعدائنا) . لكن الخارجون علينا استطاعوا أن يستولوا على "حصن باب " بالقوة بسبب بعض التصرفات الثقيلة بعض الشيء من جانب الخان .

وواقع الأمر أن الخان كان طيب السلوك والخلق، لكنه لا يفقه شيئًا فى الفروسية وقيادة الجيش. وفى موقف كهذا كان معنى السير إلى منزل آخر على الأكثر، يعنى أن الولاية ستؤول إلينا بغير قتال. لكن الخان أصغى إلى كلمات أعدائنا الخادعة، حينما (١٥٥أ) أوفدوا إلينا "بك تيلبه " الأخ الأكبر لتنبل وكان فى الوقت نفسه حاجبا للخان، وبصحبته خوجه أبو المكارم، مقترحين عقد الصلح. واختلقوا الأسباب لإنقاذ أنفسهم، كما عرضوا النقود والرشوة على الخان ومن حوله، ودفعوهم إلى قبولها .

تخلى الخان عن مساندة بابر لاسترداد " اندجان ":

رجع الخان [٣٨٤]، بينما الأمراء والخواص وغالبية من هاجر معى من الفتية مازالوا فى "اندجان ". كما تخلى عنى سبعمائة أو ثمانمائة من الأمراء والفتية ، بعدما قطعوا الأمل فى استرداد "اندجان ". ومن هؤلاء الأمراء على درويش بك ، وعلى

---

[٣٨٣] كندرليك، فى فرغانه.

[٣٨٤] يقصد رجع إلى تاشكند.

مزيد قوجين ، ومحمد باقر بك ، والشيخ عبد الله أشيك أغا ، وميريم لاغرى. بينما تراوح عدد من ظلوا بجانبى ممن اختاروا طريق المعاناة والغربة، بين مائتين وثلاثمائة رجل بخيرهم وشرهم. أما الأمراء الذين تمسكوا بالبقاء بجانبى فهم ، قاسم قوجين، وويس لاغرى بك، وابراهيم سارو، ومينغليغ بك، وشميريم طغايى، وسيدى قره بك، ومن الخواص، ميرشاه قوجين، وسيد قاسم أشيك أغا جلاير،وقاسم عجب، ومحمد دوست، وعلى دوست طغايى، ومحمد على مبشر، وخداى بردى توغجى المغولى، ويارك طغايى ، وسلطان قولى بابا قولى، وبيرويس، وشيخ ويس،(٥٥ب) ويارعلى بلال، وقاسم ميراخور، وحيدر ركابدار. ومن شدة وطأة هذا الوضع على نفسى، بكيت رغما عنى.

رجعت إلى "خجند"، ولحقت بى أمى وجدتى وبعض رجالى. وأمضينا هناك شهر رمضان من هذا العام.

طلب المساعدة من السلطان محمود خان مرة ثانية لاسترداد سمرقند :

أرسلنا إلى السلطان محمود خان فى طلب المساعدة، بينما تحركنا نحن إلى "سمرقند". وأرسل الخان ابنه السلطان "محمد سلطان"، ومعه أحمد بك، على رأس أربعة أو خمسة آلاف من الجند إلى سمرقند، بينما تحرك هو إلى "اوراتيبه". وتقابلت مع الخان هناك، ثم سلكت طريق "يار ييلاق"[٣٨٥] قاصدا سمرقند، وكان السلطان محمد سلطان وأحمد بك قد وصلا قبلنا إلى "يار

[٣٨٥] يار ييلاق، طريق جنوب غرب فرغانه.

يبلاق" عبر طريق آخر. بينما اجتزت مرعى "**بوركه**" حتى بلغت "**سنكزار**" مركز تلك المنطقة. فلما علم السلطان محمد سلطان وأحمد بك بأمر هجوم "**شـيباني خان**" على شيراز وماحولها، رجعا برجالهما من حيث أتوا. فرجعت بدوري مجبرا إلى "**خجند**".

مادام الهدف هو السلطنة وطلب الملك، فحري بالمرء ألا يتخلى عنه إذا أخفق في إدراكه مرة أو مرتين، ولا ينبغي له الوقوف أمامه موقف المتفرج.

طلب المساعدة من السلطان محمود خان للمـرة الثالثـة :

ذهبت إلى **تاشكند** (٥٦أ) لطلب المساعدة من الخان وفي تصوري أنه سيتحرك معي إلى "**اندجان**". وقد مضت ثمان سنوات على رؤية **شـاه بيكم**[٣٨٦] وأقاربها، فكان ذهابي إلى هناك فرصة لرؤيتهم. وبعد عدة أيام أمدنا بقوة معاونة عبارة عن **سيد محمد ميرزا دوغلت، وأيوب بكجيك، وجـان حسـن بـارين** وحوالي سبعمائة أو ثمانمائة من الجند. وأسرعنا بهذه القوة المساعدة بغير توقف فتجاوزنا "**خجند**" وكانت "**كنيت بـادم**" عن شمالنا، حتى بلغنا قلعة "**نسـوخ**" الواقعة على مسافة عشرة فراسخ من **خجند** وثلاثة فراسخ من "**كنيت بـادم**". وفي المساء وضعنا السلالم (على جدران القلعة) وشرعنا في الهجوم. وكان الموسم موسم الشمام. وينمو في "**نسوخ**" نوع من الشمام اسمه شمام "اسماعيل شيخي". قشرته صفراء، وقليل البذر. وهو نوع ممتاز. وبذره يشبه بذر التفاح. وله قشرة

---

[٣٨٦] شاه بيكم، هذه هي أم السلطان محمود خان خال بابر،وهي ابنة شاه سلطان محمد ملك بدخشان. وهي غير ايسن دولت بيجم جدة بابر، وأم قتلق نكار خانم.

سميكة بمقدار أربعة أصابع. وطعمه لذيذ جدا. ولا يوجد شمام مثله فى تلك الأنحاء. وفى صباح اليوم التالى أثار أمراء **المغول** مسألة قلة عدد رجالنا، بما لا يكفى لتحقيق الاستيلاء على القلعة. وكان الأمر كذلك بالفعل. وأدركنا أنه لاسبيل لنا إلى ذلك بسبب منعة القلعة. فرجعنا من هناك وتوجهنا إلى "**خجند**" مرة أخرى.

فى هذه السنة ساق "**خسرو شاه**" و "**بايسنغر ميرزا**"، الجند إلى "**جغانيان**"، واستولوا عليها بالحيلة. ثم أرسلا رسولا إلى "**السلطان مسعود ميرزا**" باقتراح مضمونه (٥٦ب)، أن يتحرك معهم إلى "**سمرقند**"، فإذا تمكنوا من أخذها، فليقم فيها أحد الأميرين، ويقيم الآخر فى "**حصار**". ورأى "**السلطان مسعود ميرزا**" حالة من التذمر بين أمرائه وخواصه وفتيانه، وذلك لأن "**الشيخ عبد الله برلاس**"، عندما انفصل عن "**بايسنغر ميرزا**"، وجاء إلى "**السلطان مسعود ميرزا**"، أولاه **الميرزا** عناية فائقة باعتباره صهره، وجعل له علوفة[٣٨٧] مقدارها ألف تومان[٣٨٨] رغم ضآلة (موارد) ولاية حصار، كما أعطاه ولاية "**ختلان**"، وبها الكثير من أمراء وخواص وأراضى **السلطان مسعود**، فوضع الشيخ يده على هذا كله. كما انتقلت إليه وإلى أبنائه كل أعمال الحجابة[٣٨٩]. لهذا هرب منه أولئك الأمراء

---

[٣٨٧] العلوفة، هي الرواتب التي تدفع للجند. شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص٩٤٨/٣.

[٣٨٨] ألف تومان، التومان عبارة عن ألف وحدة، كل وحدة تتكون من عشرة آلاف عملة نحاسية، أى عشرة ملايين عملة نحاسية من عملات ذلك الوقت، انظر الترجمة الإنجليزية ص٩٣. وذكر شمس الدين سامي أن التومان رقم يعني عشرة آلاف. وتعني في إيران عشرة آلاف أقجه أي عملتين الذهب تعادل خمسين قرشا. قاموس تركي، ص ٤٥٤/١.

[٣٨٩] الحجابة، من الوظائف الهامة في الدولة التيمورية وغيرها من الدول الإسلامية في ذلك الوقت تشبه أعمال التشريفات والمراسم وشاغلها يتمتع بنفوذ وسلطات واسعة في المسائل الإدارية. أنظر الترجمة التركية، ص٢٠٦.

المتذمرون، وذهبوا إلى "**بايسنغر ميرزا** ". وبالخديعة، غافلا[٣٩٠] "**السلطان مسعود ميرزا** "، وتحركا من "**جغانيان**"، ونجحا فى فتح قلعة "**حصار**"فى الصباح الباكر. وكان "**السلطان مسعود ميرزا** " مقيما فى قصر دولت سراى الذى شيده والده فى الأحياء الواقعة خارج القلعة ، فلم يتمكن من دخول القلعة وانسحب هاربا ناحية **ختلان** مع "**الشيخ عبد الله برلاس** ". وفى منتصف الطريق ترك "**الشيخ عبد الله برلاس** "، واجتاز ممر "أوباج "، وذهب إلى "**السلطان حسين ميرزا** " (**بايقرا**) (٥٧أ).

محاصرة "خسرو شاه " "بلخ " :

بعد أن استولى "خسرو شاه " على ولاية **حصار**، أعطاها إلى "**بايسنغر ميرزا** "، كما أعطى "**ختلان** " إلى أخيه الأصغر "**ولى** " . وبعد بضعة أيام تحرك بنفسه لمحاصرة بلخ. وقبيل تحركه، أرسل أحد رجاله الكبار ويدعى "**تنزار بهادر**"ورفقته حوالى ثلاثة أو أربعة آلاف جندى، إلى جوار **بلخ**. وبعد ثلاثة أو أربعة أيام، ضم إليه "**بايسنغر ميرزا** "، وحاصر **بلخ** وكان بها **إبراهيم حسين ميرزا**، وعدد محدود من أمراء "**السلطان حسين ميرزا** ". لذا أرسل أخاه الأصغر "**ولى**" بجند غفير لمحاصرة "شابوركان"ونهب ما حولها . ولما عجز "**ولى** " عن محاصرتها من قرب، أرسل قواته لمهاجمة الأهالى فى صحراء "**زردك** ". فهاجموهم، واستولوا منهم على مائة ألف رأس من الغنم أو يزيد، وحوالى ثلاثة آلاف

---

[٣٩٠] يقصد "خسرو شاه" و"باى سنقر ميرزا".

من الإبل. كما استولى (خسرو شاه) على بعض المناطق المنيعة من الجبل، وهاجم ولاية "سان وجاريك "[٣٩١] ونهبها، ثم أدرك أخاه الأكبر فى بلخ.

أثناء محاصرة "خسرو شاه" لبلخ، أرسل "تزار بهادر" المار ذكره، لقطع طرق الماء الواصلة إليها. فتصدى له "تنبل بردى صلمانج بك"، وكان مرموق المنزلة لدى "السلطان حسين ميرزا"، (٥٧ب) وبرفقته سبعين أو ثمانين من الفتيان، وقطع رأس "تزار" هذا، ثم رجع إلى القلعة. فيالها من شجاعة، فقد أنجز أمرا عظيما.

فى السنة نفسها، ساق "السلطان حسين ميرزا" الجند لدفع شاه شجاع إبن ذو النون أرغون[٣٩٢] الذى التحق بخدمة "بديع الزمان ميرزا"، وزوجه ابنته، وسعى بالفتنة والفساد. ونزل السلطان حسين بجنده إلى "بست "[٣٩٣] لكنه عجز عن تدبير ما يلزم جنده من مؤن من أى مكان. وبينما جنده يعانون من وطأة الجوع، إذ بوالى "بست" يسلم لهم القلعة، واستطاع السلطان أن يرجع إلى "خراسان" بما وجده فى "بست" من مؤنة.

إن إرسال سلطان كبير مثل "السلطان حسين ميرزا"، الجند عدة مرات إلى "قوندوز"، وحصار، وقندهار، وقد توفرت لديه مثل هذه الاستعدادات، ومظاهر القوة، ثم رجوعه وقد عجز عن فتحها، كان ذلك سببا فى تجرؤ أبنائه وأمرائه وسعيهم لإثارة العداوة والفتن.

---

[٣٩١] سان، من قرى بلخ، ويقال لها سان وجهار يك. معجم البلدان، ج٥، ص٢٠.

[٣٩٢] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "لدفع ذو النون وابنه شاه شجاع"، ص ٥٩، وأيضا فى الترجمة الفارسية ص٣٨.

[٣٩٣] بست، تقع أسفل "زامين داور".

وفى الصيف أرسل "**السلطان حسين ميرزا**"، بعض الأمراء وجمع غفير من الجند تحت إمرة **محمد ولى**، لدفع ابنه **محمد حسين ميرزا**، الذى شارك فى فتن أدت إلى عدم استقرار الأوضاع فى "**استرآباد**"، بينما ظل هو بالقرب من "**تشين**". وفجأة خرج "**بديع الزمان ميرزا**" **وشاه بك بن ذو النون**، (٥٨أ) بالجند لمهاجمة **الميرزا**[٣٩٤].

لجوء مسعود ميرزا إلى السلطان حسين ميرزا :

لما عجز "**السلطان مسعود ميرزا**" عن الدفاع عن "**حصار**"، واضطر لتسليمها، ذهب إلى "**السلطان حسين ميرزا**". ومن قبيل الصدفة الطيبة أنه أدركه فى ذلك اليوم. كما لحق به[٣٩٥] أيضا فى اليوم نفسه، الجند الذين أرسلهم من قبل إلى "**استرآباد**"، وانضموا إليه، وعندما صاروا وجها لوجه، عجز "**بديع الزمان ميرزا**"، **وشاه بك** عن القتال، ولاذا بالفرار. وقد أحسن "**السلطان حسين ميرزا**"، استقبال "**السلطان مسعود ميرزا**"، وصاهره[٣٩٦]، وأولاه مودة ورعاية.

قبل هذا بفترة، كان "**باقى جغانيانى**"، الأخ الأصغر **لخسروشاه**، قد لحق بـ "**السلطان حسين ميرزا**" وعمل فى خدمته، لكنه لم يقم فى "**خراسان**" بسبب فتنة (**باقى جغانيانى**)، واختلق الأسباب لمغادرتها بغير إذن "**السلطان حسين**

---

[٣٩٤] يقصد مهاجمة "السلطان حسين ميرزا".

[٣٩٥] يقصد بـ"السلطان حسين ميرزا".

[٣٩٦] صاهره، أى زوجه ابنته.

ميرزا "، ولجأ إلى "خُسرو شاه "، الذى استدعى بدوره "بايسُنْغُر ميرزا "من "حِصار".

غدر خُسرو شاه بمسعود ميرزا :

فى هذه الأثناء دب الخلاف بين ميرانشاه ميرزا وأبيه أولُغ بك ميرزا[٣٩٧]. ولجأ إلى "هزاره "[٣٩٨]، ولم يستطع البقاء بها طويلا بسبب تجاوزاته، فذهب بدوره إلى "خُسرو شاه ". وفكر بعض قصار النظر، فى قتل الأمراء (التيموريين) الثلاثة[٣٩٩]، وقراءة الخطبة باسم "خُسرو شاه ". لكن "خُسرو شاه " وجد أن هذا أمر غير مقبول. ومن أجل هذه الدنيا الفانية، أمسك هذا الرجل الوضيع الخائن، بـ"السلطان مسعود ميرزا "(٥٨ب)، الذى رباه حتى كبر واتخذه وصيا، فسمل عينيه جحودا منه ونكرانا. فقام بعض إخوة "السلطان مسعود ميرزا " من الرضاع وأصدقائه ورجاله ذوى المكانة بجمله، وذهبوا به إلى "كش " قاصدين التوجه إلى "سمرقند " لدى (أخيه) السلطان "علي ميرزا ". فلما بدت لهم سوء نوايا أولئك الموجودين فى كش، هربوا من هناك، واجتازوا ممر "جهارجو "[٤٠٠]، ولحقوا بـ "السلطان حسين ميرزا ". ألف لعنة تحل إلى يوم القيامة على كل من يسلك مثل هذا السلوك القبيح، ويقترف مثل فعلته. ولعنة الله على من علم بما فعله "خسرو شاه "، ومن علم به ولم يلعنه.

---

[٣٩٧] أولغ بك ميرزا، هو إبن السلطان أبو سعيد ميرزا، وهو غير أولغ بك ميرزا إبن شاهرخ ميرزا إبن تيمور لنك.

[٣٩٨] هزاره، جبال واقعة بجوار غزنة.

[٣٩٩] يقصد "باى سنقر ميرزا" ومسعود ميرزا، و ابن عمهم ميرانشاه ميرزا ابن أولغ بك.

[٤٠٠] جهارجو، ممر عند آمو.

وبعد هذا السلوك الدنيء الذى أتى به "خسرو شاه "، بوأ "بايسنغر ميرزا" السلطنة، وأذن له بالتوجه إلى "حصار". كما أرسل ميرانشـــاه إلى "بلميـــان"[٤٠١] وعين سيد كامل مساعدا له.

*****

[٤٠١] بلميان، بلده وكوره فى الجبال بين بلخ وهراة وغزنة بها قلعة حصينة. معجم البلدان، ج٢، ص٤٨..

وقائع سنة أربع وتسعمائة[402]

لم نستطع أن نحقق من حملاتنا المتعددة على "سمرقند " و "اندجـــان نتيجة تذكر. ورجعنا مرة أخرى إلى "خجند ". وخجند مكان محدود، يعاني فيه صاحب المائة أو المائتي جندي شظف العيش، (٥٩أ) لكن صاحب القضية لا يكترث بهذا.

تخطيط بابر لاسترداد ســـمرقند :

في ذلك الوقت كان "محمـــد حســين كوركـــان دوغلـــت "موجودا في "اوراتيبـــــه"، فأرسـلنا إليـه الرجـال بغيـة التعـاون معنـا فـي الهجـوم على "ســمرقند ". واتفقنا على هذا. وطلبنا من محمـــد حســين أن يترك لنا مؤقتا قرية "بشاغر " إحدى قرى "يـــارييلاق " لنمضي فيها هذا الشتاء حتى نتمكن من الهجوم (قدر الاستطاعة) على ولاية سمرقند. (وقرية بشـــاغر هذه) واحدة من القرى الخاصة بحضرة الخوجه (يحيـــى)، وقد آلت إليه[403] أثناء هذه المنازعات . وقد وافق محمد حسين على هذا.

فشل بابر في دخول قلعة " ربـــاط خوجـــه ":

تحركت من "خجند " إلى " بشاغر ". و قبيل "زاميـــن "مرضت بالملاريا. ورغم هذا تحركت من "زامين "، وهجمت بسرعة على "ربـــاط خواجـــة " من

---

[402] هذا التاريخ يقابل عامي ١٤٩٨-١٤٩٩م.

[403] يقصد إلى محمد حسين كوركان.

طريق الجبل، وكنت أنوي مباغتتهم وتسلق أسوار قلعة "رباط خواجة" مركز قضاء "شـاودار"، والاستيلاء عليها. وقد بلغناها في الصباح، وكان أهلها قد علموا (بأمرنا)، فتراجعنا وتوجهنا إلى " بشاغر " دون التوقف في أي مكان. ولما كنت مريضا بالملاريا، فقد قطعت من الطريق مسافة ثلاثة عشر أو أربعة عشر فرسخا، بشق الأنفس.

بعد عدة أيام، كلفنا ابراهيم سارو، وويس لاغرى، وشـيريم طغـايى، وعددا من الأمراء الخواص والفتيان، بالهجوم على قلاع "يـار ييـلاق " والاستيلاء عليها طوعا أوكرها. وكانت "يار ييلاق "(٥٩ب) في يد سيد يوسف بـك منذ غادرت "سمرقند "، وكان يحظى برعاية السلطان "على مـيرزا". وقد أرسل سيد يوسف بك، أخاه الأصغر وابنه[٤٠٤]، للسيطرة على قلاع "يـاربيلاق ". وكان أحمد يوسف الذى أسندنا إليه إدارة "سيال كوت "[٤٠٥] (مؤخرا) موجودا في تلك القلاع آنذاك.

ذهب أمراؤنا وفتياننا وانشغلوا بهذا الأمر طوال الشتاء، فاستولوا على بعض القلاع بالصلح، وعلى بعضها بالحرب، وعلى بعضها الآخر بالحيلة والدهاء. ولا توجد قرية في تلك الولايات، لم تكن حصنا للمغول والأوزبك. أثناء ذلك ثارت الشبهات بسببنا حول سيد يوسـف بـك وأخيه الأصغر وابنه[٤٠٦]، فأذن[٤٠٧] لهم

---

[٤٠٤] جاءت في الترجمة الإنجليزية: "أرسل ابن أخيه الأصغر، انظر، الترجمة الانجليزية ص ٩٨.

[٤٠٥] يعني أسندت إليه إدارة سيال كوت الآن أي بعد فتح الهند. مما يفيد أن كتابة هذا الكتاب كان بعد عام ٩٣٣ هـ = ١٥٢٧م.

[٤٠٦] جاءت هذه العبارة مختلفة في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "وفي الوقت نفسه ثارت شكوك السلطان "على ميرزا" حول سيد على يوسف وابن أخيه بسببي فأبعدهما إلى "خراسان"، ص٩٨.

بالذهاب إلى "خراسان ".

إنقضى هذا الشتاء ونحن في قلق ونزاع. ومع حلول الصيف، جاء (السلطان "على ميرزا " ورجاله) إلى جوار شيراز وكابود بتشجيع من الجند[408]، و أرسل إلينا خواجة يحـــى لنتصالح. كان معنا من الفرسان مايتراوح بين مائتى وثلاثمائة فارس، وهناك اعداء أقوياء يحيطون بنا من كل جانب، ولم يحالفنى التوفيق فـى الحملات التى قمت بها على "اندجـــان "، كما لم نظفر بنتيجة من استيلائنا على "ســــمرقند". ولهذا كله اضطررنا إلى عقد ما يشبه المصالحة ورجعنا إلى بشاغر[409]. (٦٠أ)

الذهاب إلى اوراتيبـــه :

"خجند "، مكان صغير[410]، يعانى فيه أى حاكم ضيق العيش. وسبق وأن أمضينا فيه عاما ونصف عام مع رجالنا وعائلاتنا، لم يقصر خلالها المسلمون هناك، فى دفع الخراج وتقديم خدماتهم لنا. فبأى وجه نذهب إلى هناك مرة أخرى ؟ وإذا ذهبنا، فماذا بمقدورنا أن نفعل ؟.

لا سكن متاح نذهب إليه، ولا حظ دائم باق

وفى النهاية، ذهبنا ونحن مترددون إلى المصائف فى جنوب "اوراتيبــــه". وأمضينا هناك عدة أيام ونحن عاجزون عن التفكير وعن التحرك ولا نعرف وجهة

---

[407] يقصد السلطان "على ميرزا".

[408] يقصد جند "سمرقند".

[409] بشاغر، جاءت فى الترجمة الفارسية "بساغرج". انظر، الترجمة الفارسية ص٣٩.

[410] المقصود أنها مكان صغير المورد أى فقير وقد جاءت فى الترجمة الإنجليزية "إنه مكان فقير"، ص ٩٨.

نذهب إليها، أو مستقر لنا. وذات يوم جاء الخواجة أبو المكارم لمقابلتي، وكان مثلنا حائرا، مطرودا من وطنه[411]. وسألني عن وجهتنا، وماذا نحن فاعلون. وقد تأسف لحالنا، فقرأ لنا الفاتحة[412] ثم انصرف. وكان لهذا أبلغ الأثر في نفسي[413].

دعوة بابر إلى مرغينان :

في عصر ذلك اليوم، ظهر أمامنا في الطرف السفلي من الوادي، رجل على صهوة جواد. كان الرجل واسمه "يولجوق" مبعوثا إلينا من عند "طنبل دوست طغايي". وقد أرسله برسالة فحواها[414]: "لقد بدرت مني آثام عظيمة، لكن أملي أن تعفوا عنا وتتجاوزوا عن سيئاتنا، وتأتوا إلينا (٦٠ب)، فأسلم لكم "مرغينان" وأكون عبدا وخادما لكم، فأكفر بهذا عن ذنبي وأمحو عاري".

تلقينا هذه الرسالة ونحن في هذا الوضع الحائر، فتحركنا على الفور بعد غروب شمس اليوم نفسه، بدون تردد أو تراخ، قاصدين "مرغينان". والطريق من مكاننا هذا[415] إلى مرغينان يبلغ حوالي أربع وعشرين أو خمس وعشرين فرسخا لكننا واصلنا السير بغير توقف حتى صلاة الظهر من اليوم التالي. ونزلنا بإحدى قرى "خجند" وتسمى "تنك آب"[416]. فأرحنا الجياد، وقدمنا لها العلف، ثم استأنفنا

---

[411] من "سمرقند".

[412] بمعنى دعا لنا. وقد جاءت في الترجمة التركية بهذا المعنى، ص٦٣.

[413] أضافت الترجمة الإنجليزية كلمة "وأشفقت عليه"، انظر، الترجمة الإنجليزية ص٩٩.

[414] جاءت في الترجمة الإنجليزية "أرسله برسالة مكتوبة"، انظر الترجمة الإنجليزية ص ٩٩.

[415] المصالف التي في جنوب أوراتبه.

[416] تنك آب، بمعنى الماء الضيق.

السير في منتصف الليل مع دق الطبل. وواصلنا المسير من الليل حتى الصباح وطوال اليوم حتى غروب شمس اليوم التالي والليلة التالية. وقبيل الصباح، ونحن على مسافة فرسخ واحد فقط من "مرغينان"، تردد "ويس بك" وآخرون معه، وقالوا : "إن على دوست رجل سوء. فكيف نأتي إلى "مرغنـــان"، قبل أن نتبادل الرسل ونتفاوض معه مرة أو مرتين. ونأخذ عليه عهدا وموثقا". وواقع الأمر أن ترددهم هذا كان في موضعه لكن (٦١أ) كان يجب التفكير فيه قبل مجيئنا إلى هنا. فقد واصلنا المسير ثلاثة أيام بلياليها، بغير توقف أو راحة، وقطعنا أربع أو خمس وعشرين فرسخا، كما أننا جميعا وكذلك الجياد، استنفدنا كل طاقتنا، فكيف لنا أن نرجع من هنا !، وإذا رجعنا، فإلى أين نذهب؟ !. أما وقد بلغنا هذا المدى، فليس أمامنا سوى بلوغ هدفنا، ولن يكون إلا ما قدره الله لنا". وعلى هذا اتخذنا قرارنا، واستأنفنا سيرنا متوكلين على الله.

وصلنا إلى باب قلعة "مرغينـــــان" وقت صلاة الضحى. وكان "على دوست طغايى" يقف خلف بابها. فطلب الأمان أولا قبل أن يفتح الباب. وبعد أن قطعنا له عهدا وميثاقا، فتح لنا الباب ووقف بين دفتيه. وتقابلنا، ثم نزلنا في مكان مناسب داخل القلعة. كان عدد رجالى كبيرهم وصغيرهم، مائتين وأربعين رجلا.

كان أوزون حسن والسلطان أحمد تنبل، قد اقترفا مظالم كثيرة بأهل الولاية، وأساءوا معاملتهم، لذا كان كل أهل المدينة يترقبون مجيئ.

إخضاع القبائل فى الجبال جنـــوب " أنديجـــان ":

بعد يومين أو ثلاثة أيام من دخولنا "مَرغينان "، أرسلنا "قاسم بـــك " ومعه مايزيد عن مائتى رجل من رجال على دوست بـــك البشـــاغريين"[٤١٧] وكانوا حديثى العهد بالعمل فى خدمتنـا، إلى جنـوب "آنديجــــان "، ليخضعوا قبائل "أشباريان"[٤١٨]، وتوروق شاران"[٤١٩]، وجكراك ". وهى من قبائل الجبل الواقع فى الطرف الجنوبى من "آنديجـــان ". (فيُخضعوهم لنا) طوعا أو كرها. كما أرسلنا ابراهيم سارو، وويس لاغرى، وسيد قـره ومعهم قوة تصل إلى مائة رجل، إلى "اَخسِى"، ليعبروا نهر "خُجَنْد "، ويخضعوا أهل الجبل والقلاع التى فى تلك الناحية بأى طريقة (٦١ب).

الدفاع عن قلعة مَرغيـنـــان :

بعد بضعة أيام، أخذ أوزون حسن و السلطان أحمد تنبل، جهانكير ميرزا والمُغول وما لديهم من الفرسان، ورجال "آندِجان" و "اَخسِى" القادرين على القتال، ونزلوا قرية "سبان "[٤٢٠] فى الطرف الشرقى من مَرغينان على مسافة فرسخ واحد منها، بغية محاصرة مَرغينـــان. وبعد حوالى يومـين، نظمـوا صفوفهم وجـاءوا إلى ضواحى مَرغينان. ولم يكن معى سوى عدد قليل جدا من الجُند لأننى كنت قد

---

[٤١٧] البشـــاغريين، نسبة إلى بشاغر وهي إحدى قرى يار يلاق بجوار "سمَرقَنْد".

[٤١٨] أشباريان، جاءت فى الترجمة الفارسية "اسباريان"، ص٤٠.

[٤١٩] توروق شاران، جاءت الترجمة فى الفارسية "ساران"، ص٤٠.

[٤٢٠] سبان، جاءت الترجمة فى الفارسية "سبان". ص٤٠.

وجهت تلكما القوتين إلى ناحيتين[٤٢١] تحت إمرة "**قاسم بك** " و **ابراهيم سارو**"، **وويْس لاغرى**. ورغم هذا، فإن فتيانى الشجعان، نظموا صفوفهم، وخرجوا للتصدى للعدو ولم يسمحوا له بتجاوز تلك الضواحى. وقد أحسن "**خليل جهره**" التصرف في ذلك اليوم، وبذل جهودا كبيرة. فجاء الأعداء (ثم رجعوا) دون أن يظفروا بشىء قط، أو يقتربوا من القلعة.

نجاح رجال بابُر فى مهمتهم :

(٦٢أ) توجه "**قاسم بك** " إلى الجبال جنوب "**أنديجان**"، وأخضع لسيادتنا الكاملة كل الأهالى المقيمين فى الجبال والوديان فى تلك المناطق، و (قبائل) **اشباريان، وطوروق شاران، وجكرك**. وهرب الفرسان (من تلك المناطق) ولاذوا بنا، واحدا تلو الآخر.

أما الذين كانوا تحت إمرة **ابراهيم سارو، وويْس لاغرى**، فقد ذهبوا إلى "**آخسى**" وعبروا إلى الشاطىء الآخر من النهر، ونجحوا في أخذ قلعة "**باب** "، فضلا عن قلعة أو قلعتين أخريين. وقد عانى أهل الولاية[٤٢٢] الكثير من ظلم **أوزون حسن وتنبل**، فقد كانا ظالمين فاسقين كافرين. وحرض **حسن ديكجه** - الذى كان من أعيان "**آخسى**" ورجاله، بعض أوباش تلك المنطقة على التمرد، كما حرضوا من فى قلعة المدينة الخارجية على إغلاق القلعة. واستدعوا القوات الموجودة تحت إمرة **ابراهيم سارو، وويْس لاغرى، وسيد قره**، وأدخلوهم قلعة "**آخسى**" الخارجية.

---

[٤٢١] يقصد بالناحيتين : جنوب "انديجان" والأخرى "آخسى".

[٤٢٢] يقصد "انديجان".

وجاء السلطان محمود خان و بنده علي، وحيدر كوكلداش، ومعه أيضا حاجي غازي الذي هرب في تلك الأثناء من عند "شيباني خان" ولجأ إلى الخان محمود ومعه أمراء قضاء بارين، وقد جعلناهم معاونين لنا. وجاء (ابراهيم ساروو ومن معه) أيضا في تلك الأثناء تماما.

لما علم أوزون حسن بهذا، تكدّر، وأرسل أتباعه الذين قام بتربيتهم (٦٢ب) وخيرة فتيانه، إلى قلعة "أخسي" للمساعدة. وصلت (هذه القوة) إلى حافة النهر في وقت السحر. فلما علم جنودنا وجنود المغول بوصولهم، عبر عدد منهم ماء النهر بجياد غير مسرجة، فاضطرب القادمون للمساعدة، ولم يسحبوا بالسفينة إلى أعلى (النهر)، إنما سارعوا بتركها في مكانها. فاتجهت السفن إلى أسفل بدون أن تعبر إلى ناحية القلعة. وبدأ جند المغول الذين معنا في خوض الماء من كل صوب، بجيادهم العارية غير المسرجة. ولم يتمكنوا من مقاتلة أولئك الذين في السفينة. وجذب "قارلوغاج بخشي"[٤٢٣]، ابن أحد الأمراء المغول من يده، وقتله بالسيف. وهكذا انفلت زمام الموقف، وتسبب بحركته هذه في موت أغلب من كانوا على ظهر السفينة. فقد أمسكوا[٤٢٤] بكل من سقطوا في الماء وذبحوهم. وكان قارلوغاج بخشي، وخليل ديوانجه، وقاضي غلام، من رجال أوزون حسن المرموقين ولم ينجُ من بينهم سوى قاضي غلام حيث ادّعى أنه من رجالنا. كما نجا أيضا سيد علي وهو من الفرسان المرموقين، الذين يحظون اليوم

---

[٤٢٣] قارلوغاج بخشي، أحد رجال أوزون حسن المعتبرين.

[٤٢٤] يقصد جنده ومن معهم من المغول.

بالمكانة عندي، وكذلك "حيدر قولى " و"قوليكه الكاشـــغرى". ولم ينجُ من بين سبعين أو ثمانين رجلا، سوى خمسة أو ستة من الفتيان الشجعان (٦٣أ).

إسترداد "أنديجـــان ":

لما سمع العدو بما حدث، لم يطق البقاء بجوار مَرغينان، ورحل عنها مهزوما قاصدا "أندجان ". وكان العدو قد ترك في "أندجان " من قبل، ناصر بـــك زوج أخت أوزون حسن، وهو رجل مجرب شجاع، يأتي بالتأكيد في الدرجة الثالثة بين رجال (أوزون حسن)، إن لم يكن في الدرجة الثانية. فلما علم ناصر بـــك هذا بما جرى، أغلق قلعة "أنديجـــان "، وأرسل إلينا رسولا، فقد أدرك أن العدو فَقَدَ أرضه. فلما وصل أوزون حسن إلى "أنديجـــــان "، وعرف أن القلعة قد أُغلقت دونه، عجز عن التفاوض مع زوج أخته وتنازع معه، ثم انسحب إلى ناحية "آخسيـــى" حيث تقيم أسرته. أما السلطان أحمدتنبـل، فقد ذهب إلى ولايته في "أوش ". وتم تهريب جهانكير مـــيرزا وعدد من خواصه وفتيانه من عند أوزون حســـن، ولحقوا بتنبل قبل أن يبلغ أوش.

لما علمنا بإغلاق "أنديجان " في وجه العدو، تحركنا من مَرغينان في الحال مع شروق الشمس، وبلغنا (أنديجان) بعد الظهر. وهناك قابلتُ نـــاصر بـــك وأبناءه دوست بك، وميرم بـــك، واطمأننتُ عن أحوالهم، وأظهرتُ لهم العناية والرحمة. وكنتُ قد فقدتُ (أنديجـــان) . التي هي ولاية أبي - لمدة سنتين، (٦٣ب) وهاأنذا

بعون الله أستردها في شهر ذي القعدة من سنة تسعمائة وأربع"[425].

انسحب السلطان أحمد تنْبَل وبرفقته جِهانكير ميرزا إلى أُوش، فلما دخلها، تمرد عليه أهلها، وأخرجوه منها، وحافظوا على القلعة لحين مجيئنا. وأرسلوا إلينا رسولا. فذهب جِهانْكير ميرزا وتنبل وعدد من المؤيدين لهما إلى أوزكَنْد، ودخلوها وهم في حالة اضطراب.

دخول قلعة آخسي :

لما عجز أوزون حسن دخول "أنديجان"، اتجه إلى "آخسي". فلما علمنا باتجاهه إلى هناك، لم نستطع (الصبر على) البقاء في "أنديجان" أكثر من أربعة أو خمسة أيام؛ ثم تحركنا إلى "آخسي" لأن أوزون حسن هو رأس كل هذه الفتن. فلما وصل (أوزون حسن) إليها، وضاقت أمامه السُبُل، طلب الأمان وعقد الميثاق وسلم القلعة.

أقمتُ في " آخسي " عدة أيام. قمنا أثناءها بتنظيم أعمال " آخسي " و "كاشان"، ثم أعطينا الإذنَ لأمراء المغول، وكانوا قد جاءوا من قبل لنجدتنا، وأخذنا أوزون حسن وأهله ورجاله ورجعنا بهم إلى "أنديجان". وتركنا قاسم عجب في "آخسي "بصفة مؤقتة، وكان فيما مضى من درجة الخواص من رجالي، ثم ارتقى حتى وصل إلى رتبة الإمارة.

سمحنا لأوزون حسن بالتوجه إلى "حصار" عبر طريق "قره تكين" من

---

[425] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٩٨م.

غير أن يتعرض أحد له أو لأمواله بسوء أو أذى، ذلك لأننا قد عقدنا معه عهدا على ذلك، (٦٤أ) فتوجه إلى "حصـــار" ببعض رجاله. ولم يلحق به بقية رجاله لأنهم فضلوا البقاء معنا .

ضياع " انديجان " للمرة الثانيـــة :

كان لهؤلاء الرجال[٤٢٦] قصة معنا : أثناء فترة الاضطرابات، قبض هؤلاء الرجال على رجالنا وعلى مولانا القاضى ورجاله، وأعملوا فيهم السلب والنهب . فتشاورت بشأنهم مع بعض الأمراء ثم قررنا بشأنهم القرار التالى : " إن هؤلاء الرجال سبق وأن نهبواالكثير من المؤمنين والمسلمين من أتباعنا، كما تسببوا فى الكثير من الفساد والهزيمة. (وكيف بهم وقد) كانوا أوفياءلأمرائهم، يظهرون لنا الإخلاص (الآن) ! ! . فماذا يحدث إن نحن أمرنا بالقبض عليهم وأخذنا أموالهم. ومن ذا الذى يتحمل بقائهم ورؤيتهم أمام أعيننا وهم يركبون جيادنا ويلبسون لباسنا ويأكلون خبزنا . وإذا نحن رحمناهم ولم نقبض عليهم ولم نأخذ أموالهم، وإذا سمحنا (لرجالنا) الذين شاركونا الفتوح وأوقات المحن، أن يستردوا منهم أموالهم، فلابد (لأولئك الرجال) أن يشكروا (الله) لأنهم استطاعوا أن ينجوا بأنفسهم" . والواقع أن هذا الرأى بدا لنا معقولا، فأمرنا بأخذ متعلقاتهم.

والحقيقة أن هذا القرار كان معقولا وسليما لكنه صدَر على عَجَلٍ. فلم يكن هناك معنى قطُ لأن نتصرف مع هؤلاء الرجال بهذه الطريقة التى أفزعتهم (٦٤ب)،

---

[٤٢٦] يقصد رجال اوزون حسن الذين انضموا إليه.

بينما عدو مثل "جهانكير ميرزا" على مقربة منا .قد تبدو بعض القرارات (المتعلقة) بأخذ البلدان وحكمها تبدو فى ظاهرها سليمة وحكيمة، إلا أن منا لحكمة والضرورة التفكير فى هذه القرارات مائة ألف مرة قبل اتخاذها . فقد أسفر هذا القرار الذى اتخذناه بدون إمعان فكر، عن فوضى وفتن كثيرة. وأدركنا أخيرا أن هذا القرار الذى اتخذناه بدون إعمال فكر ، تسبب فى خروجنا من "أنديجان" للمرة الثانية. ونتيجة لهذا اتسع المجال لإشاعة الفوضى والخوف بين أولئك الذين فضلوا البقاء معنا وهم المغول ، فارتحلوا من "رباط أورجينى" الذى يطلقون عليه اسم "مابين الصالين"، إلى أطراف "أوزكند "، وأرسلوا رسولا إلى تنبل (ليلحقوا به) .

كان لدى أبى ألف وخمسمائة أو ألفين من المغول. وجاء "حمزة سلطان" و"مهدى سلطان " ومحمد دوغلت من حصار ومعهم مثل هذا العدد من المغول. وسرعان ما ظهرت الفتن والهزائم وكانت مصدرها دائما جنس المغول. وقد ناصبنى هؤلاء العداء خمس مرات حتى الآن. ولم يكن عداؤهم لنا بسبب عجزهم عن التفاهم معى. وإنما كان هذا ديدنهم فقد تصرفوا بنفس هذه الطريقة أيضا مع خاناتهم عدة مرات.

إتصال المغول بأحمد تنبل :

جاءنا السلطان "قلى جناق " بهذا الخبر[٤٢٧]، وكان أبوه "خداى بردى

---

[٤٢٧] يقصد خبر اتصال المغول بأحمد تنبل.

بوقاق ". الذى توفى مؤخرا من المغول الذين أوليهم رعايتى. (٦٥أ) وكان "قلى جناق" هذا موجودا عند المغول. (فلما علم بالأمر) انفصل عن أهله وعشيرته وجاء يحيطنا بالأمر خبرا. والحقيقة أنه بذلك أحسن التصرف، لكنه ارتكب فيما بعد من المساوئ، ما لا يجد معه مائة ألف صنيع طيب كهذا. وسيذكر هذا الأمر فيما بعد.

عندما علمت بهذا الخبر، جمعت الأمراء وتشاورنا. وكان رأى الأمراء أن (اتصال المغول بأحمد تنبل) عديم القيمة، وأنه أمر لا يستأهل خروج السلطان بنفسه على رأس الجيش. ويكفى خروج كل الأمراء تحت قيادة "قاسم بك ". وتم اتخاذ القرار بهذا. لقد ظنوا أن الأمر هين. لكن يبدو أن هذا التفكير كان خطأ.

هزيمة رجال بابر أمام أحمد تنبل :

فى ذلك اليوم أخذ "قاسم بك " الأمراء والجند وخرج (لمحاربة تنبل). وقبل أن يدركوه، كان تنبل قد التحق بالمغول. وعندما اجتاز أمراؤنا جسر "ياصى كجيت" من نهر "آيلامش " فى صباح اليوم التالى، وجدوا أنفسهم فجأة أمام (تنبل ورجاله). فحاربوا معهم. اشتبك "قاسم بك" مع السلطان "محمد ارغون "، وتبارز معه بالسيف مرتين أو ثلاث مرات، لكنه لم يتمكن من دحره. كما تبارز كثير من الفتيان مع المغول، لكنهم انهزموا فى نهاية المطاف (٦٥ب).

استطاع "قاسم بك " و "على دوست طغايى " و "ابراهيم سارو"،

و" ويَس لاغرى "، و "سَيَدى قره "، وثلاثة أو أربعة من الأمراء والخواص، أن ينجوا بأنفسهم. بينما وقع أغلب الأمراء الآخرين والخواص في يد (تنبل ورجاله)، ومن بينهم؛ "على درويش بك " و"ميريم لاغرى " و"طوقه بك " و"طاغاى بك " و"محمد دوست " و"على دوست " و"ميرشاه قوجين " و "ميريم ديوان". في هذه المعركة تبارز اثنان من الفتيان بشكل جيد، واحد (من رجالنا) يدعى "صَمَد " وهو من أخوة "ابراهيم سارو" الصغار، ضدّ واحد من مغول منطقة حصار يدعى "شهسوار ". وظل "شهسوار " هذا يبارز حتى اخترق سيفه خوزة " صَمَد " وشج رأسه. وتمكن " صَمَد" رغم جرحه، من إنزال ضربة قوية برأس " شهسوار" الذى لم يكن يرتدى خوزة على رأسه. فأطار بسيفه قطعة بحجم قبضة اليد من عظام رأس " شهسوار" وقد ضمدوا رأس " شهسوار" وتحسنت حالته، أما " صَمَد " فلم يجد من يضمد له رأسه، فمات متأثرا بهذا الجرح بعد ثلاثة أو أربعة أيام.

حلت بنا هذه الهزيمة بمجرد أن استرجعنا الولاية[٤٢٨] ونجونا من غارات العدو ومصائبه، ولم يكن هذا بالوقت المناسب. وكان قنبرعلى المغولى وهو أكبر المؤيدين لى غير موجود معنا ، فقد رجع إلى ولايته عندما أخذت "اندجان ".

فشل تنبل فى الاقتراب من " انديجان ":

(١٦٦أ) بينما نحن فى هذا الوضع، وصل تنبل ومعه "جهانكير"، إلى السهل

---

[٤٢٨] يقصد انديجان.

الواقع أمام تل "عَيْش " على مسافة فرسخ من "اَنديجان ". نظم (تَنْبَل) جنوده مرة أو اثنتين وجاء إلى سفح تل "عَيْش" من فوق "جلدُخـتران ". ونظم فتياننا قواتهم وخرجـوا لملاقاتـهم حتـى وصلـوا إلى الناحيـة الأخـرى مـن الربـاض والأحيـاء ،ولم يستطيعوا أن يتقدموا (أكثر من هذا)، وانسـحبوا راجعـين مـن عنـد سـفح التـل. وعندما جاء تَنْبَل إلى هذه المنطقة، أمر بقتل اثنين من الأمراء الذين وقعوا في يده وهما "ميريم لاغرى، وطوقاى ".

أقام تَنْبَل في تلك المنطقة القريبة حوالى شهر، رجع بعده إلى "أُوش" بدون أن يقدر على إنجاز شيىء. وكانت أُوش قد أُعطيت إلى ابراهيم ســـارو وكان بها أحد رجاله الذى أمر بإغلاق أُوش أمام تَنْبَل.

*****

وقائع سنة خمس وتسعمائة[429]

تحرك بابُر إلى أوش لمحاربة أحمد تَنبَل والمغول :

أرسلنا على وجه السرعة مجموعة من رجال البريد والمُحصلين[430] إلى جنود الولايات من الفرسان والمشاة. ومجموعة أخرى من رجال البريد إلى "قُنبُر علي" وإلى الجنود الذين ذهبوا إلى ولاياتهم. وعيننا . المحصلين ذوي التدبير من أجل (توفير) الدروع والبلطات والقسوس، وكل ما يلزم لتسليح الجُنْد . وجمعنا من الولاية كل الفرسان والمشاة القادرين على القتال ، كما استدعينا كل من كلفناه بمهمة في مكان ما ، وكل الفرسان التابعين له. وفي الثامن عشر من شهر المحرم تحركت بالتوكل على الله (٦٦ب)، قاصدا حدائق حافظ بك.

أقمنا في هذه الحدائق يوما أو يومين استكملنا خلالهما ما ينقصنا من أسباب وأدوات وأكملنا استعدادنا، ونظمنا الجُند من الفرسان والمشاه في شكل ميمنة وميسرة وقلب ومقدمة. ثم تحركنا في صفوف متراصة في اتجاه المناوئين لنا عند أُوش . وعندما اقتربنا من أوش، علمنا أن أعداءنا لم يطيقوا البقاء عند أُوش، وأنهم ذهبوا ناحية "رباطِ سرهنك أورجيني" الواقعة في شمالها .

في تلك الليلة نزلنا قرية " لات كند " . وفي الصباح ونحن على وشك مغادرة

---

[429] هذا التاريخ يقابل عامي ١٤٩٩-١٥٠٠م.

[430] موظفو الضرائب.

أوش فى انتظام عسكرى، علمنا بتحرك المناوئين لنا إلى " أنديجان" . فتوجهنا بدورنا إلى أوزكند، وأرسلنا قوات المغيرين لتسبقنا إلى هناك ويغيروا عليه .

وصل هؤلاء المعارضون إلى "أنديجان "، ودخلوا خنادقهم فى الليل. وعندما بدأوا فى وضع السلالم على جدار (القلعة) شعر بهم من بداخلها، وإذا بالمعارضين ينسحبون بدون أن ينجزوا شيئا أبدا .

ورغم هجوم رجالنا المغيرين على جوار أوش، إلا أنهم رجعوا بدون أن يستولوا على شئ .

فتح قلعة مــادو :

قلعة "مادو" من القلاع المنيعة فى ولاية "أوش ". كانت تشتهر فى ذلك الوقت بقوة تحصينها . وقد ترك تنبل أخاه خليل فى هذه القلعة، ومعه حوالى مائتى أو مائتين وخمسمائة رجلا وأمر خليل بدوره بإغلاق القلعة. (٦٧أ) وقدجئنا وتحاربنا وشددنا الهجوم على قلعة "مادو ".

وقلعة "مادو" قلعة منيعة للغاية. وفى الجانب الشمالى منها يجرى أحد الأنهار . تقع القلعة على ارتفاع شاهق. فإذا أطلق سهم من ناحية النهر (إلى القلعة)، ربما لايصل إلى جدارها .والنهر يقع فى هذا الجانب. وقد أقاموا جداران يهبطان من القلعة إلى أسفل مباشرة على شكل طريق ضيق يصل إلى النهر. وأطراف الربوة عبارة عن خندق. ولأن النهر قريب جدا (من القلعة)، فقد رفعوا إليها أحجارا ضخمة من الموجودة هناك ، الواحد منها فى حجم المرجل . وقد ألقوا علينا من

القلعة أحجارا بلغت من الضخامة حدا كبيرا .فلم تُلق علينا من قبل أحجار كهذه من أى قلعة من القلاع .

صعد عبد القدوس كُهبَر – الأخ الأكبر لـ " كتّه بـــك "– حتى بلغ سفح جدار (القلعة) . فألقوا عليه من فوق الجدار أحجارا كثيرة ، لكنها لم تصبه ، وقفز من ذلك المكان الشاهق الارتفاع فأخذ يتدحرج حتى وصل إلى أسفل السفح بدون أن يُصب بأذى. وعلى الفور امتطى صهوة جواده وانطلق. كما ألقوا حجرا على "يار عليّ بلال " أثناء سيره فى طريق الماء، فهشموا رأسه. ومات كثيرون بسبب هذه الحجارة.

(٦٧ب) فى الصباح بدأ القتال مرة أخرى ، وسيطرنا على مجرى الماء قبيل الضحى ، واستمرت الحرب إلى المساء. وعندما سيطرنا على مجرى الماء عجزوا عن القيام بشىء. وفى الصباح التالى طلبوا الأمان، وخرجوا من القلعة. وأسرنا مابين سبعين أو ثمانين، وربما مائة رجل[٤٣١] ممن كانوا تحت إمرة خليـــل شقيق تَنبَـل الصغير، وأرسلناهم إلى "أنديجان " للتحفظ عليهم جيدا . كما وقع فى أيديهم أمراؤنا وخواصنا وخيرة رجالنا . وصار الأمر على ما يرام.

بعد الاستيلاء على قلعة "مادو"، نزلنا بمكان من قرى أوش اسمه "اونجـــى تويـــة". ومن الناحية الأخرى خرج تَنبَـل من أنديجـان إلى مكان اسمه "آب خان "[٤٣٢] من قرى رباط "ســـرهنك اورجينـــى". وكانت المسافة بين الجيشين

---

[٤٣١] جاءت فى الترجمة الإنجليزية سبعون أو سبعون أو ثمانون رجلا، ص١٠٩.

[٤٣٢] آب خان، بمعنى ماء الخان.

فرسخا واحدا . فى هذه الأثناء مرض "قنبر على "، وذهب إلى أوش .

أقمنا فى مكاننا هذا لفترة تتراوح بين شهر وأربعين يوما ، بدون قتال ، إنما جرت مناوشات بين الموظفين المكلفين بالتعيينات فى الجانبين . وكنا فى ليالى هذه الفترة نتخذ ترتيبات احتياطية جيدة فى أطراف معسكر الجيش ؛ فنحفر الخندق، ونقيم الموانع من جذوع الأشجار حيث لا يوجد خندق . وكان فرساننا يخرجون إلى حافة هذا الخندق فى كامل أسلحتهم .

(٦٨أ) كنا نتصرف بمنتهى الحذر، وكان يتم استنفار الجُند لحمل السلاح فى ليلة كل ثلاثة أو أربعة أيام . وذات يوم خرج سيّدى بك طغاى على رأس المسئولين عن التعيينات . فباغتهم رجال العدو بقوة أكبر منهم، وأسروه .

غدر خُسرو شاه وقتله باى سُنقُر ميرزا :

فى هذه السنة عزم "خُسرو شاه " على مهاجمة بلخ ، فاستدعى "بايسُنغُر ميرزا " إلى " قوندوز " واتجه هو إلى بلخ . وعند "أوياج"[٤٣٣]، قام " خُسرو شاه " الخائن الكافر، مطالبا بالسلطنة . وهل لرجلٍ خسيس، وعديمِ الإنسانيةِ والشرف ، وجبانٍ وظالمٍ وباغٍ مثله ، أن يكون له نصيب من السلطنة ؟! وقبض على بايسُنغُر ميرزا ورجاله وأمر بخنقه بوتر القوس . فمات هذا الأمير الرقيق الفاضل المعطاء الأصيل، شهيدا فى العاشر من شهر محرم .

---

[٤٣٣] أوياج، مكان بين بلخ و"قوندوز".

مولد باى سنقر ميرزا ونســـبه :

ولد "ايسنُغُر ميرزا " فى ولاية حِصار عام ثمانمائة واثنين وثمانين[٤٣٤] وهو ثانى أبناء السلطان محمود ميرزا، وهو أصغر من السلطان " مسعود ميرزا "، وأكبر من السلطان "على ميرزا " والسلطان "حسن مـــيرزا "، والســـلطان "ويَـــس ميرزا" المعروف باسم خان ميرزا. وأمه پشه بيگم (٦٨ب).

هيئة باى سنقر ميرزا وصفاتـــــه :

كان فتى جميل الهيئة ، واسع العينين ، مستدير الوجه ، متوسط القامة ، ذو ملامح تركمانية.

أخلاقه وشـــمائله :

كان أميرا عادلا، رحيما، حسن المعشر والأخلاق. أتهم بالتشيع لأن أستاذه سيد محمود كان شيعيا، ثم اتضح فيما بعد أن "بايسنُغُر ميرزا " قد بَرِئَ من هذه العقيدة الفاسدة أثناء وجوده فى "سَـمَرقَنْد "، وصار سُنياً نقى العقيدة. كان مفرطا فى شرب الخمر، ويؤدى الصلاة فى الأوقات التى لا يشرب فيها الخمر، معتدلا فى كلامه وإحسانه، ماهرا فى كتابة خطى النسخ والتعليق، طيب الاستعداد فى أعمال النقش وكان يقرض الشعر الجيد ومخلصه[٤٣٥]"عادل". وإن كان شِعره لا يرقى لدرجة ترتيب ديوان. وهذا المطلع له، ويقول فيه :

---

[٤٣٤] هذا التاريخ يقابل عام ١٤٧٧م.

[٤٣٥] المَخْلَص: اعتاد الشعراء الفرس والترك القدامى استعمال اسم مستعار يتخذه الشاعر لنفسه ويذكره فى أشعاره وغزلياته وهذا الاسم المستعار هو المَخْلَص، انظر، Türk Dili ve Edebiyati Ansiklopedisi,c.6,s. 114

كنت من فرط الوهن أتساقط فى كل مكان كالظل

فإن لم أجد جدارا أتكئ عليه، أسقط (على الأرض) .[436]

وقد شاعت غزلياته فى " سمرقند "، حتى قيل إنه لا يوجد بيت يخلو من شعر له.

معارك باى سنقر ميرزا :

خاض "بايسنغر ميرزا " حربين، الأولى ضد **السلطان محمود خان** ؛ ذلك أنه عندما اعتلى **بايسنغر ميرزا** العرش، ساق إليه **السلطان محمود خان** جيشا للاستيلاء على "**سمرقند** "، وذلك بتحريض من السلطان جنيد برلاس وآخرين (٦٩أ) . فاجتاز الجيش "آق كوتل "، ووصل إلى "رباط سغد " بجوار "كنباى"، وقد هزمه **الميرزا** هزيمة منكرة، وأمر بقتل ثلاثة أو أربعة آلاف من المغول. وقتل فى هذه الحرب **حيدركوكلداش** وكان بيده الحل والعقد لدى الخان.

أما الحرب الأخرى، فقد جرت فى "بخارا " ضد السلطان "**على ميرزا**"، وانهزم فيها .

ولاية باى سنقر ميرزا :

أسند إليه والده **السلطان محمود ميرزا**، ولاية "بخارا ". وبعد وفاته اتفق الأمراء على تنصيب "**بايسنغر ميرزا** " سلطانا عليهم فى "سمرقند ". وظلت "بخارا " لفترة ضمن ديوانها .لكنه خسرها بسبب تمرد الترخانيين. فلما ضاعت منه

---

[436] البيت مكتوب بالفارسية .

سمرقند، لجأ إلى " خسرو شاه ". واسترد " خسرو شاه " منطقة حصار وأعطاها إليه.

لم يخلف "بايسنغر ميرزا " ذرية من بعده. وقد تزوج من ابنة عمه السلطان خليل ميرزا عندما لجأ إلى "خسرو شاه "، ولم يكن له زوجة أو سرية سواها.

وكان عدم انفراده بالسلطنة سببا فى عدم نجاحه فى إعداد أو تهيئة أحد من الأمراء الموموقين، وكان أمراؤه هم (نفس) أمراء والده وعمه. (٦٩ب)

إنضمام بعض رجال باى سنقر ميرزا إلى بابر:

بعد وفاة "بايسنغر ميرزا "، خرج السلطان أحمد قراوول[٤٣٧] من ولاية "تكين" ومعه والد قوج بك وإخوته كبيرهم وصغيرهم وأشياءه ومتعلقاته، وجاء راغبا فى الانضمام إلينا . كما لحق بنا "قنبرعلى" الذى كان طريح الفراش فى اوش بعد أن برئ من مرضه.

اعتبرنا تلقى هذه المساعدة غير المتوقعة، ومجىء السلطان أحمد قراوول ومعه رجاله، والانضمام إلينا فى مثل هذا الوقت ، من قبيل الفأل الحسن، وفى الصباح التالى نظمنا صفوفنا، وتوجهنا فى الحال لمحاربة العدو.

المواجهة مع تنبل :

غادر تنبل معسكره فى "آب خان " ومضى بدون أن يحارب. فلما وصلنا إلى معسكره غنم الجند بعض الأشياء كالخيام والبسط والمهلهلات. وفى تلك الليلة

---

[٤٣٧] السلطان أحمد قراوول، هو السلطان احمد بك والد قوج بك تردى.

ابتعد **تنبل**،ومعه **جهانكير ميرزا** وسلك طريقا عن يميننا ، ودخل قرية "**خوبان**" ناحية **اندجان** ، على مسافة ثلاثة فراسخ من موقعنا . وفى اليوم التالى، حددنا أجنحة اليمين والشمال والقلب والمقدمة فى جيشنا، وارتدينا ملابس الحرب، ونظمنا صفوفنا . وجعلنا المشاة لابسى الدروع فى المقدمة.كان **على دوست طغايى** ورجاله فى الميمنة، و**ابراهيم سارو**، و**ويس لاغرى**، و**سيدى قره**، و**محمد على مبشر خوجه** (١٧٠أ) و**كجيك بك** أخو **كلان بك الكبير**، وبعض الخواص الآخرين، و**السلطان أحمد قراوول**، و**قوج بك** وإخوته الكبار والصغار فى الميسرة، و "**قاسم بك** " إلى جوارى فى القلب ، و"**قنبر على** " وبعض الخواص الآخرين فى المقدمة. ووصلنا قرية "**سبقا** "[٤٣٨] فى جنوب شرق **خونسان**"[٤٣٩] على مسافة فرسخ منها .

خرج لنا العدو من قرية "**خونسان** " وقد نظم صفوفه، فأسرعنا فى سيرنا .كان المشاة ذوى الدروع منظمين لمواجهة أى احتمال. فلما أصبحنا أمام العدو وجها لوجه،كان هؤلاء المشاه متخلفين وراءنا . وبعناية الله، لم تكن هناك حاجة إليهم. فى البداية التحمت ميسرتنا مع ميمنة العدو. وقد أجاد **كيجيك بك** الأخ الأكبر **لخوجه كلان بك**، القتال بالسيف، كذلك **محمد على مبشر**، ولم يصل القتال إلى الميمنة والمقدمة، فقد اكتفى العدو بهذا القدر من القتال، وولى هاربا بغير

---

[٤٣٨] سبقا، هكذا فى الأصل، وجاءت "صقا "فى الترجمة التركية ص ٧٣،و الترجمة الإنجليزية ص ١١٤، وجاءت سقاله فى الترجمة الفارسية ص ٤٥.

[٤٣٩] خونسان، هكذا فى الأصل وجاءت "خوبان"فى الترجمة التركية ص ٧٣ والترجمة الإنجليزية ص١١٤ و الترجمة الفارسية ص٤٥.

مقاومة. ووقع فى أيدينا عدد كبير من فرسان العدو، فأمرنا بقطع رؤوسهم.

طرحت فكرة ارسال بعض جنودنا ليتعقبوا العدو إلى مسافة بعيدة، وذلك من قبيل الاحتياط الزائد، إلا أن قاسم بك وعلى دوست وهما من أمرائنا، لم يوافقا على هذه الفكرة، وكان على دوست بالذات أكثر المعارضين لها. وكانت النتيجة أننا لم نتمكن من أسر معظم جنود العدو (٧٠ب)، ونزلنا قرية "خونـــان". كانت هذه الحرب هى أول حرب أخوضها، وقد أنعم علينا الله ذو الفضل الكريم، فجعل النصر من نصيبنا. واعتبرنا هذا النصر من يمن الطالع.

مع الخيوط الأولى من صباح اليوم التالى جاءت جدتى السيدة شاه ســـلطان بيكم[٤٤٠]، إلى "اندجـــان"، بغية أن تتشفع لإنقاذ جـــهانكير مـــيرزا إذا وقع فى قبضتنا.

مغادرة بابر اندجـــان :

مع اقتراب الشتاء نقصت المؤن فى الوادى، ففضلنا عدم مواصلة السير إلى "اوزكند" ورجعنا إلى اندجان. وبعد عدة أيام تشاورنا فى الأمر وقررنا أنه من الأفضل أن نقطع الشتاء فى مكاننا هذا، فنخفف عن الجند وطأة المعاناة من نقص المؤن، ومن ناحية أخرى نتمكن من التضييق على العدو بما يشبه بالحصار، فإقامتنا فى "اندجـــان" فى فصل الشتاء، لن تضير العدو فى شىء، بل ربما استفاد منها، وهجم علينا وسرقنا. لهذا غادرنا اندجان، عاقدين العزم على قضاء الشتاء

---

[٤٤٠] شاه سلطان بيكم، هى جدته لأبيه زوجة أبو سعيد ميرزا وأم عمر شيخ ميرزا.

فى منطقة "ايكى ارا سو"[441] فى "رباط اورجينى "بجوار "آرميان " و "تـــوش آب "(٧١أ)، وقد وأقمنا المشتى بالقرب من هذه القرى.

وأماكن الصيد هنا جيدة. فتكثر الغزلان والخنازير فى الغابات الكثيفة القريبة من نهر "آيلامش " . كما تكثر الديوك البرية والديوك العادية فى نباتات الخليج . وتكثر الثعالب فى الأماكن ذات التلال وفى المنخفضـات العميقـة، وهـذه الثعـالب تفوق سرعتها الثعالب فى المناطق الأخرى.

كنت أثناء إقامتنا فى هـذا المشتى، أخرج للصيد مرة كل يومين أو ثلاثة أيام. وكنا نتجول بين الغابات الضخمة لصيد الغزال، وننصب الشراك فى الغابات الصغيرة لصيد الطيور، ونصيد الديوك البرية بالسهام وهى من النوع السمين جدا . وكانت لحومها متوفرة لدينا طوال فترة إقامتنا فى المشتى.

كان خداى بردى التوغجى حديث العهد بنا، وقد رقيته إلى رتبة أمير. وأثناء إقامتنا فى هذا المشتى، أغار على العدو مرتان أو ثلاث مرات، كما هزم المغيرين أتباع تنبـل، وأتى إلينا برؤوسهم . ولم يكف فتياننا المغيرون فى اندجـان وأوش، عن مهاجمة العدو بدهاء، فسلبوه جياده وقتلوا رجاله وأعجزوه. وربما لو قضينا الشتاء فى ذلك المكان (٧١ب) لكان الاحتمال الكبير أن نهزم العدو قبيل الصيف بدون أن تدور الحرب . لكننا ونحن نستنزف قوة العدو على هذا النحو حتى أعجزناه، طلب "قنبر علـى " الإذن ليرجع إلى ولايته. وكلما حاولنا أن نثنيه عن رغبته هذه بشتى الطرق ، ونشرح له حقيقة الموقف، كان يظهر المزيد من عدم

---

[441] ايكى ارا سو، بمعنى ما بين الماءين أو النهرين.

الأكثرات. فقد كان رجلا غريبا، متهورا، وعديم التفكير. فاضطررنا إلى تلبية رغبته.

كان "قنبر علي" في بدء الأمر واليا على "خجند"، وقد أعطيته منطقتي "اسفره" و "كندبادم" بعد فتح اندجان في المرة الأخيرة. وكان يفوق كل الأمراء في عدد الولايات والرجال التابعين له. ولم يكن لأحد من الأمراء مثل حظ "قنبر علي" من الولاية والرجال.

بقينا في هذا المشتى لمدة أربعين أو خمسين يوما. وكما سمحنا لـ "قنبر علي"، بالعودة، سمحنا بالتالي لجنود آخرين بالعودة أيضا إلى ولاياتهم. وأخيرا رجعنا كلنا إلى "اندجان". خلال الفترة القصيرة التي قضيناها في المشتى وفي "اندجان"، كان رجال تنبل لا يكفون عن الذهاب إلى الخان[٤٤٢] في "تاشكند". وكان أحمد بك وصيا على "السلطان محمد" بن الخان. وهو من الأمراء الذين تمتعوا برعاية الخان بشكل خاص، كما كان عما شقيقا لـ "تنبل". أما بك تيلبه الذي كان يعمل حاجبا للخان، فكان شقيق تنبل الذي يكبره. وفي النهاية،أقنع أحمد بك وبك تيلبه الخان بأن يرسل (جنوده) لمساعدة إلى تنبل. (١٧٢أ)وقبل أن يرسل المدد كان "بك تيلبه" قد ترك أسرته وعشيرته في تاشكند، وانضم إلى أخيه الأصغر تنبل. وكان "بك تيلبه" يعيش منذ مولده في مغولستان. ونشأ بين المغول. ولم يذهب إلى الولايات، ولم يخدم لدى سلاطين الولايات، واقتصر على خدمة الخانات فقط.

وقع أثناء ذلك أمر عجيب؛ كنا قد تركنا قاسم عجب في "اخسي" مؤقتا.

---

[٤٤٢] السلطان محمود خان خال بابر.

فخرج ذات مرة فى أعقاب مجموعة من قطاع الطرق لمطاردتهم. وأثناء عبوره ماء "خجند" عند "بجراتا"، وجد نفسه أمام جمع غفير من أتباع تنبل، فوقع فى قبضتهم.

عندما علم تنبل بخبر تفرق رجالنا، وقد تأكد من مجيء المساعدة التى قررها أخوه الأكبر بنفسه مع الخان. تحرك من "اوزكند" وجاء إلى "ايكى ارا سو". فى هذه الأثناء. وتبعا للخبر الذى بلغنا. أن الخان كلف كلا من ابنه السلطان محمد المشهور باسم "سلطانم"، وأحمد بك، بمساعدة تنبل، وأمدهما بحوالى خمسة أو ستة آلاف من الجند، وأنهما وصلا بجنودهما عبر طريق "ارجه كند" وحاصروا "كاسان". لذلك لم ننتظر تجمع بقية رجالنا الموجودين فى أماكن بعيدة، وتوكلنا على الله فى هذا الشتاء القارس، وغادرنا "اندجان" فى الحال بمن معنا من الرجال، للتصدى لسلطانم وأحمد بك، وسلكنا طريق "بندسالار".

(٧٢ب) قطعنا الليل كله سيرا بغير توقف، فوصلنا "اخسى" فى الصباح. كان الليل شديد البرودة لدرجة أن أطراف بعض رجالنا تجمدت، وتورمت آذان أكثرهم وصارت منتفخة مثل التفاحة. وتركنا "يارك طغايى" مؤقتا فى "اخسى" بدلا من قاسم عجب، واستأنفنا السير فورا قاصدين "كاسان". وقبيل "كاسان" بفرسخ واحد، علمنا أن أحمد بك "سلطانم" لما علما بمجيئنا، تقهقرا وكأنهما مهزومان.

إفلات تنبل من يد بابر :

لما علم تنبل بتحركنا، أسرع لنجدة أخيه الأكبر وقد اعترته الدهشة لوصولنا

إلى "كاسان" بهذه السرعة، وتقهقر أخيه بهذه السهولة. ومع حلول المساء ظهر غبار يجئ تنبل من ناحية "توكند" [٤٤٣]. فقلت (لرجالى) : "هذا ما قدره الله. إن خيول تنبل الآن فى منتهى الإرهاق، فإذا استأنفنا سيرنا وهاجمناهم (وهم فى هذه الحال)، لن ينج منهم أحد بإذن الله". قال ويس لاغرى وآخرون : "لقد انقضى النهار، فإن أرجأنا الهجوم إلى الصباح، نستطيع أن نهاجمهم فى الصباح الباكر وندركهم حيثما كانوا". (١٧٣أ) ولم يؤيدوا فكرة مواصلة السير لمهاجمة تنبل ورجاله.

وهكذا أفلت العدو الذى جاء إلينا حتى الباب، ونجا بدون أن يلحق به أدنى ضرر. والمثل يقول "مالا تغتنمه وهو عند بابك، ستندم عليه حتى آخر العمر".

"أداء الأعمال مرهون بأوقاتها،

فما يؤدى منها فى غير وقته يكون ناقصا" [٤٤٤].

اغتنم العدو الفرصة وواصل سيره طوال الليل بغير توقف، ودخل قلعة "ارخيان" [٤٤٥]. وفى اليوم التالى توجهنا ناحية العدو فلم نعثر عليه. واقتفينا أثره، وكنا نرى أنه من غير المناسب محاصرته ونحن على مقربة من القلعة، فذهبنا إلى "غزنه نمنكان" على مسافة فرسخ من قلعة "ارخيان".

أقمنا فى مكاننا هذا لمدة ثلاثين أو أربعين يوما، وأقام تنبل فى قلعة "ارخيان". كان الجند خلالها يذهبون من هنا ويأتون من هناك على شكل مفرزات

---

[٤٤٣] يعنى المدينة الجديدة وتقع بين اوزكند وكاسان شمال نهر سيرداريا.

[٤٤٤] البيت مكتوب بالفارسية وهو لسعدى الشيرازى.

[٤٤٥] ارخيان، قلعة فى فرغانه.

صغيرة ويتبادلون إطلاق السهام عبر الطريق الفاصل بيننا ثم يرجعون. وذات مرة، شن رجال العدو غارة ليلية وأطلقوا علينا السهام من خارج المعسكر، ثم انسحبوا. واتخذنا تدابير احتياطية، على صورة حفر خندق حول المعسكر ووضع الموانع من الأشجار، فلم يستطع (تنبـل) عمل شيء قط. أثناء إقامتنا في مكاننا هذا، غضب " قنبر على " مرتين أو ثلاث مرات، (٧٣ب) وطلب العودة إلى ولايته. بل إنه في إحدى المرات تحرك من تلقاء نفسه، فأرسلنا في أعقابه بعض الأمراء، وقد أعادوه بصعوبة.

في هذه الأثناء أرسل "سيد يوسف مجمى" رجلا إلى السلطان أحمد تنبل، وانضم إليه. من سفوح جبال " اندجان " سفحين يقولون عنهما "اويغور" و"مجم"، وسيد يوسف هذا من الكبار في هذين السفحين. وبعد ذلك صار مشهورا عندي. فلما عظم أمره طالب بالإمارة. لكن أحدا لم يقلده هذه المكانة. فقد كان منافقا وغير أهل للثقة. ومنذ أن أخذت اندجان هذه المرة وإلى الآن، فإنه كما انضم إلى مرتين أو ثلاث مرات واتخذ موقف العداء من تنبـل، تحالف أيضا مع تنبـل مرتين أو ثلاث مرات وناصبني العداء وكانت هذه هي المرة الأخيرة (التي ناصبني فيها العداء). وكان يتبعه كثير من القبائل والعشائر والأقوام. فتحركنا في أثره لنلحق به في الطريق، ونناشده ألا ينضم إلى تنبـل. وفي اليوم التالي وصلنا إلى قرب "بشخاران"[٤٤٦]، لكن يبدو أن رجال تنبل كانوا قد دخلوا قلعتها. وعند باب "بشخاران"، إشتبك معهم أمراؤنا المهاجمون؛ وهم على درويش بك وقوج بك

[٤٤٦] بشخاران، في فرغانه.

واخوته كبارا وصغارا، وهؤلاء أبلوا فى القتال بلاء حسنا (٧٤أ) وقاموا بأعمال كثيرة وهامة. ونزلنا إلى مكان مرتفع على مسافة فرسخ من "بشخاران"، بينما نزل تنبل وجهانكير ميرزا وراء قلعتها.

تصالح بابر مع جهانكير ميرزا :

بعد يومين أوثلاثة أيام، بدأ الأمراء المعارضون لنا: "على دوست" و"قنبر على السلاخ" والتابعون لهم، فى الحديث بشأن الصلح. ولم أكن وأتباعى المخلصون نفكر هذا الصلح أبدا وكنا نرفضه رفضا تاما. ولما كان هذان الرجلان من أمرائنا الكبار، فمن المحتمل أن يتصرفا بشكل آخر إذا لم نكترث بقولهما. لهذا اضطررنا إلى عقد الصلح على أن تكون الولايات التى فى ناحية "اخسى" من ماء "خجند"، لجهانكير ميرزا، وتكون الولايات التى فى ناحية "اندجان"، من نصيبى، وأيضا "اوزكند" تكون تابعة لديواننا بعد إجلاء أتباعه[447] وأهله عنها. وبعد عقد هذا الاتفاق مع جهانكير ميرزا بشأن الولايات، اتفقنا أيضا على أن نتوجه معا إلى "سمرقند"، وبعد أن اعتلى عرشها أترك له "اندجان". (٧٤ب)

وقد اتخذنا الشروط والمواثيق اللازمة لتنفيذ هذا الاتفاق وكان ذلك فى أواخر شهر رجب. وفى صباح اليوم التالى تحرك جهانكير ميرزا وتنبل إلى "اخسى" ورجعت أنا إلى "اندجان".

بعد الرجوع إلى "اندجان"، أطلقنا سراح خليل الأخ الأصغر لتنبل،

---

[447] يقصد أتباع جهانكير ميرزا.

وكل المحبوسين لدينا، وألبسناهم الخلع، وسمحنا لهم بالانصراف. كما أطلقوا هم بدورهم سراح المحبوسين لديهم من أمرائنا وخواصنا وعلى رأسهم **طغـايى بـك**، **ومحمد دوست**، **وميرشاه قوجين**، **وسَيدى بك**، **وقاسم عجب**، **ومـيرويَس**، **وميريم ديوان**، وأعادوهم إلينا.

سوء تصرف عليّ دوست وابنـه :

بعد عودتنا من "**أنديجان**"، تغير تماما سلوك **علـى دوسـت**. وبدأ يسيئ معاملة رجالي الذين شاركوني الحروب والمحن. و قد سبق له أن طرد "**خليفـة**"، ثم أمر بالقبض على "**ابراهيم سارو**"، و **ويس لاغـرى** بدون أى سبب أو ذنب. وأمر بنهب أموالهما وتجريدهما من ولاياتهما وطردهما. كما كان يتنازع مع "**قاسم بك**". وكان السبب الظاهرى لسلوكه هذا هو ميل (**إبراهيم سـارو**) **وخليفة** إلى "**مولانا القاضى**" وبرر تصرفاته بأنهما ربما يفكران فى الانتقام منه. كذلك كان ابنه **محمـد دوسـت**، يتصرف وكأنه سلطان، (٧٥أ) فيقيم المجالس والمآدب ويعقد الديوان مثل السلاطين، ويحيط كل هذا بمظاهر الفخامة. وكان كلاهما؛ الأب والابن، يتصرفان وفق أهوائهما، اعتمادا على مساعدة **تنبل** لهما. فى حين أننى لم يعد لدىّ من القوة ما يُمكّننى من منع هذه التصرفات الغريبة، فضلا عن كونهما يتمتعان بحماية عدو لى مثل **تنبـل** هذا. وكان الوقت حرجاً، ولا مجال للاعتراض عليهما. فانتصارهما علىّ كان سيجرّ علينا وبالا كبيرا.

زواج بـابُر :

كان للسلطان أحمد ميرزا بنت تدعى "عائشة سلطان بيكـم " وقد اتفق أبى وعمى وهما على قيد الحياة، على خطبتها لى. وقد تزوجتها[448] فى شهر شعبان عندما ذهبت إلى "خُجَنْد ". كان شعورى ناحيتها فى البداية عاديا، فقد كان هذا أول عهدى بالزواج. وكنت أزورها مرة واحدة كل عشرة أو خمسة عشر يوما، خجلا وحياء. وفيما بعد وهَنَ حبها في قلبى، كما ازداد خجلى. وكانت السيدة والدتى تُعَنِّفنى وتجبرنى على زيارتها مرة كل ثلاثين أو أربعين يوما.

فى هذه الأثناء، (٧٥ب) كان لرجل ممن ينتسبون إلى "سوق الجيش" ولد يدعى "بابُرى":

اعترانى ميل غريب إليه

حتى جعلت من نفسى ظلاً له ومجنوناً به

وقَبله لم أظهر ميلا لأحد قط بل ربما لم أصْغِ إلى أولئك الذين يتكلمون عن الحب والعشق، ولم أشارك فى الحديث عنه. وكنت فى ذلك الحين أردد بيتا أو اثنين بالفارسية فقلت هذا البيت :

لا هالك وعاشق وذليل مثلى

ولا محبوب جافٍ وقاسٍ مثلك[449]

وكان بابُرى يزورنى أحيانا. لكنى لا أجرؤ على النظر إلى وجهه من فرط

---

[448] كان بابور آنذاك فى الثامنة عشر من عمره، حيث أنه ولد عام ٨٨٨هـ.

[449] البيت مكتوب بالفارسية.

حيائي ؛ فكيف أستطيع التكلم معه ومحادثته. وكنت من فرط سعادتي وانفعالي أعجز عن شكره لمجيئه. فكيف أشكو له ابتعاده عني. وأي طاقة لي حتى أستطيع أن آمره بملازمتي. وكنت أسير ذات يوم مع رجالي، فظهر بـــابري في طريقي فجأة وأنا في لحظات المحبة والعشق هـذه، فكدت أذوب من فـرط الانفعـال. ولم يكن بمقدوري النظر إليه مباشرة أو محادثته (١٧٦أ). وعانيت ألف عذابٍ وخجل. وجال بخاطري هذا البيت لمحمد صالح[٤٥٠] وهو ينطبق على حالي :

كلما نظرت إلى محبوبي، اعتراني الخجل

فينظر إليَّ رفاقي، وأنظر أنا إلى الجانب الآخر .[٤٥١]

ومن فورة الحب والعشـق، ومـن قـوة الشـباب والجنون، كنت أطـوف فـي الجوار والشوارع والغابات والحدائق، عاري الرأس حافي القدمين. فلم ألحق بقريب أو غريب، ولم أكترث بنفسي أو بالآخرين.

عندما أكون عاشقا، أتوه عن نفسي وأصبح كالمجنون

ولا أدري، أهذا هو حال من يعشق صاحب الخدود الملائكية.

وكنت أحيانا أخرج بمفردي إلى الجبل والقفار، كالمجنون، وأحيانا أخرى أسير هائما في الحدائق والأحياء وأطوف بها شارعا شارعا . لا إرادة لي في السير أو البقاء ولا قدرة لي على أن أقرر، هل أذهب أم أبقى.

---

[٤٥٠] محمد صالح وهو من الشعراء الجغتائيين. كان شاعرا لفترة في بلاط السلطان حسين بايقرا،ثم التحق بـــبلاط شـيباني خان، وكتب مثنوي يصور فيه انتصارات شيباني خان يعرف باسم شيباني نامه، وهو من الآثار التاريخيـــة الهامـــة في تـــاريخ الشيبانيين إلى جانب قيمته الأدبية. توفي عام ١٥٣٤م. انظر، Türk Dili ve Edebiyati Ansiklópedisi, c.6,s.420

[٤٥١] البيت مكتوب بالفارسية.

لا طاقة لى على الذهاب، ولا طاقة لى على البقاء

أيها القلب، أنت الذي أوصلتني إلى هذه الحال.

النزاع بين السلطان " على ميرزا " و " محمـــد مزيـــد ترخـــان ":

فى هذه السنه ثار النزاع بين السلطان "على مـــيرزا " و "محمـــد مزيـــد ترخان "[٤٥٢]. والترخانيون قوم ذوي شأن وقوة عظيمين. وكان باقى[٤٥٣] قد استولى على "بُخارا "كُلّيَةً، (٧٦ب) وصار لا يدفع من خراجها قرشا واحدا لأحد. كما كان "محمد مزيد ترخان " حاكما على "سَمَرقَنْد ". وقد وزع الولاية وكل توابعها ولواحقها على أبنائه ورجاله. وكانوا لا يؤدون إلى السلطان "علـــى مـــيرزا " قرشا واحدا من إيراداتها مهما بلغت. أما وقد كبر السلطان "على ميرزا "، فكيف له أن يتحمل مثل هذه التصرفات منهم. لذا دبّر مع بعض خواصه مؤامرة تستهدف حياة "محمد مزيد تَرخان ". فلما علم "محمد مزيد تَرخـــــان " بهذا، غادر المدينة برجاله وأتباعه وكل الأمراء الذين معه، وكان من بينهم السلطان "حسين ارغون "، وبير أحمد، وخوجه حسين، وقرا بـــرلاس الأخ الأصغر لـ "اوزون حســـن "، وصالح محمد، وبعض الأمراء والفتية.

فى تلك الأثناء، عيّن السلطان محمود خان، ابنه "خان ميرزا"[٤٥٤] (أميرا) على "سَمَرقَنْد "، وأرسل معه محمد حسين دوغلت وأحمد بـــك، وبرفقتهم عدد

---

[٤٥٢] محمد مزيد ترخان، أحد أمراء عمه السلطان أحمد ميرزا، انظر، بابُر نامه، ورقة٢٢ب.

[٤٥٣] باقى، يقصد باقى ترخان أحد أمراء رجال السلطان أحمد ميرزا،، انظر ترجمة حاله فى بابُر نامه، ورقة٢٢ب.

[٤٥٤] خان ميرزا، يقصد ابنه ويُس سلطان والمعروف أيضا باسم ميرانشاهى.

كبير من أمراء المغول. وكان حافظ بك دلداي وابنه طاهر بك، هما الوصيان على الخان ميرزا، فهرب حسن بيره، وهندو بك وبعض الفتية من عند السلطان "على ميرزا "(١٧٧) ولحقوا بخان ميرزا بسبب علاقتهم بحافظ بك وابنه.

أرسل "محمد مزيد ترخان "، الرجال في طلب "خان ميرزا " وجنده من المغول. وجاء والتقى به بجوار " شاودار "[٤٥٥]، وعقد مقابلات مع أمراء المغول. لكن أمراء المغول عجزوا عن التفاهم جيدا معه. بل ربما فكروا في القبض عليه. فلما أدرك (محمد مزيد ترخان) وأمراؤه مايدور بخلد (المغول)، تعلل بأمر ما وابتعد بأمرائه عن جند المغول ومضى، فلم يطق جند المغول البقاء ورجعوا بدورهم إلى "يار ييلاق ".

في تلك الأثناء، تحرك السلطان "على ميرزا " بسرعة من "سمرقند" على رأس عدد قليل من الجند، وهاجم "خان ميرزا " وجند المغول، الذين عجزوا عن قتاله، وانهزموا، ولاذوا بالفرار. وكان هذا من أفضل الأعمال التي قام بها السلطان "على ميرزا " في الآونة الأخيرة.

استعانة " محمد مزيد ترخان " ببابر :

انقطع أمل "محمد مزيد ترخان " ورجاله في هؤلاء الأمراء[٤٥٦]، فأرسلوا إلينا عبد الوهاب المغولي، لطلب المساعدة. وكان عبد الوهاب هذا فيما مضى، من

---

[٤٥٥] شاودار، إحدى مقاطعات "سمرقند". انظر، بابر نامه، ورقة ٥١.

[٤٥٦] جاءت في الترجمة الإنجليزية "أرسل "محمد مزيد ترخان" ورجاله، مير مغول ابن عبد الوهاب شغاوول، قاطعين الأمل في المغول وفي هؤلاء الأمراء" ص ١٢٢.

رجالى، وأثناء حصار "آندِجان "، أنجز أعمالا طيبة هو والخواجة القاضى. وكنا نحن أيضا فى ذلك الوضع السيئ، الذى دفعنا إلى عقد الصلح، واتخاذ قرار حاسم بالسير إلى "سمَرقَنْد ". وعلى الفور، أرسلنا "مير مغول " إلى جهانكير ميرزا فى "أخسِى "(٧٧ب) ليبلغه بمكان تجمع الجُند، بينما تحركنا نحن إلى سمَرقَنْد.

استيلاء خليل، على قلعة أوش :

فى شهر ذى القعدة تحركنا صوب "سَمَرقَنْد " ، فبلغنا " قُبا "[٤٥٧] فى اليوم الثالث. وفى وقت صلاة العصر، علمنا أن خليل أخ تَنْبَل الصغير، هاجم قلعة "أوش "، واستولى عليها. وتفصيل ذلك على النحو التالى :

عندما عقدنا الصلح، كما ذكرنا من قبل، أطلقنا سراح الأسرى وعلى رأسهم خليل شقيق تَنْبَل. وقد أرسل تنبل أخاه خليل إلى "أوزكَنْد" لكى يُخرج أهل بيته وأقاربه من هناك. فدخلها خليل بهذه الذريعة، وأخذ يختلق الأسباب كل يوم حتى لا يغادرها. فلما خرجنا نحن فى حملتنا، وظلت أوش بدون حامية، انتهز خليل الفرصة، وهاجم قلعتها واستولى عليها. فلما علمنا بهذا، واصلنا سيرنا إلى "سَمَرقَنْد ". حيث بدا لنا أن بقاءنا هنا[٤٥٨] والانشغال بهؤلاء، أمر يجانب التوفيق لعدة أسباب، أحد هذه الأسباب أن كل فرساننا، قد تفرقوا فى مختلف الأنحاء

[٤٥٧] قُبا، بضم القاف، مدينة فى فرغانه بالتركستان، وهى مسقط رأس الصوفى المعروف أبى إسحاق القبارى وغيره من العلماء الأجلاء. شمس الدين سامى قاموس الأعلام خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ج٥ ص ٣٥٩٣. وهى الآن قرية "كوفا"، وكانت تعتبر الثالثة من بين مدن فرساله، وتقع على مجرى ماء يحمل نفس الاسم، وأصبحت قرية منذ عهد بابر، وبينها وبين أوش سبعة فراسخ، انظر، بارتولد، تركستان ، ص٢٧٠، ٢٧١.

[٤٥٨] فى قبا.

وعادوا إلى مواطنهم من أجل استكمال تجهيزاتهم. كما أننا ارتبطنا بمصالحة دون أن يكون لدينا علم بالحيلة والخيانة التى قاموا بها[٥٩]. كما أن أمراءنا الكبار أمثال "على دوست "(١٧٨أ) و"قَنْبَر على"، بدت منهم عدة مرات تصرفات ذكرناها من قبل، وأصبحنا لا نثق فيهم.

أرسل إلينا كل أمراء سَمَرْقَنْد وعلى رأسهم "محمد مزيد ترخان"، ميرمغول يدعوننا للذهاب إليهم. فإذا كانت أمامنا عاصمة مثل سَمَرْقَنْد، فلما نبدد الرجال والوقت في مكان مثل "اَنديجان"؟!. وتحركنا من "قُبا" إلى "مَرغينان".

فى الطريق إلى " سمرقند ":

كانت مَرغينان قد أعطيت إلى السلطان أحمد بك[٦٠] والد قوج بك. ولم يستطع أن يتحرك معنا من مَرغينان بسبب بعض الأعمال والصعوبات، فأرسل معنا ابنه قوج بك واثنين من أقاربه. وتحركنا عبر طريق "اَسفَرَه" فبلغنا قرية "مَحَن" من أعمال "اَسفَرَه". ومن محاسن الصدف أن جاء إليها فى تلك الفترة كثير من الفتية كما لو كنا على موعد، وانضموا إلينا. وغادرنا المكان وعبرنا "تشت خسبان"، وجسر "جوبان"، وبلغنا "اوراتيبه". وذهب "قُنبُر على" إلى "اَخسيى" ثقة فى تنبل، ليتكلم بشأن الجُند القادمين من "خُجَند"، التى هى ولايته. فلما ذهب إليه، أمر تنبل بتقييده (٧٨ب) وأخذه معه إلى ولايته. وهناك مثل تركى يقول: "الصديق المخادع يملأ مقعدك بالتبن". وأثناء الطريق، هرب "قُنبُر على"

---

[٥٩] يقصد خليل ورجاله.

[٦٠] السلطان أحمد بك، هو السلطان أحمد قراوول.

وجاء اوراتيبه سيرا على الأقدام وبمشقة بالغة. وفي اوراتيبه علمنا أن "شـيباني خان" هزم باقي ترخان في قلعة "دبوس"، وأنه في طريقه إلى "بُخارا". فتوجهنا من اوراتيبه إلى "سنكِ زار" عبر طريق مرعى "بوركـه". فسلم والي سـنكِ زار القلعة. ولما كان "قنبر علي" قد جاء بعد أن فقد كل ما يملكه، فقد تركناه هناك.

ولما وصلنا إلى "خان يوردو" جاء أمراء "سَمَرْقَنْد" وعلى رأسهم "محمد مزيـد ترخان"، وانضموا إلينا. وتكلمنا معهم بشأن الاستيلاء على سَـمَرْقَنْد. فقالوا: "إن "خوجه يحيى"، شديد الارتباط بالسلطان[461]، فإن استطعنا أن نستميله إلى جانبنا، أمكننا الاستيلاء على سَـمَرْقَنْد بسهولة وبغير قتال". بناء عليه أرسلنا رسلا، أكثر من مرة، إلى "خوجه يحيى". ولم يعطنا الخوجه ميثاقا قاطعا بإدخالنا سَمَرْقَنْد، لكنه لم يقل ما يجعلنا نقطع الأمل.

تحركنا من خـان يـوردو، وجئنا إلى ساحل "درِ غـم". ومن هنـاك أرسلنا "خوجه محمد علي كتابدار" إلى "خوجه يحيى". (١٧٩ أ) ورجع إلينا بقوله: "ليأتوا، ونحن نسلم لهم المدينة". فتحركنا مساءً من "درِ غـم"، صوب المدينة. وهرب من هناك والد السلطان محمد دُلداى والسلطان محمود دلـداى، وقد علم الموجودون في "سَـمَرْقَنْد" بأمر (هذا الاتفاق). لهذا لم تتحقق الخطة المقترحة. ورجعنا ثانية إلى ساحل "درغم".

غدر علي دوست برجال بابر:

ابراهيم ساروميتكليغ هو أحد أمرائي الذين حظوا برعايتي، وقد أمر "علـي

---

[461] يقصد السلطان "علي ميرزا".

دوست " بالقبض عليه وطرده. فجاء إلينا ونحن عند يار ييلاق مع محمد يوسف أكبر أبناء يوسف بك. كما قام على دوست بطرد بعض أمرائنا الكبار والخواص المعارضين له وأمر بنهب بعضهم والقبض على البعض الآخر، وقد جاءوا إلينا فرادى. وأحس علـى دوست بضعف موقفه. فقد آذانى وجافانى أنا ورجالى. وكنت بدورى لا أطمئن إلى هذا الوضع. ومن فرط خوفه وانفعاله، لم يطق البقاء وطلب الإذن له بالذهاب، فأذنت له بمغادرتنا منّة منّى.

عندما انصرف على دوست ومحمد دوست من عندى (٧٩ب)، ذهبا إلى تنبل وانضما إليه. وقد بدرت من هذا الأب وابنه، اللذين صارا من المقربين لتنبل، الكثير من العداوة والمفاسد. وبعد عام أو اثنين، ظهر خرّاج فى يد على دوست، مات على أثره. ولحق محمد دوست بالأوزبك، ونال لديهم مكانة ليست سيئة. لكنه خانهم كدأبه وهرب، وذهب إلى سفوح جبل "اَنديجان"، وأشعل العداوة والفتنة هناك. وفى النهاية وقع فى يد الأوزبك، فسملوا عينيه. وهناك قول ينطبق تماما على هذا، يقول: "إن التراب ملأ عينيه".

استسلام "على ميرزا" لـ "شَيبانى خان":

بعد أن سمحنا لهذين[٤٦٢] بالذهاب، أرسلنا "قورى بولاس" وبعض الفتيان إلى نواحى "بخارا" ليأتوا لنا بالأخبار. فأبلغونا أن شَيبانى خان استولى على "بخارا"، وأنه فى طريقه إلى "سمرقند". ووجدنا من غير المناسب أن نظل هنا،

---

[٤٦٢] يقصد على دوست وابنه. وهنا يعود للحديث عما جرى بعد أن استرسل فى الحديث عما فعله على دوست.

فتوجهنا إلى "كَش ". وكان فيها أهل معظم أمراء سَـمَرْقَنْد. وبعد أن أقمنا فيها حوالى أسبوع أو اثنين، علمنا أن السلطان "على مـيرزا "، قد سلّم سَـمَرْقَنْد إلى "شَيْبانى خان ". وتفصيل ذلك أن أم السلطان"على ميرزا"، "زهرة بيكى أغا"، أرسلت سرًا بجهل وحماقة منها، رجلا إلى "شَيْبانى خان"، تقول له"إن ابنها سيسلم له سَمَرْقَنْد في حالة زواجه منها"[٤٦٣] (١٨٠أ). وإن "شَيْبانى خان" (بدوره) بعد أن يستَولى على المدينة، يردُّها إلى السلطان "على مـيرزا " مرة أخرى لاتخاذه ولاية أبيه"[٤٦٤]. وكان والد "يوسف أرغـون " على علم بهذا، وربما كان هذا الخائن هو صاحب هذه الفكرة.

*****

---

٤٦٣ جدير بالملاحظة هنا أن هذه السيدة أوزبكية مثل شيباق خان الأوزبكي. انظر بابُر نامه ص ١٢٧أ، ٢٨ب.

٤٦٤ يقول خواندمير أن شيباق خان لما تعذر عليه فتح سمرقند عن طريق القتال ، لجأ إلى المكر والحيلة والخداع، واستغل رغبة زهرة بيكى أم السلطان علي ميرزا في الحصول علي زوج، خاصة وأنها أرسلت سرا إليه تعرض عليه الصلح معـه إذا قبل الزواج منها. انظر،خواندامير، تاريخ حبيب السير ، جلد جهار، ص٢٧٧. يختلف ما ذكره بابُر مع ما ذكـره منجم باشي في تاريخه جامع الدول في هذا الأمر، فيقول منجم باشي ما نصه : "فوصل الخبر إلى شيبك خان فسار إلى سَـمَرْقَنْد ونزل بموضع "كان كل" فأرسل إلى ميرزا سلطان علي سرا يخدعه بأنه إنما أتى لرفع تسلط خواجه يحيى وأتباعه على تلك وتخليصه منه وكذا أرسل إلى والدة سلطان علي يعدها بأن يتزوجها وكانت ازبكية الأصل فمالت إليـه وانخدعـت منـه فحركت ولدها سلطان علي، على الخروج إلى حضور شيبك خان فترصد سلطان علي الفرصة للخروج مـن سَـمَرْقَنْد "انظر، منجم باشي، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٧١ب. ويقول فاميري إن "شَيْبان خان" كتب إلى الأمير الضعيف – يقصد السلطان "علي ميرزا"– ينصحه أن يقر بالولاء لبيت أبي الخير –أي الأسرة الشيبانية– الصاعد بنعمة الله، وهـكذا يؤمن مستقبله بتحالف ودي، وتقدم شيبان من بعد ذلك إلى أم السلطان "علي ميرزا"يطلب يدها إظهارا لمودته وتأكيدا لصداقته فقبلت ذلك منه"انظر، فاميري، تاريخ بخارى، ص٢٠٤.

وقائع سنة ست وتسعمائة[٤٦٥]

مقتل السلطان علي ميرزا :

" بناء على وعد هذه المرأة[٤٦٦] جاء "شَيْباني خان ، ونزل إلى "باغِ ميدان"[٤٦٧] . وفي وقت الظُهر، خرج السلطان "على ميرزا "سِرًا من "باب جار ره "[٤٦٨] وبدون أن يخبر أحدا من الأمراء والفرسان، أو يشاور أحدا في الأمر، واصطحب معه بعض صغار الشأن من المقربين له، وذهب إلى "شَيْباني خان " في "باغِ ميدان " . ولم يُحسن "شَيْباني خان " استقباله. وبعد أن تقابلا، أجلسه "شَيْباني خان " إلى جواره في مكان دونه. ولمّا سمع "خوجه يحيى " بخروج الميرزا شعر بالقلق ، ولما ضاقت به السبل، خرج بدوره (إلى شَيْباني خان)، وقد استقبله " شَيْباني خان" بدون أن ينهض من مكانه. فقال بعض الكلمات من باب الشكوى. وعندما نهض الخوجه من مكانه (استعدادا للانصراف)، نهض الخان أيضا من مكانه تحية وتعظيما له. وكان جان على، ابن الخوجه على بك موجودا في "رباط خوجه". فلما علم بأمر خروج الميرزا، جاء هو أيضا لمقابلة "شَيْباني خان " . كانت هذه المرأة المشؤومة السبب في هلاك ابنها وموطنها ، بضيق أفقها ،

---

[٤٦٥] يقابل عامي ١٥٠٠- ١٥٠١م.

[٤٦٦] يقصد أم السلطان "علي ميرزا".

[٤٦٧] باغِ ميدان، بمعنى حديقة الميدان.

[٤٦٨] باب جار ره، بمعنى باب الطرق الأربعة وهي مخففة من جهار ره.

ورغبتها في الحصول على زوج. (٨٠ب) ولم يُعِرْها "شيباني خان" ذرَّة اهتمام، ولم يعدها حتى من سراريه. وصار السلطان "على ميرزا" نادما على ما أقدم عليه من عمل، وخجلا لخروجه (من سمرقند وذهابه إلى شيباني خان).

وأدرك بعض المقربين للسلطان "على ميرزا" الموقف، وأرادوا أن يأخذوه ويفروا به. لكن السلطان على ميرزا أبى أن يفعل هذا، ولم يستطع أن ينجُ بنفسه. فقد كانوا يقيمون مع "تيمور سلطان"[٤٦٩]. وقد قتلوا (على ميرزا) بعد أربعة أو خمسة أيام في وادي "قُلبه"[٤٧٠]. وفارق الدنيا مذموما في سبيل هذه الحياة الدنيا الفانية ذات الأيام الخمسة، وانخدع بكلمات (تلك) المرأة، وأخرج نفسه من زُمرة الكِرام. وليس من الصواب الإسهاب في كتابة المزيد من وقائع رجل كهذا، وسماع المزيد من مثل هذه التصرفات الوضيعة.

بعد مقتل السلطان "على ميرزا"، أرسلوا "جان على" بدوره، إلى أميره. لم يكن "شيباني خان" يثق في "خوجه يحيى"، لهذا سمح له بالذهاب مع ابنيه "خوجه محمد زكريا"، و "خوجه باقى" إلى ناحية "خُراسان". وأرسل في أعقابهم، عددا من الأوزبك، قتلوا "خوجه يحيى" وابنيه بجوار "خوجه كاروزن"[٤٧١]. وقد أنكر "شيباني خان" أن له صلة بمقتلهم (٨١أ)، والأسوأ من

---

[٤٦٩] تيمور سلطان، هو ابن "شيبان خان".

[٤٧٠] يقول فامبرى نقلا عن شيبان نامه، أن السلطان "علي ميرزا" غرق في حادث حين كان يركب عند شواطئ نهر زرفشان ولم يُقتل كما يذكر بابر. انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص٣٠٥/١.

[٤٧١] حول مقتل خوجه يحي يذكر فامبرى أنه خرج هاربا من سمرقند، وعمد إلى العسكر فأزال خيمه، وبرغم هذا انكشف أمره وقبض عليه رجال "شيبان خان"، وحين سأله "شيبان خان" عن سبب إقدامه على هذه الفعلة المشينة، فحاول الخوجه أن يستعطفه بمدحه ببيت من الشعر لكن "شيبان خان" لم يتأثر بهذا المديح، وأمر به فقتل. انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص ٣٠٨.

هذا أنه اتهم "قنبَر على "و "كوبك بـك " بقتلهم. والمثل يقول : "عُذرُه أقبح من ذنبه"[٤٧٢] . فإذا بدأ الأمراء فى القيام بمثل هذه الأعمال من تلقاء أنفسهم، وبدون علم الأمراء والخانات والسلاطين، فأى اعتبار (إذن) يبقى للخانية والسلطنة.

تخلى أمراء " سمرقند " عن بــابُر :

عقب استيلاء الأوزبك على "سَمَرْقَنْد "، توجهنا من "كَش " إلى "حصــار" مباشرة. وتوجه معنا أمراء سَــمَرْقَنْد، وأهلهم وعشيرتهم، وعلى رأسهم "محـمد مزيد تَرخان ". وعندما هبطنا وادى "جلتو " من جغانيــان، انفصل عنا أمراء سَمَرْقَنْد الذين تحت قيادة "محمد مزيد تَرخان "، وذهبوا إلى "خُســرو شــاه " ودخلوا فى خدمته. ولما كنا محرومين من المدينة والولاية، وليس لنا مُستَقَر ولا وجهة واضحة. كنا مرغمين على المرور من داخل ولاية "خُسرو شاه " رغم ما اقترفه من مظالم ضد عائلتنا (التيموريــة). فجال بخاطرى المرور من "قــير تكيــن "، والذهاب إلى خالى الخان الصغير "ألجه خان"[٤٧٣] . لكننالم نتمكن من هذا.

تفرق رجال بابُر من حولــه :

قررنا اجتياز تل "سره تاق " سيرا من "كمــرود " إلى أعلى. فلما وصلنا إلى جوار "تَوَنْداك "، جاء رسول "خُسرو شاه " وأحضر معه تسعة جياد وتسع قطع من القماش[٤٧٤] . فلما نزلنا مضيق "كمــرود"، هرب "شــيرعلى جــهره "،

---

[٤٧٢] المثل بالفارسية ونصه : عذرش بتر از كناه.

[٤٧٣] ألجه خان، يقصد السلطان أحمد خان.

[٤٧٤] نلاحظ أن رقم تسعة عظيم القدر عند الأتراك والمغول، فالهدايا أعظمها بالعدد تسع، والطرغات الدالة علــى المكانــة

(٨١ب) وذهب إلى "ولى " شقيق "خسرو شاه". وفى اليوم التالى، انفصل (عنا) "قوج بك "، وذهب "حصار". ومن وادى "كمرود" اتجهنا إلى أعلى، وتركنا الكثير من الخيل والإبل فى الطرق الضيقة الشاهقة الارتفاع، والممرات الوعرة. وبعد ثلاثة أو أربعة أيام، وصلنا إلى ممر "سيره تاق"[٤٧٥]. إنه ممر، لكن ياله من ممر. فلم يُر ممر مرتفع وضيق بهذا الشكل فى أى مكان قط. كما لم نَمُرّ أبدا فى مثل هذه الطرق الضيقة الهاوية. وصلنا إلى جوار "فان" بعد أن عبرنا المضيق والطرق عالية الارتفاع المحفوفة بالخطر بمعاناة ومشقة، واجتزنا هذه الممرات الضيقة العالية الخطرة، بألف معاناة ومشقة.

بين جبال "فان"، بحيرة كبيرة وجميلة، يبلغ محيطها تخمينا، حوالى "شرعى"واحد ولا تخلُ من غرابة.

تبعا لما تلقيناه من أخبار، (علمنا) أن "ابراهيم ترخان" قام بتحصين قلعة " شيراز "كما قام " قنبر على " بتحصين قلاع " يار ييلاق ". وأن " ابو القاسم كهبر " فى " خوجه ديدار ". وأنه لم يستطع البقاء فيها بعد استيلاء الأوزبك على " سمرقند "، فذهب إلى يار ييلاق، وقام بتحصين القلاع الموجودة أسفل منها. (بناء على هذا) توجهنا إلى " كشتود "، جاعلين " فان " عن يميننا.

أرقاما تسعة طوغات، وعدد مرات الانحناء للتعظيم هو الانحناء تسع مرات كما سنلاحظ فى هذا الكتاب.

[٤٧٥] هكذا جاءت فى النص الجغتائى وفى الترجمة التركية ص٨٥، وجاءت فى الترجمة الإنجليزية "وقبل أن نبلغ ممر "سيره طاق" اضطررنا (فى مسافة خمسة وعشرين ميلا) أن نبيت ثلاث أو أربع ليال" ص ١٢٩. وذلك لحرص الترجمة الإنجليزية على ترجمة المفهوم دون التقيد بحرفية النص.

شكوى بابُر من جفاء أهل الكـرم معـه :

وكان خان "قـــان " مشهورا ومعروفا بأصالته وكرمه، وإنسانيته في تقديم العون (١٨٢أ) . فعندما هاجم السلطان حسين مـيرزا " حصـار "، سَلَك "السلطان مسـعود مـيرزا " هذا الطريق نفسه أثناء ذهابه إلى أخيه الصغير "بايسنْغُر ميرزا " في "سـمَرقَنْد"، وأهدى إليه حاكم "قـان" ستين أو سبعين حصانا، وقدم إليه خدمات أخرى مشابهة. أما أنا فقد أرسل إليّ حصانا واحدا سيئا، ولم يأت بنفسه. فما بال المشهورين بالكرم يتعاملون معنا بخسَّة، والمعروفون بِسموّ مكانتهم، ينسون هذا معنا . كذلك "خُسـرو شـاه "كان مشهورا ومعروفا بكرمه وأصالته. وقد ذكرنا المساعدات التي قدمها إلى "بديع الزمان مـيرزا " . وبعد ذلك أظهر جودا وكرما بالغين تجاه باقي ترخان والأمراء الآخرين. (أما نحن) فقد عبرنا من ولايته مرتين، لم يتذكر فيهما أنه من نفس جنسنا، ولم يظهر لنا من السخاء، ما أظهره إلى أقل رجالنا . بل أنه لم يظهر من الاحترام، ما أظهره إلى رجالنا .

أيها القلب، يامن تأمل الخير من أهل الدنيا

لا تنتظر الخير ممن لا يكون خيّرا من تلقاء نفسه.

في الطريق إلى سـمرقند :

أثناء مرورنا من "قان "، هجمنا على "كشـتود "، ونحن نفكر في احتمال أن يكون في قلعتها رجُل للأوزبك. لكننا وجدنا القلعة مخربة وخاوية على عروشها. فجاوزنا المكان (١٨٢ب)، ووصلنا إلى ساحل ماء "كُهك "، فعبرنا جسر

ذلك الماء من أمام "يارى "، وأرسلنا الأمراء الذين تحت قيادة "قاسم بك"، للهجوم على قلعة "رباط خوجه" والاستيلاء عليها، ثم غادرنا "يارى" وعبرنا جبل "شنقارخانه"[٤٧٦] ووصلنا "يار ييلاق". أما الأمراء الذين ذهبوا إلى رباط خوجه، فقد شعر بهم أهل القلعة وهم يضعون السلم على جدارها، فانسحبوا بسرعة، ورجعوا بدون أن يتمكنوا من أخذها.

كان "قنبر على" في "سنكزار"، فجاء إلينا وتقابلنا. كما أرسل "ابو القاسم كهبر" و "ابراهيم ترخان" خيرة رجالهما لينضموا إلينا، وأظهروا لنا مظاهرالصداقة والتبعية.

وصلنا إلى قلعة "اسفيدك" من قرى "يار ييلاق". وكان "شيبانى خان" آنذاك، يقيم بجوار "خوجه ديدار"، وقد جمع ثلاثة أو أربعة آلاف من الأوزبك، وعدد كبير من الفرسان المحليين. كان (شيبانى خان) قد أعطى إدارة سمرقند إلى "جان وفا ميرزا" فكان موجودا داخل قلعتها مع خمسمائة أوستمائة رجل. بينما استقر حمزة سلطان و "مهدى سلطان" مع رجالهما بالقرب من سمرقند عند دغل بودانه. وكان عدد رجالنا بخيرهم وشرهم مائتين أربعين رجلا. (١٨٣أ) فتشاورت مع كل الأمراء وقررنا الآتى : "إنه لم يمض وقت طويل على استيلاء "شيبانى خان" على سمرقند، ولم تتعلق قلوب أهلها به إلى الآن، كما أنه لم يتعلق بهم. وإذا كنا نرغب فى القيام بشيىء، فيمكننا أن نقوم به الآن. فإذا وضعنا السلالم، وهجمنا على القلعة واستولينا عليها، فإن أهلها سيكونون إلى

---

[٤٧٦] شنقارخانه، جبل يقع بين يارى ويارييلاق. (الحق بيت المقور).

جانبنا. وماذا يمكننا أن نفعل غير هذا؟، حتى وإن لم يساعدونا، فليس هناك احتمال لأن يقاتلونا من أجل الأوزبك. وبعد أن نتمكن من الاستيلاء على سَمَرْقَنْد، لن يكون إلا ما قدره الله ".

إسترداد بابُر لسمرقند :

إتخذنا قرارنا بهذا، وتحركنا من "يار ييلاق" بعد صلاة الظهر، ومشينا الليل بطوله، فوصلنا "خان يوردو" في منتصف الليل. وفي تلك الليلة، انسحبنا إلى "خان يوردو" مباشرة، بدون أن نقترب من القلعة خشية أن يكون الأهالي قد علموا (بأمرنا). ومع طلوع الفجر عبرنا ماء "كُهك"، أسفل قليلا من "رباط خوجه"، ورجعنا مرة أخرى إلى "يار ييلاق".

وذات يوم كنا نجلس في قلعة "أسفيدك" مع بعض الخواص أمثال "دوست ناصر" و "نويان[٤٧٧] كوكلداش" و "خان قولي" و "كريم داد" و "شيخ درويش" و "خُسرو كوكلداش" و "ميرِم ناصر". وكنّا نتكلم في أمور شتى. فقلت: (٨٣ب)

" تُرى، إذا شاء الله، متى نأخذ سَمَرْقَنْد؟ "قال بعضهم: "نأخذها في الربيع القادم"، وكان الوقت آنذاك خريفا. وقال البعض الآخر: (بعد) شهر، وقال فريق ثالث: (بعد) أربعين يوما، وفريق رابع قال: (بعد) عشرين يوما، وقال "نويان كوكلداش": " نأخذها في أربعة عشر يوما ". وشاء الله فأخذنا سَمَرْقَنْد

---

[٤٧٧] نويان، في تركستان كان الاصطلاح المغولي "نويان" بمعنى أمير أو بمعنى الكلمة التركية "بك" يطلق حتى زمان تيمور على أفراد الأرستقراطية العسكرية. و. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، ص٢٠١.

فى أربعة عشر يوما بالتمام.

بُشرى فتح " سـمرقند ":

رأيت فى ذلك الوقت رؤيا غريبة. رأيت (فى منامى) مولانا الشيخ عُبَيْد الله وقد جاء[٤٧٨] وخرجتُ لاستقباله. جاء الشيخ وجلس وبسطوا غطاء المائدة أمامه بغير عناية. فضاق الشيخ بهذا. إلا أن "مُلاّ بابا "[٤٧٩] نظر ناحيتى وهو يشير (إشارة لما معناها) فأومأت إليه بأننى لستُ السبب (فى هذا) وإنما التقصير ممن وضع الغطاء. وفهم الشيخ (ما أعنيه)، وقَبِل عُذرى هذا. ثم وقف على قدميه، وخرجت لأشيّعه. وفى فناء ذلك البيت، أمسكنى الشـيخ من ذراعى الأيمن أو الأيسر، ورفعنى إلى أعلى، فارتفعت إحدى قدماى عن الأرض. فقال الذين حول المائدة: "لقد قضى الشـيخ المصلحة". وأخذتُ "سَـمَرْقَنْد" خلال تلك الأيام المعدودة.

دخول بابُر سمرقند للمرة الثانيـة :

بعد يوم أو يومين جئنا من قلعة "أسفيدك " إلى قلعة "وِسـمَنْد ". وذات مرة اقتربنا من "سَمَرْقَنْد "، فلما شعروا[٤٨٠] بنا، انسحبنا، ثم (١٨٤أ) توكلنا على الله مرة أخرى وخرجنا من " وِسمَنْد " بذات النية ، هجمنا بسرعة على " سَـمَرْقَنْد " عقب صلاة الظهر وكان معنا الخوجه عبد الكريم. وفى منتصف الليل وصلنا إلى

[٤٧٨] نلاحظ هنا أنه يتكلم عن الشيخ عبيد الله بصيغة الجمع دلالة على الاحترام.

[٤٧٩] مُلاّ بابا، هو مُلاّ بابا البشاغرى، أحد القواد عند بابُر شاه، الترجمة التركية، الملاحق ص٥١٩.

[٤٨٠] يقصد الأوزبك.

جسر "ماغاق" من ناحية الطريق الرئيسى. وأرسلنا أمامنا سبعين أو ثمانين من الفتيان الشجعان ليصعدوا بالسلالم إلى أعلى (القلعة) من أمام "غارِعاشقان ". وتوجهوا إلى "باب فيروزة "، فيستولون على الباب ثم يرسلون رجلا إلينا .

ذهب هؤلاء الفتية وصعدوا بالسلالم إلى أعلى (القلعة) من أمام "غارِعاشقان" دون أن يُشعِرَ بهم أحد . وجاءوا إلى باب "فيروزه "، وهجموا على "فاضل ترخان" . ولم يكن فاضل ترخان من أمراء الترخانيين، إنما كان من تجار تُركستان الترخانيين. وقد التحق بخدمة "شَيْبانى خان " فى تُركستان، وصار مرموقا عنده.

قتل الفتية فاضل ترخان، وعدداً من رجاله، وكسروا مزلاج الباب بالبلطة، وفتحو باب القلعة. فى تلك الأثناء وصلتُ (إلى باب سمرقند) ، ودخلتُ على الفور من "باب فيروزه". أما "ابو القاسم كُهبَر "، فلم يأت بنفسه، وإنما أرسل أخاه الأصغر أحمد قاسم وبرفقته ثلاثين أو أربعين رجلا.

إعتلاء بابُر عرشِ سمرقند للمرة الثانية :

لم يكن فى القلعة أحد من رجال "ابراهيم تَرْخان "، فدخلتُ المدينة وعندما جلستُ فى الخانقاه، جاء أخ "ابراهيم تَرْخان " الأصغرمنه واسمه "أحمد ترخان"مع عدد من رجاله (٨٤ب)، وكان أهل المدينة مازالوا نائمين. كان أصحاب الحوانيت، ينظرون من حوانيتهم، فيعرفوننى، فتلهج ألسنتهم بالدعاء لى. وبعد فترة قصيرة، علم أهل المدينة بأمر قدومى، وغمر رجالى وأيضا أهل "سَمَرْقَند " سعادة

غريبة. فكانوا يقتلون **الأوزبك**، فيقذفونهم بالحجارة فى الشوارع، ويلهبونهم بالسياط مثل الكلاب المسعورة. وقتلوا بهذه الطريقة حوالى أربعمائة أو خمسمائة أوزبكى. وكان "**جان وفا**"[٨١] والى المدينة موجودا فى أحد منازل "**خوجه يحيى**"، فولى هاربا وذهب إلى "**شَيْبَاق خان**".

دخلت من باب القلعة، واتجهت ناحية المدرسة والخانقاه مباشرة، وجلست فوق قوس الخانقاه. واستمرت المشاحنات والصياح فى كل مكان حتى الصباح. وجاء بعض الباعة وأصحاب الحوانيت سعداء فرحين لمجيئى، وأحضروا معهم كل ما فى وسعهم، ولهجت ألسنتهم بالدعاء.

وفى الصباح جاء الخبر بأن **الأوزبك** فى باب "**آهنين**"، حصّنوا ما بين البابين وأن القتال دائر هناك. فركبت الجواد على الفور، وتوجهت مباشرة إلى هناك. كان معى ما يتراوح بين خمسة أو خمسة عشر أو عشرين رجلا، والمدينة آلت إلينا توا، وكل واحد من العوام مشغول فى ناحية بالبحث (عن **الأوزبك**). (٨٥أ) وإلى أن وصلت باب "**آهنين**"، كانوا قد أخرجوا **الأوزبك** من الباب. علم "**شَيْبَاق خان**" بهذا الأمر، فجاء إلى باب "**آهنين**" وهو فى غاية الاضطراب ومعه ما بين مائة أو مائتى رجل وأدركهم مع شروق الشمس، واقترب من الباب يتقصى الأمر. وكما ذكرت سلفا كان معى عدد قليل جدا من الرجال. وعندما تبين "**شَيْبَاق خان**" أنه لن يتمكن من إنجاز شىء، لم يستطع البقاء، وانسحب فى الحال.

رجعت من عند باب "**آهنين**"، ونزلت فى "**بستان سراى**" داخل القلعة

---

[٨١] جان وفا، رجل شيباق خان فى "سمرقند".

(الداخلية). وجاء الأكابر والأشراف و كبار المدينة، وقابلوني وقدموا لي التهنئة.

المقارنة بين بابُر والسلطان حسين بايقرا :

كان مُلك "سَمَرْقَنْد" في (حوزة) عائلتنا لما يقرب من مائة وأربعين سنة. فجاء أوزبكي غريب وعدو، واستولى عليه. ورد الله إلينا مُلكنا المُغْتَصَب. وعادت إلينا مرة أخرى الولايات التي تعرضت للنهب. وقد أخذ السلطان حسين ميرزا "هراة" بهجمة كهذه. لكن في نظر العارفين بالأمور وأمام الفاهمين والمحايدين، يتجلى أن هناك فرق كبير بين ذلك العمل وهذا الفتح (لعدة أسباب)؛ أولا : أن "السلطان حسين ميرزا "كان سلطان كبيرا في السن تمرس بأعمال كثيرة، وخاض تجارب متعددة. ثاني هذه الفروق، أن عدوه ياديكار محمد ناصر ميرزا، كان فتى غريرا في السابعة عشر أو الثامنة عشر من عمره. (٨٥ب) ثالثها، أن مير على ميرآخور، كان موجودا بين العدو وملما بأوضاعه، فأرسل رجالا إلى الميرزا[٤٨٦] وهو في غفلة من أمره يستدعيه على العدو. رابعها، أن العدو لم يكن (متحصنا) في قلعة، إنما كان موجودا في "باغ زاغان"، وعندما استولى "السلطان حسين ميرزا" على المدينة، كان يادركار محمد ميرزا ورجاله غارقين في الشراب حتى أن الحراس الثلاثة الذين كانوا على باب يادركار محمد ميرزا في تلك الليلة، كانوا ثملين. خامسها، أن "السلطان حسين ميرزا" جاء وعدوه غارق في غفلته واستولى على المدينة.

---

[٤٨٦] يقصد السلطان حسين بايقرا سلطان هراة.

أما أنا فقد أخذت سمرقند، وكنت في التاسعة عشر من عمري، قليل المراس والخبرة. في حين أن عدوي "شيباق خان" كان رجلا كثير التجارب متمرسا وناضجا. كما أننا لم نتلق أي مساعدة من سمرقند. والواقع أن أهلها كانوا يميلون إلينا ورغم هذا لم يجرؤ أحد منهم على القيام بمد يد العون لنا خوفا من "شيباق خان". كما أن عدوي كان متحصنا داخل قلعة، فأخذنا القلعة وطردناه منها. وكنا قد جئنا من قبل إلى سمرقند وعلم العدو بأمرنا، وعندما جئنا إليها هذه المرة وهي الثانية، قيض الله لنا أن نستولي عليها. والهدف من قولي هذا، ليس الإساءة إلى الآخرين (١٨٦أ)، إنما شرح الواقع كما ذكرت من قبل، كما أن الهدف من كتابة هذا ليس الإعلاء من شأني، إنما ذكر الحقيقة. وقد رتب الشعراء "تاريخا" في هذا الفتح، مازلت أذكر منه هذا البيت:

ذكر العقل تاريخه من جديد، فاعلم أنه فتح بابر بهادر[٤٨٣]

بعد أخذ "سمرقند"، بدأت القلاع القريبة من مقاطعات شاودار وسغد، في الانضمام إلينا الواحدة تلو الأخرى. وبعض القلاع غادرها ولاتها الأوزبك من (فرط) الخوف. وبعضها قام أهلها بطرد الأوزبك وأعلنوا ولائهم لنا. كما قبض (أهل) بعض القلاع على الولاة فيها وقاموا بإغلاق القلاع. في هذه الأثناء جاء "شيباق خان" والأوزبك التابعون له مع أهاليهم وأفراد عشيرتهم من تركستان.

كان "شيباق خان" بجوار خوجه ديدار وعلى آباد. فلما رأى أن القلاع

---

[٤٨٣] البيت مكتوب بالفارسية.

وهذا التاريخ بحساب الجمل يقابل عام ٩٦٦هـ=١٥٠٠م.

قد آلت إلينا على هذا النحو، وأن الأهالى عادوا إلينا، غادر مكانه وتوجه إلى "بُخارا". وبعون الله انتقلت إلينا معظم قلاع "سُغد" و"ميان كال". خلال ثلاثة أو أربعة شهور.

استغل باقى ترخان الفرصة، فجاء ودخل قلعة قارشى. وخرجت "خزار" و "قارشى" من يد الأوزبك. وجاء رجال أبو المحسن ميرزا من مرو واستولوا على "قرا كول"[٤٨٤]. (٨٦ب) وكانت أعمالنا كلها تسير على خير ما يرام.

مولد أول البنات :

بعد خروجى من "آنديجان" وصلت والدتى وجدتى لأمى وأهلى وأقاربى إلى أوراتبة بشق الأنفس. فأرسلنا إليهم رجلا جاء بهم إلى "سَمَرقَند". وخلال هذه الأيام (المعدودة) وضعت زوجتى عائشة سلطان بيكم بنت السلطان محمد ميرزا، أنثى سميتها "فخرُ النساء" وهى أول من أنجبتُ. وكنتُ آنذاك فى التاسعة عشر من عمرى. لكنها انتقلت إلى رحمة الله بعد مولدها بحوالى أربعين يوما.

بعد فتح "سمرقند":

عقب فتح "سَمَرقَند"، أرسلنا الرُسل، ورجال البريد إلى الخانات والسلاطين والأمراء القائمين على طول الحدود والأطراف والجوار، مرة تلو أخرى بغير انقطاع

---

[٤٨٤] قرا كول، بمعنى البحيرة السوداء وهى بحيرة تقع فى بخارى فى جنوب غرب مدينة بخارى على بعد ٣٠ كم من الساحل الشمالى لنهر جيحون وتتشكل من المياه الفائضة لنهر زرافشان. انظر شمس الدين سامى قاموس الأعلام، ج٥، ص٣٦٤٣.

لطلب العون منهم. وقد تصرف بعضهم رغم خبرتهم ، بغير اكتراث ولم يقبلوا بسهولة ما طلبته منهم. وبعضهم الآخر أظهر نحونا وقاحة وحماقة، وتجاهلوا الأمر خوفا على مكانتهم. وبعضهم أرسل لنا مساعدة ؛ لكنها ليست عونا . وسأذكر كل واحد منهم عندما يحين دوره.

مساجلات بابر الأدبيـــة :

عندما أخذت "سَمَرْقَنْد " في المرة الثانية، كان "علـــى شـــير بـــك " مازال على قيد الحياة. (١٨٧) وقد وصلتني ذات مرة. رسالة منه، وأرسلتُ له بدوري رسالة كتبت على ظهرها بيتا باللغة التركية. وإلى أن جاء الردّ، نشبت خلافات ومنازعات. ذلك أنه عندما استولى "شَيْبَاق خان " على سَمَرْقَنْد، انضم إليه "المُلاّ بنائي "، فجعله (شَيْبَاق خان) ملازما له بصفة دائمة. فلما فتحنا (سَمَرْقَنْد) جاء إلينا (المُلاّ بنائي) بعد الفتح ببضعة أيام. فارتاب "قاسم بك "في أمره، وسمح له بالذهاب إلى "شهر سبز ". ولأنه كان رجلا فاضلا ولم يظهر منه ما يدينه، فقد أتينا به مرة ثانية إلى سَمَرْقَنْد. وكان (المُلاّ بنائي) يكتب دائما الغزل والقصيدة. وقد أتحفني بغزل له لحنه من (مقام) النوا[٤٨٥]، وقال في ذلك الوقت أيضا رباعيا (قال فيه) :

لا أملك ما أربيه لآكل منه،

ولا ما أنسجه لأرتديه

---

[٤٨٥] النوا، اسم واحد من المقامات الموسيقية. انظر، الموسوعة العربية الميسرة، ط٢، ١٩٧٢، ص ١٨٥٠/٢.

ومن لا يملك ما يأكله وما يلبسه،

كيف يسعى فى طلب العلم والمعرفة[٤٨٦]

وكنت أيضا فى تلك الفترة قد أردد بيتا أو بيتين من الشعر، لكنى لم أكتب غزلا كاملا. لكنى قلت ذات مرة (هذا) الرباعى باللغة التركية[٤٨٧]:

إنما أعمالك تبعا لنيتك

وسيأتيك معاشك والفضل

لقد أعطيتك سؤلك من المأكل والملبس،

وسيكتسى جسمك بالرداء ويمتلئ بيتك بالغلال

وقال المُلاّ بنائى رباعيا آخر، بقافية أخرى متخذا من قافية المصراع الأخيرلهذا الرباعى رديفا (٨٧ب) (فقال) :

سيكون أميرى سلطان البر والبحر ؛

ويتميز بين الأنام بفضله

فإذا كان كل هذا الإحسان من أجل مُهمَل ؛

فما الأمر إن قلت إنه مُستعمَل[٤٨٨]

فى تلك الأثناء جاء الخوجه أبو البركة فراقــى من "شــهر سـبز" إلى

---

[٤٨٦] البيتان مكتوبان باللغة الفارسية.

[٤٨٧] كانت اللغة الفارسية هي لغة الأدب في بلاط سلاطين وأمراء التيموريين في ذلك الوقت. وقد أراد بابُر أن يحذو حذو شاعر الجغتائية الكبير مير علي شير نوائي، وكان معاصرا له فنظم بابُر بعض الأشعار باللغة التركية وكذلك كتب وقائعه هذه بلغات اللغة وذلك لكي يعضد دعوة نوائي في تقوية مكانة اللغة التركية كلغة أدبية إلى جانب اللغة الفارسية. انظر، علي أكبر شهابي، روابط أدبي ايران وهند، اسفند ماه، ص ٢٧، ٣٠، ٣١. وأيضا،
Kemal Erslan, I.A.T.D.V.c.8, çağatay Edebiyatı,s.168 .

[٤٨٨] أغفلت الترجمة الفارسية ذكر هذا الرباعي، انظر الترجمة الفارسية، ص٥٥.

"سمَرْقَنْد "، وقال : "كان الأولى به أن ينظم الرباعى على نفس تلك القافية وذلك الرديف " ونظم هذا الرباعى :

سيُسأل الدهر عمن ظلمه،

وسيأمر السلطان رفيع المكان بالصفح عن ذنبه

أيها الساقى إذا لم يملئ الكأس بكل ما سكبت،

فسيملأه هذا الدهر الذى لا ينسكب"[489] .

ضياع قراكول وقلعة دبوســـى :

هذا الشتاء (من عام ٩٠٦ هـ) كانت أمورنا فى تقدم جيد، بينما كان أمر شَيْبَاق فى انحسار. أثناء هذا وقع حادث أو اثنان أفسدا عملنا بعض الشىء. أولاها : أن أولئك القادمين من "مــرو" الذين أخذوا "قراكــول " عجزوا عن المقاومة، وبذلك انتقلت "قراكول " مرة أخرى إلى الأوزبــك . أما الحادث الآخر فكان أخذ "شَيْبَاق خان " قلعة دبوسى بالقوة وإعماله السيف فى كل أهلها أثناء وجود أحمد ترخان الأخ الصغير لـ "ابراهيم تَرْخــــان " فيها. وحدث كل ذلك بعدما كنا قد جمعنا العسكر وأعددنا العُدة.

عندما فتحتُ "ســمَرْقَنْد "، كان معى مائتين وأربعين رجلا مــن المجربين. (٨٨أ) وتزايد عددهم خلال خمسة أو ستة أشهر بعون الله لدرجة أننا خضنا حربا فى "سربل" ضد رجل قوى مثل "شَيْبَاق خان "، سيأتى ذكرها فيما بعد.

---

[489] أغفلت الترجمة الفارسية ذكر هذه الرباعى، انظر الترجمة الفارسية ص٥٥.

جاء رجال من عند **الخان**، وأيوب **بيكجك**، و**قاشقه مجمــود**، وجاء من **البارنيين** حوالى أربعمائة أو خمسمائة رجل، وقد جاءوا (كلهم) لمد يد العون. كما جاء من عند **جهانكير مــيرزا** ، **خليــل** الأخ الصغر لتنبل ، ومعه مائة أو مائتى رجل، لمساعدتى. لكن لم يأت أحد قط من عند "**السلطان حسين مــيرزا** "، مع إنه سلطان عاقل ومَجرّب وخير من يعرف أفعال وأطوار "**شَيْبَاق خــان** ". كذلك لم يأتِ أحد قط من عند "**بديع الزمان ميرزا** "، أما "**خُسرو شاه** فلم يُرسل أحدا، من شدة خوفه. والسبب في ذلك أنه ظهرت منه مساوئ كثيرة تجاه أسرتنا كما ذكرت من قبل، لذلك كان شديد الخوف منا .

محاربة " شَيْباق خان " فى ســــربُل :

وفي شهر شوال، تحركنا بقصد محاربة "**شَيْبَاق خان** ". فخرجتُ إلى "**بـلغ نو** ". وأقمت فيها خمسة أو ستة أيام لجمع الجُند والاستعداد. ثم تحركنا من هناك. وبعد أن استرحنا فى عدة منازل، عبرنا من "**ســـربُل** "، وأقمنا معسكر الجيش. أحطنا أطراف المعسكر بالخنادق و الحُفرِ من كل جانب بصورة مُحكمَة. (٨٨ب) وجاء "**شَيْبَاق خان** " من هناك، ونزل بجوار "**خوجة كـاروزن** "[٤٩٠]. وكان بيننا حوالى فرسخ واحد تقريبا . أقمنا فى مكاننا هذا حوالى أربعة أو خمسة أيام. كان رجالنا ورجال عدونا يأتون يوميا من هنا وهناك ويتراشقون بالسهام . وذات يوم جاء رجُل العدو بحشد كبير نسبيا ، ودارت بيننا الحرب بشدة. لكن لم يظفر فيها

---

[٤٩٠] خوجة كاروزن، جاءت فى الترجمة الفارسية "كازرون"، انظر الترجمة الفارسية ص٥٥.

أحد الجانبين بشيء أكثر من الطرف الآخر. وعاد حوالى الفوْج من رجالنا بسرعة ودخلوا الخندق، وردد بعضهم أن هؤلاء هم فوْج سَيْدى قرة بك. والواقع أن سَيْدى قرة بك كان رجلا عند كلمته لكن سيفه كان ضعيفا بعض الشيء.

وفى تلك الأيام قام "شَيْبَاق خـان" بغارة ليلية (علينا)، وكانت المنطقة المحيطة بالجند محكمة ومحصنة بمانع الأشجار والخندق. فجاء "شَيْبَاق خان" ولم يستطع أن يفعل شيئًا قط ؛ سوى أنهم صاحوا من خارج الخندق وأطلقوا بضع سهام ثم انسحبوا.

كنت أريد التعجيل بالحرب، وكان "قَنْبَر على" متحمسا أيضا. كان بـاقى ترخان قد نزل إلى "كَش" ومعه حوالى ألف أو ألفين من الرجال المسلحين، وكان سينضم إلينا ليوم أو يومين. كذلك جاء سيد محمد ميرزا دوغلات للمساعدة من عند خالى الخان ونزل إلى "ديول" ومعه ألف أو ألف وخمسمائة رجل (١٨٩) وكان موجودا على مسافة أربعة فراسخ وسينضم إلينا عند الصباح. فلما كان الوضع على هذا النحو، عَجَّلنا بالقتال وتحاربنا :

" إن من يتهوّر ويبادر بإعمال سيفه، يتجرّع الندم جزاء فعله "[٤٩١]

وكان سبب حماستى (للقتال) أن فى يوم الحرب كان نجم الزُهرة فى الوسط. فإذا انقضى ذلك اليوم سيصبح نجم الزُهرة خلف العدو لمدة ثلاثة عشر أو أربعة عشر يوما. لكن هذه الملاحظات كانت عجلة فى غير مكانها ولا لزوم لها.

---

[٤٩١] البيت مكتوب باللغة الفارسية، وهو لسعدى الشيرازى

هزيمة بابُر أمام شيْباق خـــان :

ذات الصباح تسلحنا للقتال وألبسنا الجياد الدروع، ونظمنا صفوف الميمنة والميسرة والقلب، وصفوفَ المقدمة وتحركنا (وكان تنظيمنا على النحو التالى):

فى الميمنة ؛ ابراهيم سارو، وابراهيم جانى، وابو القاسم كُـهبَر، وبعض الأمراء الآخرين. وفى الميسرة ؛ محمد مزيد تَرخان، وابراهيم ترْخان، ومن أمراء "سَمَرْقَنْد" سلطان حسن أرغون، وقره بارلاس بيرأحمد، وخواجة حسين. وفى القلب ؛ "قاسم بك" وبعض الخواص المقربين، وفى المقدمة ؛ قُنبُرعلى السلاّخ، وبنده على، وخواجة على، وميرشاه قوجين، وسَيدى قاسم أشيك أغـا، وحالدار الأخ الأصغر لبنده على، وحيدربن قوج قاسم بك. وجعلنا بقية الفتّيان الشجعان والخواص فى جناح المقدمة. وتحركنا فى هيئة صفوف، وخرج لنا العدو من تلك الناحية فى صفوف أيضا ،(٨٩ب) وكانت ميمنته تضم محمـود سـلطان وجانى بك سلطان وتيمور سلطان، وفى الميسرة "حمزة سـلطان" و "مـهدى سلطان" وبعض السلاطين الآخرين.

ولما تقاربت الصفوف سارت مقدمة ميمنة جيش العدو لتلتف من ورائنا، فاستدرتُ ناحيتهم. فصارت مقدمة جيشنا التى تضم فتياننا الشجعان وكلهم من أصحاب الخبرة ممن يجيدون استخدام السيف، عن يميننا، وبذلك انكشفت الصفوف أمامنا. ورغم هذا أخذنا نضغط على المركز بضرب الرجال الذين تقدموا منهم ودفعهم إلى الرجوع. وبلغ الأمر حداً أن بعض الكبار من رجال شَيْبَاق، وكبار السن منهم قالوا له : " لابد من السير فقد مضى وقت الوقوف ". لكنه رغم هذا ظل فى

مكانه. وهزمت ميمنة العدو ميسرتنا. والتفت من خلفنا وعندما أصبح جناح المقدمة أيضا عن يميننا أصبحت مقدمتنا مكشوفة. وبدأ العدو فى الضغط من الأمام والخلف وإطلاق السهام علينا. ولم يكن لجنود المغول الذين جاءوا لمساعدتنا، أى قدرة على القتال بل تركوا الحرب وبدأوا فى نهب جنودنا وإسقاطهم من فوق الجياد. ولم يحدث هذا هذه المرة فقط، إنما هو دأب هؤلاء المغول المشؤومين. (١٩٠) فإذا انتصر الجيش أخذوا الغنيمة، وإذا انهزم هذا الجيش نهبوا رجاله ليحصلوا على الغنيمة. ورغم أن أعداءنا هاجمونا بشدة عدة مرات، فقد تصدّينا لهم فى كل مرة. وضغطوا علينا من الأمام، كما جاء الذين التفوا من ورائنا ليبدأوا فى إطلاق السهام على الفوج، وشددوا الضغط من الأمام ومن الخلف، حتى زلزلوا رجالنا بعض الشيء.

كانت حركة الالتفاف هذه مهارة كبيرة يمتاز بها الأوزبك فى معاركهم. فلا تكون الحرب عندهم أبدا بغير التفاف. ومن خطط الحرب أيضا عندهم أن يطلق كل الأمراء والجنود الذين فى المقدمة والمؤخرة السهام دفعة واحدة، ثم يرجعوا مدبرين بسرعة، ثم يعودوا فينقضوا مرة أخرى دفعة واحدة.

إنصراف رجال بابُر من حوله :

بقى معى عشر أو خمسة عشر رجلا. وكان نهر "كُهك" قريبا. وصلت طليعة الميمنة إلى النهر وتقدمنا نحن أيضا فى اتجاهه. وكان الوقت أوان انحسار ماء "كُهك". فلما وصلنا إلى النهر، خضنا فيه بدروعنا. واجتزنا ه سيرا إلى أكثر من

منتصفه. وكان الجزء المتبقى (من النهر) عميقا. فعبرنا ونحن نسوق الجياد المدرعة لمسافة رمية سهم. فلما عبرنا الماء نزعنا عنها دروعها. وعندما عبرنا إلى الطرف الشمالى من الماء، ونجونا من تعقب العدو لنا. (٩٠ب) لكننا وجدنا هذا المغول المشئومين؛ هؤلاء الذين أسقطوا رجالنا المشتتين ونهبوهم. كان هؤلاء المغول هم الذين أغاروا على "ابراهيم ترخان" ومجموعة محاربين آخرين، وأسقطوهم من على جيادهم وقتلوهم. جئنا من الطرف الشمالى من نهر "كُـهك" وعبرنا من جوار "قلبه". دخلناها من "باب شهزاده"[٤٩٢] بين الصلاتين وتوجهت إلى القلعة (الداخلية).

مات فى هذه المعركة أمراء كبار وفتيان شجعان ورجال كثيرون. والغريب فى الأمر أنه قُتل فى هذه الحرب ثلاثة من الأمراء الكبار اسم كل منهم إبراهيم، هم: "ابراهيم ترخان" و "ابراهيم سارو" و "ابراهيم جانى". كما قُتل فيها أيضا ابو القاسم كهبر، وخداى بردى توغچى، وهو الابن الأكبر لـ "قاسم بك"، وخليل الأخ الأصغر للسلطان أحمد تنبل المار ذكره. وهرب أيضا فريق من الرجال فى شتى الاتجاهات ومن بين هؤلاء (الهاربين) "محمد مزيد ترخان"، الذى ذهب إلى "خسرو شاه" فى ناحية "حِصار" و"قوندوز". و"قنبر على". السلاخ المغولى وهو من أمرائنا الذين حظوا برعايتنا بشكل زائد. والذى نال منا رعاية كبيرة، إلا أنه لم يُخلص لنا فى وقت كهذا، فقد أخذ أهله من "سمرقند"، وذهب بهم إلى "خسرو شاه" (٩١أ) كما ذهب إلى اوراتيبه بعض الخواص والفتية مثل

---

[٤٩٢] باب شهزاده، يعنى باب الأمير.

كريمداد خداى دار التركمانى، وجانكه كوكلداش، ومولى بابا بشاغرى . وفى ذلك الوقت لم يكن "مُلاَّ بابا " فى خدمتنا، إنما كان ضيفا علينا . كما أن بعضهم دخل سَمَرْقَنْد معنا ، ومن بين هؤلاء شيريم طغايى ورجاله.

قرار بابُر الدفاع عن ســـمرقند :

تشاورنا فى الأمر، ورأينا أن نختار إما الحياة أو الموت داخل قلعة "سَمَرْقَنْد" . وقررنا تحصين القلعة. ومع أن أمى وأخواتى الصغيرات كن بداخلها، فقد أخرج شيريم طغايى أهله ورجاله من المدينة وأرسلهم إلى اوزاتيبه، وبقى فى القلعة مع عدد (محدود) من رجاله. وليست هذه المرة فقط ، إنما دائما تصدر منه مثل هذه الخِفة والجحود فى مثل هذه المواقف الصعبة.

فى صباح اليوم التالى، دَعَوْنا "خوجه أبو المكـــارم "، و "قاسـم بــك "، وكـل الأمــراء والخـواص والفتيــان الذيـن يمكـن أن يشـتركوا فــى المشــورة. فتشاورنا، وقررنا تحصين القلعة والحرب حتى الموت أو (تكتب لنا) الحياة بداخلها . وكنتُ و "قاسم بك " والخواص والفتية الأكفاء، (بمثابة) قوات احتياطية. لهذا أقمنا خيمة بيضاء فى وسط المدينة، فوق سطح مدرسة أولـــغ بــك مـــيرزا (٩١ب) وأقمتُ (هناك) وحددنا المواقع لبقية الأمراء والفتيان على سور القلعة وعند الأبواب والأطراف.

وبعد يومين أو ثلاثة، جاء "شَيْبَاق خان " ونزل على مقربة من القلعة. وكان العوام يتجمعون من الأحياء والقرى أفواجا فيقيمون الصلاة، ثم يأتون إلى باب

المدرسة، ويخرجون للقتال. وكان "شَيْبَاق خان" يتصدى لهؤلاء (العوام)، ولكنه لم يجرؤ على الاقتراب من القلعة. ومرّت عدة أيام على هذا الشكل، فاستمد هؤلاء العامة الذين لم يسبق لأحدهم أن قاتل أو حتى جُرح في قتال بسيف أو سهم، الشجاعة من هذا الوضع، وبدأوا في الخروج إلى مسافة أبعد. وعندما أراد الفتية المخضرمون، أن يمنعوهم من الخروج الذي لا طائل من ورائه، كانوا قد بدأوا في الطِعان (بالفعل).

وذات يوم هجم "شَيْبَاق خان" على ناحية "باب آهنين"، فما كان من هؤلاء العامة الشجعان، إلا أن خرجوا له بمنتهى الجرأة وذهبوا بعيدا مثلما يحدث في كل مرة. فأرسلتُ في أثرهم فرقة من الفرسان وبعض الفتيان، وأرسلت جماعة الكوكلداش، و"تويان كوكلداش"، و"قول نزارطغايي"، و"مزيدا" وكلهم من الخواص المقربين، وكثيرين غيرهم، إلى "أشتركردن" وهناك تقدم واحد أو اثنان من الأوزبك (١٩٢أ) بجواديهما نحو هؤلاء الرجال، وشهرا سيوفهما وتبارزا مع "قول نزار". ثم ترجّل الأوزبك عن جيادهم، وأبعدوا العامة من أهل المدينة، ثم هجموا وضغطوا على باب آهنين. وكان قوج بك وميرشاه قوجين عند مسجد خضرخوجه. وأبعد الأوزبك هؤلاء العامة المشاة، ثم تقدم فرسان مقدمة العدو وساروا في اتجاه مسجد خضرخوجه فخرج لهم قوج بك، والتحم معهم وأبلى بلاءً حسنا. ووقف الناس كلهم يرقبون ما يدور، بينما واصل الهاربون فرارهم. وفات أوان إطلاق السهام والمقاومة. وكنت وبعض الموجودين إلى جواري نطلق السهام من فوق الباب. وحالت السهام التي كانت تصوب عليهم من أعلى، دون تقدم الأوزبك

إلى أبعد من مسجد خضر خوجه، فانسحبوا .

دفاع بابر عن قلعة سمرقند :

كنا كل ليلة طوال فترة الحصار، نجوب فوق جدران القلعة. وكنت أجوبها و"قاسم بك" أو أحد أمرائنا أو أحد خواصنا . ويمكن السير بالحصان فوق الجدار في المسافة من "باب فيروزه " إلى "باب شهزاده" ويكون السير على الأقدام في الأماكن الأخرى. (٩٢ب) وكان البعض يجوب أسوار القلعة كلها سيرا على الأقدام، فتستغرق المرة الواحدة الليل كله، وتنتهي مع شروق الشمس[٤٩٣].

وذات يوم هاجم "شيبَاق خان " من المسافة بين "باب آهنين " و"باب شهزاده" . وكنت قد أخذت احتياطي وجئت إلى هذا المكان لأن الحرب ستبدأ من هنا . ولم نخشى شيئا (يحدث) من ناحية "باب كزورستان " . وفي ذلك اليوم أطلقت سهما من فوق "باب شهزاده" فأصاب جواد "قائد مائة " (من جند العدو) فمات على الفور . و شددوا وطأة الهجوم في هذه الناحية حتى وصلوا إلى أسفل جدار (القلعة) في ناحية "المشتركردن " . وبينما نحن مشغولون بالقتال في هنا ؛ غفلنا تماما عن تلك الناحية[٤٩٤]، وكان العدو قد أعد خمسة أو ستة وعشرين سلما، كل واحد منها يسمح بصعود شخصين أو ثلاثة دفعة واحدة. وخبأ سبعمائة أو ثمانمائة، من الفتيان القائمين على هذه السلالم في مخبأ بين "باب كزورستان" و"باب

---

[٤٩٣] يذكر ياقوت الحموي في وصف سمرقند أن (استدارة حائطها اثنا عشر فرسخا. وفيها اثنا عشر بابا من الباب إلى الباب فرسخ ـ حوالي ٥كم ـ وعلى أعلى السور آزاج وأبرجة للحرب والأبواب الاثنا عشر من حديد. وبين كل بابين منزل للنوّاب وقيل عنها المدينة المحفوظة) انظر، معجم البلدان،ج٥، ص١٢١.

[٤٩٤] يقصد ناحيةباب كزورستان.

سورنكران " بينما هاجم (**شيبَاق خان**) بنفسه من الناحية الأخرى. وفى الفترة التى خلا فيها مركز القيادة وانشغل الجنود كلهم بالقتال معه فى هذه الناحية ، خرج هؤلاء المختبئون من مخابئهم (٩٣أ) أمام فناء **محمد مزيد ترخان**، وهو مكان قيادة **محمد قولى قوجين** وعدد من الأمراء وكانوا كلهم موجودين فى فناء "**محمد مزيد ترخان**". وكان **باب سوزنكران** هو مركز قيادة **قرة برلاس**، أما **باب كازورستان**، فكان مقر **شيريم طاغابى** وإخوته كبارا وصغارا **وقتلق خوجه كوكلداش**. ولما كانت الحرب دائرة فى الجانب الآخر من القلعة، فلم يعلم أحد من هؤلاء الذين فى مركز القيادة شيئا عنها، وتفرق رجالهم وعادوا إلى منازلهم وإلى الأسواق لقضاء حاجياتهم. ولم يبق فى أماكنهم سوى أمراء مركز القيادة وبعض العامة. وتصدى **قوج بك**، **ومحمد قولى قوجين**، **وشاه صوفى**، وعدد آخر من الفتيان لذلك الهجوم بقوة. وصعد بعض رجال العدو فوق جدار القلعة، بينما البعض الآخر فى سبيله للصعود، فأدركهم هؤلاء الأربعة المشار إليهم وضربوهم وأنزلوهم من فوق الجدار وأجبروهم على الهرب. وقد أبلى **قوج بك** بلاءً حسنا فى هذا مما أسعده. واشترك أثناء هذا الحصار، مرتين فى أعمال جيدة. وظل **قره برلاس** وحده فى مركز القيادة "سوزنكران" (٩٣ب). وصمد هو أيضا بشكل جيد. كما صمد أيضا **قتليق خواجة كوكلتاش ميرزا** فى مركز قيادته فى باب "**كازورستان**" ومعهم عدد قليل من الرجال، فأطلقوا السهام من كوّة فى جدار القلعة. وذات مرة خرج "**قاسم بك**" على رأس مجموعة من الفتيان، من باب **سوزنكران**. وطارد **الأوزبك** حتى "**خواجة كفشير**". وقبضوا على عدد منهم

وقطع رؤوسهم ثم رجع.

المعاناة من الحصـــار :

كان الوقت آنذاك زمن حصاد المحاصيل. فلم يتمكن أحد من جمع محصوله[٤٩٥]. وطالت أيام الحصار، عانى الناس خلالها معاناة شديدة وبلغ الأمر حدا أن الفقراء والمساكين أكلوا لحم الكلاب والحمير. كما نفد علف الجياد فكانوا يقدمون لها ورق الشجر لتأكله. أثناء ذلك تبين لنا بالتجربة أن ورق شجر التوت وشجرة الدرداء أفضل من ورق سائر الأشجار. فكانوا يجمعون الأشجار الجافة ويبلون نشارتها في الماء ويقدمونها علفا للجياد.

لم يقترب "شَيْبَاق خان" من القلعة لمدة ثلاثة أو أربعة شهور. إنما كان يحوم حولها من بعيد. وذات ليلة في ساعة غير متوقعة قبيل منتصف الليل، جاءوا إلى "باب فيروزه" ودقوا طبول الحرب وأطلقوا صيحاتها. وكنت آنذاك ما زلت في المدرسة[٤٩٦] (٩٤أ) فأحدثوا فزعا واضطرابا زائدا. وصاروا يفعلون هذا كل ليلة فيدقون الطبول ويطلقون صيحات الحرب ويحدثون جلبة.

عدم وصول مساعدة لبـــابُر :

أرسلنا السفراء والرجال مرارا إلى الأطراف والجوار، دون جدوى، فلم تلق

[٤٩٥] السبب في عدم تمكن الأهالي من جمع المحصول هو أن الأراضي التي يزرعون فيها تكون دائما خارج أسوار القلاع التي تحيط بالمدن، و كان شيباق خان قد حاصر مدينة سَمَرْقَنْد قبل أن يتمكن الأهالي من جمع المحصول، وبالتالي لم يستطيعوا الخروج من المدينة لجمعه.

[٤٩٦] يقصد مدرسة أولُغ بك في وسط "سَمَرْقَنْد"

من أحدهم مساعدة أو عونا . فأولئك الذين امتنعوا عن مساعدتنا في أوقات القوة والرخاء، كيف لهم أن يساعدونا في هذا الوقت العصيب.

كان من غير الممكن، التوقف عن الدفاع عن القلعة انتظارا لمساعدتهم. والمثل يقول : لتحصين القلعة لابد من رأس وذراعين وساقين. الرأس هو القائد، والذراعان هما العون والمساعدة التي تصل من هنا وهناك، والساقان هما ماء القلعة ومؤنتها ". كنا ننتظر العون والمساعدة من الأطراف والجوار بينما كل واحد منهم في وادٍ. فسلطان شجاع ومحنك مثل "**السلطان حسين ميرزا** " لم يقدم لنا أي مساعدة، بل لم يرسل لنا سفيرا ليشد من أزرنا وهي مساعدة معنوية. بينما أرسل **كمال الدين حسين كازركهي** سفيرا إلى "**شيباق خان** "، أثناء محاصرته لنا .

تحركات تنبل :

جاء **تنبل** من "**أنديجان** " إلى "**بيشكنت** "[٤٩٧]، وخرج **الخان** و**أحمد بك** ومن معه للتصدي له. وتقابلوا ناحية حديقة "**لكلكان**"[٤٩٨] (٤٩ب) و"**توراك**"، ثم انصرفوا بدون أن تحدث حرب بالمعنى الحقيقي. **فالسلطان محمود خان** ليس رجل حرب، ولا يفقه شيئا في الفروسية. وعندما تقابل مع **تنبل**، بدرت منه أقوال وأفعال تنم عن خوفه. أما **أحمد بك** فكان جلفا[٤٩٩] لكنه شجاع وصادق، فتكلم بطريقة خشنة قائلا: كيف لتنبل هذا أن يكون رجلا، وتخافون منه كل هذا الخوف

---

[٤٩٧] بيشكنت، في "سمرقند".

[٤٩٨] لكلكان، حديقة في "سمرقند"

[٤٩٩] جاءت في النص الجغتائي "ترك كيشي"، والإعداد التركي الحديث له ترجمها "قبا"بمعنى جلف، ص٩٨، كما وردت في الترجمة الإنجليزية unpolished..ص ١٤٥ بما يفيد أن كلمة تركي في النص تعني جلف.

والوجل. إذا كانت عيونكم تفزع منه، فاربطوا أعينكم، وسيروا إليه وتصدوا له"[٥٠٠].

*****

[٥٠٠] جاءت ترجمة هذه الجملة في الترجمة الإنجليزية لها ترجمة إجمالية للمعنى فقالت: "إذا كنتم خائفين من النظر إليه، فاربطوا أعينكم قبل أن تخرجوا لمواجهته". انظر، الترجمة الإنجليزية ص ١٤٥.

وقائع سنة سبع وتسعمائة[501]

طالت فترة الحصار، ولم تصلنا بعد المؤونة والطعام والعون والمدد من أى مكان. وبدأ الناس والجُند فى مغادرة القلعة والهرب منها، واحدا تلو الآخر، بعد أن ملأهم اليأس. وجاء "شَيْبَاق خـــان " وهو يعلم تماما حال أهل القلعة وعجزهم، ونزل بجوار "غارِ عاشقان ". وخرجت أنا أيضا إلى منازل ملك محمـــد ميرزا، لمقابلته فى "كوى بايان ". وفى تلك الأيام أيضا جاء أوزون حســـن ومعه عشرة أو خمسة عشر رجلا من رجال خوجه حسين، ودخل القلعة. وكما ذكرنا من قبل (١٩٥أ) أنه كان سبب الوقيعة بينى وبين جهانكير مــيرزا والسبب فى خروجنا من "سَمَرْقَنْد ". وكان دخول القلعة هذه المرة يعد عملا جسورا.

الصلح مع " شَيْبَاق خـــان ":

اشتدت الأزمـة واستبد الضيـق بـالجُند وأهـل المدينـة. وبـدأ رجــالى المقربون وأصحاب المكانة يفرُّون قفزا من فوق السور. كما هرب أحد أمرائنا المشهورين وقدامى العاملين معنا وهو ويْس شيخ ومعه ويْس لاغـــرى. واستبد اليأس بي وبمن معى. وقطعنا الأمل فى وصول أى مدد من أى مكان، ونفد القدر الضئيـل الـذى فـى حوزتنـا مـن المـؤن والغـذاء، قبـل أن تتلقـى أى مؤونـة أو مدداً من أحد. وبينما الوضع على هذا النحو، أبدى "شَيْبَاق خــــان " الرغبة فى

---

[501] هذا التاريخ يقابل عامى ١٥٠١-١٥٠٢م.

الصلح. ولو كان لدينا أدنى أمل فى تلقى مدد أو معونة من أحد، لما التفتنا إلى طلبه هذا، لكنها الضرورة. وعقدنا الصلح معه"[٥٠٢].

مغادرة بابُر سـمرقند :

خرجنا من "بـاب شـيخ زاده "[٥٠٣] بعد انقضاء جزئين[٥٠٤] من الليل واصطحبت معى السيدة والدتى وسيدتين أخريين هما السيدة بيجكـا خليفـة، والأخرى مينكليك كوكلـداش. وأثناء خروجنا هذه المرة وقعت أختى الكبرى خانزاده بيكم فى يد "شَيْبَاق خان "[٥٠٥].

فى ليلة مظلمة اختلط علينا الأمر عند أنهار سُغد الكبرى، وضللنا الطريق. وتمكنا من اجتياز "خوجه ديـدار " بمنتهى الصعوبة. وعند الصباح وفى وقت

---

٥٠٢ يقول منجم باشى فى ذكر خروج بابُر من سمَرقَنْد أثناء محاصرة شيباق خان له (كان بسمَرقَنْد قحط شـديد لا يمكن العسكر منه الاقامة فيها، فعندما شيبك إلى محاصرتها فهرب بابُر إلى تاشكند) مما يفيد ان بابُر خرج من سمَرقَنْد هاربـا منها وليس بناء على مصالحة مع شيباق خان، انظر منجم باشى،جامع الدول، ورقه ٢٧٣ب. كما يذكر فامبرى فى هـذا الصدد أن بابُر عندما وجد نفسه"أشبه بمعزول فى حصونه المهجورة، هنالك اتخذ سبيله هربا فى الليل فنفذ من بوابه شـيخ زاده ونجا بحياته بعد مخاطرات أسرت فيها أخته الكبرى خوانزاده بيكم". فامبرى، نفس المرجع، ص٣٠٧.

٥٠٣ باب شيخ زاده، بمعنى باب ابن الشيخ.

٥٠٤ جاءت فى الترجمة التركية : "وفى منتصف الليل"ص ٩٩ .وكذلك فى الترجمة الإنجليزية ص١٤٧ . وقد ذكـر بـابُر ان اليوم فى بلاد الهند يُقَسّم إلى ثمانية أجزاء أربعة لليل وأربعة للنهار كل جزء منها يسمى پهره، وبذلك يكون الجزء الواحـد من اليوم يساوى ثلاث ساعات انظر بابُر نامه ص٢٨٩.

٥٠٥ من غير المتصور أن تقع خوانزاده أخت بابُر فى يد شيباق فيأخذها، إذا كان خروج بابُر من سمَرقَنْد قد حدث بنـاء على مصالحة بينه وبين شيباق خان ومما يدعم هذا التصور أن محمد حيدر دوغلات صاحب تاريخ رشيدى وابن خالـة بابُر، يقول فى هذه النقطة "كان بابُر أثناء حصار سمَرقَنْد قد زوّج أخته خوانزاده بيكم لشيباق خان فداء لنفسـه، وقد سُـرّ شيباق خان لذلك، وبعد ذلك خشى أن تؤذيه لمصلحة أخيها فطلقها وزوجها إلى أحد سادات الأوزبك، فلما قُتِل زوجها هـذا فى حرب مرو التى دارت بين الأوزبك والشاه اسماعيل الصفوى، ووقعت البيكم اسيرة فى أيدى التركمان، فلما عرف الشاه اسماعيل، انها أخت بابُر شاه، أكرمها وأعادها إلى بابُر مع رسله وحمّلها بأنواع الهدايا والإنعامات. انظر، محمـد حيـدر جورجان دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد، ١٩٩٦، ص٢٧٠.

السُنَّة [٥٠٦] (٩٥ب) تسلقنا جبل "قاربوغ "[٥٠٧] من أسفل قرية "جودك كينتـــى"، ثم اتجهنا شمالا فى اتجاه "إيلان أوتى "[٥٠٨]. وأثناء الطريق تسابقتُ مع "قنبر علـــى" و"قاسم بـــك". فلما تقدم جوادى، التفت ورائى لأراهما، إنفكّ حزام السرج والتفَّ، فوقعتُ فى الأرض على رأسى. والواقع أننى نهضتُ على الفور وركبت الجواد، لكنى لم أستطع أن أسترد نفسى حتى المســاء. وكانت الدنيا وما جرى من أحداث، تبدو أمام عينى كالحلم أو الخيال. وفى المساء فى وقت صلاة العصر، نزلنا إلى "إيلان أوتى" وذبحنا حصانا وشوينا لحمه. ووصلنا قرية "خليليـــة" قبيل الصباح، ومنها ذهبنا إلى "ديزك "[٥٠٩]. وكان فيها آنذاك طاهر دُلداى ابن حـــافظ محمد بك دُلداى. وكانت عامرة بأنواع اللحوم المشحمة وأنواع الخبز والبطيخ اللذيذ والعنب الجيد، فتغير حالنا من الضيق إلى الرخاء، ومن التعب إلى الراحة.

تخلصنا من الخوف والضيق، ووجدنا الراحة،

وجدنا حياة جديدة ودنيا جديدة

وزالت من القلب رهبة الموت (٩٦أ)، ومن الناس وطأة الجوع. ولم نكن قد لقينا فى حياتنا مثل هذه الراحة. ولم نعرف مثل هذا الرخاء، فما ألذ الرخاء بعد الشدة، وما أجمل الراحة بعد التعب. وقد استمتعنا بهذه اللذة أربع أو خمس مرات،

---

[٥٠٦] يقصد صلاة الضحى.

[٥٠٧] قاربوغ، جبل فى "سَمَرْقَنْد".

[٥٠٨] إيلان أوتى، فى "سَمَرْقَنْد".

[٥٠٩] ديزك، من ملحقات "سَمَرْقَنْد" قال الإصطخرى عنها إنها "مدينة فى السهل لها رباطات وخانات وماء يتبع من عـــين وهى كثيرة النزه والبساتين والمياه". الإصطخرى، ص١٨٣.

كانت هذه هى المرة الأولى منها. فقد أحسسنا بالراحة والرخاء ونجونا من بلاء العدو ووطأة الجوع"[٥١٠].

إسترحنا فى "ديزك" ثلاثة أو أربعة أيام، تحركنا بعدها إلى اوراتيبه. وعلى طرف جزء من هذا الطريق، كانت "بشاركار". وسبق لى أن أقمت فيها لفترة. لذلك توقفت هناك لأتفرج عليها. وفى قلعتها تقابلت مع "آطــون" الذى سبق أن التحق بخدمة السيدة والدتى لفترة طويلة. وقد بقى فى "سَمَرْقَنْد" هذه المرة[٥١١] لأنه لم يجد دابة تحمله. وتقصيت منه عن الأحوال فعلمت أنه جاء من سَمَرْقَنْد إلى هنا سيرا على الأقدام.

ذهاب بابُر إلى دهكت :

ونحن فى اوراتيبه، أبلغونى ووالدتى بوفاة أختها الصغرى السيدة خوب تكار، وكذلك بوفاة جدتى لأبى فى "آنديجان". (٩٦ب) ومنذ وفاة جدى الخان"[٥١٢]، لم تلتقى والدتى بأمها، وأخوانها وأخواتها الأصغر منها، وهم شاه بيكم والسلطان محمود خان والسيدة سلطان تكار خان والسيدة دولت سلطان خان. ودامت هذه الفرقة مدة ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاما. وقد ذَهَبْتُ إلى تاشكَنْد لرؤيتهم.

تشاورت مع محمد حسين ميرزا، وقررت قضاء الشتاء فى المكان المسمى

---

[٥١٠] غريب شعور بابُر هنا بمثل هذا الرخاء والراحة خاصة وأنه اضطر إلى التخلى عن سَمَرْقَنْد عاصمة التيموريين والتى قاتل من أجلها كثيرا، وتركها مجبرا إلى شيباق خان الذى قضى على الدولة التيمورية فى وأولى حسب تصورى أن يكون حزينا لضياعها من يده.

[٥١١] يقصد عندما غادرها هذه المرة.

[٥١٢] هكذا جاءت فى النص الجغتائى "خان بابام"، والمقصود هو يونس خان وكانت وفاته سنة ٨٩٢هـ لكنها جاءت فى الترجمة التركية "خالى الخان"، ص ١٠٠.

"دهكت" من قرى اوراتيبه. وتركنا ساعدنا فيها، ثم تحركت بعد عدة أيام إلى تاشكند لمقابلة شاه بيكم وخالى الخان وبقية أقاربى. أقمت هناك عدة أيام التقيت فيها مع شاه بيكم وخالى الخان. كما جاءت أيضا من "سمرقند" خالتى مهر نكار خانم"[٥١٣] وهى شقيقة أمى الكبرى. وقد مرضت السيدة والدتى مرضا شديدا هدد حياتها.

كان مولانا "خوجه كا خوجه" قد غادر "سمرقند" وأقام فى "فركت"[٥١٤]. فذهبت إليه هناك وقابلته. وكنت آمل أن يظهر لى خالى الخان مظاهر الرعاية والاهتمام، بأن يعطينى ولاية أو قضاء. ووعدونى باوراتيبه، لكن محمد حسين ميرزا (١٩٧أ) لم يفعل. ولم أستطع تفسير سبب امتناعه عن ذلك، أهى أنانية منه، أم أنها بإيحاء ممن فوقه. وبعد أن قضيت معه عدة أيام ذهبت إلى دهكت.

و دهكت واحدة من القرى الواقعة فى سفح جبل اوراتيبه، فى سفح جبل كبير. وبمجرد اجتياز هذا الجبل تبدأ ولاية "مسيخا"[٥١٥]. وأهلها من السارت"[٥١٦] الحقيقيين ويسكنون القرى. لكنهم مثل الترك يربون قطعان الخيل والغنم. وأظن أن فى دهكت أربعين ألف رأس من الغنم. ونزلنا فى بيوت أهل هذه القرية، ونزلت أنا فى بيت عمدتها وكان الرجل يناهز الستين أو السبعين من عمره. وأمه ما زالت على قيد الحياة. وكانت عجوزا طاعنة فى السن؛ فى الحادى عشر بعد المائة من عمرها.

---

[٥١٣] مهر نكار خانم، كانت زوجة لشيباق خان ثم طلقت منه ليتزوج من أختها خانزاده بيجم التى أخذها عند خروج بابر من سمرقند انظر بابر نامه ص ٩٥.

[٥١٤] فركت، اسم مكان فى فرغانه شمال جبل كندير.

[٥١٥] مسيخا، ولاية جنوب غرب "سمرقند" وهى الوادى العلوى لزر افشان.

[٥١٦] جاء فى الترجمة الفارسية أن أهلها تاجيك.

وقد اشترك أحد أقاربها فى حملة تيمور بـك عندما دخل بلاد الـهند"[٥١٧] . وهم يذكرونهم ويقصون أخبارهم. ويوجد فى دهكـت وحدها اليوم ستة وتسعون من أحفاد هذه المرأة وأحفاد أحفادها ذكورا واناثا . ويبلغ عدد الأحياء منهم والأموات مائتى شخص. وأحد أحفاد أحفادها فى الخامسة أو السادسة والعشرين من عمره. وهو شاب ذو لحية حالكة السواد .

كنت أثناء وجودى فى دهكـت أتجول دائما سيرا على الأقدام لأتفرج على الجبال المحيطة بها والمجاورة لها . وكثيرا ما كنت أتجول وأنا حافى القدمين (٩٧ب) ومن فرط سيرى حافى القدمين اخشوشنت قدماى وبلغت من الصلابة حدا لا تفرقه عن صلابة الجبال والحجارة. وذات يوم أثناء إحدى هذه الجولات، فيما بين صلاة المغرب والعشاء رأيت رجلا يسحب ثورا ويمر به من طريق ضيق، فسألته : "ترى إلى أين يؤدى هذا الطريق؟ "فأجاب :" اتبع الثور، وسر وراءه حتى تتبين إلى أين سيؤدى الطريق " . فعلق خواجة أسد الله على هذا مازحا بقوله : "وماذا تفعل إذا ضل الثور الطريق ! ! !" .

استأذن بعض الفرسان في الذهاب إلى أنديجان لعدم قدرتهم على الاشتراك معنا فى الهجمات هذا الشتاء . فقال "قاسم بك" بإصرار :"ما دام هؤلاء الرجال سيذهبون إلى هناك، إرسل معهم شيئا من ملابسك الخاصة إلى "جهانكير ميرزا" . فأرسلت غطاء رأسى السمورى. فأعاد القول مرة أخرى وبإصرار :"ألا ترسل شيئا آخر إلى تنبل" . والواقع لم أكن راضيا لكننى بناء على إلحاح "قاسم بـك

---

[٥١٧] دخل تيمور دهلى سنة ٨٠١ هـ = ١٣٩٨م.

"أخذت السيف العريض الكبير الذى اصطنعه نويان كوكلداش لنفسه فى "سَمَرقَنْد"، وأرسلته إلى تَنْبل. وهو السيف الذى أصابنى فى رأسى وسيأتى ذكر هذا فى وقائع السنة التالية.

بعد عدة أيام، جاءت جدتى (لأمى) السيدة ايسن دولت بيكم (١٩٨أ) التى أقامت فى "سَمَرقَنْد" عندما خرجت منها ومعها متاعها وعائلتها وعدد قليل من الأتباع الجياع*[١٨]".

التحرك لمحاربة شَيْبَاق خان :

وفى منتصف هذا الشتاء اجتاز "شَيْبَاق خان" ماء "خُجَنْد" المتجمد وهاجم شاهرُخِيَّه وجوار بيشكينت. فلما علمنا بهذا، تحركنا لملاقاتهم دون النظر إلى قلة عددنا. وسرنا من أمام "هشت يك" فى اتجاه القرى الواقعة أسفل خُجَنْد وكانت البرودة قارسة. ولم تهدأ رياح "هادرويش" طوال وجودنا هناك بل كثيرا ما هبت شديدة وبلغت البرودة القارسة حدًّ أن مات حوالى ثلاثة رجال خلال يومين أو ثلاثة متأثرين بها وحدث أن أصابنى ما يستوجب الاغتسال وكانت شواطئ الماء قد تجمَّدَت تماما بينما ظل وسطه بغير تجمد بتأثير قوة جريان الماء فدخلتُ فى هذا الماء الجارى واغتسلت، وغطستُ فيه ستة عشر مرة. وقد أثّرت فىَّ برودة الماء تأثيرا كبيرا.

عبرنا ماء خُجَنْد من فوق الثلج من عند خاصلار ووصلنا بيشكينت فى

---

*[١٨] كلمة الجياع أغفلتها الترجمة التركية لكنها وردت فى الجغتائى على شكل "آج" وقد وردت بمعنى الجياع أيضا فى الترجمة الإنجليزية ص ١٥١.

منتصف الليل. وكان "شَيْبَاق خان" قد أغار على شاهرخية ثم انسحب.

موت نويان كوكلــداش :

كانت بيشكينت أثناء ذلك في يد عبد المنان بن المولــى حيــدر. وكان للمولى ابنٌ آخر أصغر من هذا اسمه مؤمن، عديم الاكتراث لا ترجى منه فائدة، وقد زارني أثناء وجودي في "سَـمَرْقَنْد" وأبديتُ له رعاية فائقة. ولا أعرف إن كان نويان كوكلداش قد أساء معاملته في سَـــمَرْقَنْد (أم لا)، (٩٨ب) فملاته هذه المعاملة غير اللائقة بغضا. وعندما علمنا بعودة مهاجمي الأوزبـــك أرسلنا رجلا إلى الخان ثم غادرنا بيشكينت وأقمنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في قرى آهنكران. ودعا مؤمن ابن المولى حيدر، نويان كوكلداش وأحمد قاسم وآخرين إلى وليمة طعام بناء على تعارفهما السابق في سَمَرْقَنْد. وكانوا في بيشــكينت عندما غادرتُها. وأقام لهم مؤمـــن هذه المأدبة على حافةِ جرفٍ هاوٍ. ونزلنا نحن بإحدى قرى آهنكران اسمها "سام سيرك"[١٩].

وفي الصباح علمنا بوفاة نويان كوكلــداش على أثر سقوطه من على شفا الجرف الهاو وهو ثمل. وذهب "خاك نزار" خال نويان وعدة أشخاص للبحث عن جثمانه حيث سقط. وعثروا على جثته ودفنوها في بيشكنت ورجعوا. وقد عثروا على جثته أسفل المكان الذي أقيمت فيه المأدبة، والذي يرتفع عن الأرض بمقدار رمية سهم. وجال بخاطر البعض أن مؤمن لم ينسَ ثأره منذ أيام سَمَرْقَنْد، وأنه فعل

---

[١٩] سام سيرك، قرية في فرغانه ذلك أن وادي آهنكران في فرغانه، انظر، بابر نامه ص ٤٥ب..

هذا بنويـان عمدا، ولا أحد يعرف حقيقة الأمر. وقد تأثرتُ بهذا تأثرا عجيبا وقليلا ما أتأثر بموت أحد بمثل هذا التأثر فلم أكف عن البكاء لمدة أسبوع أو عشرة أيام (١٩٩) وقد أرخ لوفاته بحساب الجُمّل بعبارة "توفى نويان". وبعد بضعة أيام رجعتُ إلى "دهكت"[٥٢٠].

مع حلول الصيف علمنا بسير "شَيْبَاق خان" إلى اوراتيبه. ولأن دهكـت أرض منبسطة فقد صعدنا جبال مسيخا عبر طريق "آب بوردن" وهذه القرية هي أكثر قرى مسيخا انخفاضا. ويوجد أسفل منها قليلا، عين ماء[٥٢١] وعلى رأسها قبر. والطرف العلوي من عين الماء هذه يتبع مسيخا، أما الطرف السفلي فيتبع بلكار. وقد حفرت على رأس عين الماء فوق الحجر الذي على حافتها، هذه الأبيات الثلاثة[٥٢٢]:

سمعت أن جمشيد قد كتب العبارة التالية على حجر برأس عين ماء

في عين الماء هذه عاش قبلنا أناس كثيرون ثم ذهبوا في طرفة عين.

وقد ملكنا العالم بالقوة والقدرة لكننا لم نستطع أن نحمله معنا إلى القبر"[٥٢٣].

والحفر على مثل هذا الحجر وكتابة الشعر وأشياء أخرى أمر معتاد في تلك المناطق الجبلية.

---

[٥٢٠] هذه الجملة الأخيرة غير موجودة في الترجمة الإنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٥٢..

[٥٢١] جاءت في الترجمة الإنجليزية "جدول ماء يتدفق ماؤه إلى أسفل إلى زر فشان"، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٥٢.

[٥٢٢] هذه هي الترجمة الحرفية للجملة كما جاءت في النص الجغتائي والتركي، وقد ترجمت إجمالا بالمعنى في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "كان هناك قبر على رأس عين الماء. فاقتلت حجرا على جانب من رأس عين الماء شكَّلته وحفرت عليه هذه الأبيات الثلاثة". انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٥٢. وقد اختلف على المترجمة الإنجليزية قراءة كلمة "قـازيب" التي وردت في النص الأصلي وهي بمعنى حفرت، وقرأتها كما أشارت هي "قاتريب" وترجمتها كما ذكرتْ هي shaped. ومعناها في المعجم، شكّل أو صوّر أو صاغ.

[٥٢٣] الأبيات باللغة الفارسية وهي لسعدى الشيرازى.

أثناء وجودنا فى مسيخا، جاء الشاعر "مُلاً هَجَرى "من حِصار ولحق بنا وقد قلت هذا المطلع فى تلك الأيام :

مهما اجتهدت فى الرسم فأنت أجمل منه

يقولون إن الروح فداؤك لكنك بلا شك أغلى من الروح.

كان "شَيْبَاق خان " قادما إلى أطراف اوراتيبه وما حولها، لكنه تراجع لاضطراب بعض أموره. وأثناء وجوده فوق اوراتيبه (٩٩ب) تركت عائلتى فى مسيخا، واجتزت ممر "آب بوردن "، بدون أن أعبأ بقلة رجالى عددا وعدة. وواصلنا الليل بالنهار حتى لا تفوتنا الفرصة. ووصلنا إلى جوار دهكت. لكن "شَيْبَاق خان "رجع بسرعة. ورجعنا مرة أخرى إلى مسيخا عبر الممر. وجال بخاطرى أنه "من العبث السير من جبل إلى آخر بلا عمل، ولا قدرة، ولا ولاية أو مأوى. فلنذهب إلى الخان فى "تاشكند ". ولم يوافقنى " قاسم بك " فى هذا الرأى. وحدث كما ذكرت من قبل، أن قتل "قاسم بك " ثلاثة أو أربعة من المغول فى "قرا بولاق "[٥٢٤]، لكى يحفظ النظام وليكونوا عبرة للآخرين. وأغلب الظن أنه تردد فى الذهاب إلى هناك لهذا السبب. وحاولتُ إقناعه برأيى، لكن دون جدوى. وعبرنا ممر "آب بُردن "، وتوجهنا إلى الخان فى تاشكَنْد.

عندما ساق تَنْبَل الجُند إلى وادى آهنكران، اتفق بعض الجُنْد فيما بينهم على أن ينقضوا على تَنْبَل. وهم ؛ محمد دوغْلَت المشهور باسم محمد الحصارى، وأخوه الأصغر السلطان حسين دوغْلَت و" قُنْبُر على ". فلما علم تَنْبَل بأمرهم، لم

---

[٥٢٤] عن هذه الواقعة، انظر، بابر نامه، ورقة ٣٩ب.

يصبروا على البقاء هناك، وولوا هاربين إلى الخان.

ذهاب بابُر إلى الخان فى تاشــــكَنْد :

وصادف يوم وصولنا شـــاهرُخيَه، شهر الأضحى (ذى الحجة) لكنى لم أتوقف هناك وذهبت إلى الخان فى تـاشْكَنْد. وقد قلت رباعية فى القافية المعتادة لكنى كنت مترددا بشأنها. وكنت آنذاك لا أدقق كثيرا فى فن الشعر (١٠٠) وكان الخان رجلا سليم الذوق ويقول الشعر. والواقع أن ما وفقت فيه من الشعر ليس بالكثير. وقد عرضت على الخـــان ترددى بنظم هذه الرباعية. لكن لم أظفر منه بجواب قطعي بالشكل الذى يهفو إليه قلبى. على أية حال كانوا قليلا ما يدققون فى فن الشعر.

وتلك الرباعية هى :

كما أن الإنسان، لا يتذكر الإنسان فى المحنة

فإن قلب الإنسان فى الغربة لا يشعر بالسعادة

وقلبى فى هذه الغربة لم يشعر أبدا بالسعادة،

فالإنسان لا يسعد فى الغربة

وعلمت بعد ذلك أن فى اللغة التركية تتبادل حروف التـاء والدال، والغين والقاف والكاف تبعا لمقتضى القافية.

استعداد الخان للحرب ضد تَنبَـــل :

بعد عدة أيام، جاء تَنبَل إلى أوراتبة. فلما علم الخان بهذا، خرج على رأس

الجُند من تاشكَنْد . وعندما وصلوا بين "بيشــكينت " و "ســام ســيرك " نظموا صفوف جناحي الميمنة والميسرة تنظيما جيدا . وفتحوا الطــوغ[٥٢٥] وفق عـادة المُغول . وترجل الخان من فوق جواده. وغرس أحد المُغــول أمام الخــان تسعة طوغات وأمسك في يده قطعة قماش بيضاء طويلة مربوطة بعظمة سـاق ثور أمامية .كما ربط إلى أسفل قليلا ثلاث قطع طويلة من القماش بطرف طوغات ثلاثة ومرَّ بها أسفل صاري الطــوغ، ووطأ الخان بقدمه على طرف إحدى هذه القطع الثلاثة، وأنا على طرف القطعة الثانية المربوطة بأحد الطوغات كما داس الســـلطان محمد خانيكه على طرف القطعة الثالثة (١٠٠ب) وأمسك ذلك المغولى في يده عظمة سـاق الثور الأماميـة المربوطة وقـال أشـياء بالمغوليـة وهـو يشير وينظر إلى الطوغ. وكان الخان وكل الواقفين في الأطراف يشرون القميز[٥٢٦] على الطــوغ بينما الأبواق والطبول تعزف نغمة واحدة. وأطلق الجُند المصطفون وكل الموجودين صيحة الحرب سويا وكرروها ثلاث مرات. وكان الجنود يجوبون حولنا فوق الجبال ويطلقون صيحة الحرب. وهذه النظم التي وضعها جنكيزخـــان للمغول[٥٢٧]، ما زالت مرعية

---

[٥٢٥] الطوغ، عبارة عن إشارة تشبه العلم مصنوعة من ذيل الخيل تربط في عمودمذهب الطرف. وله اعتبار كبـير عنـد المغول وهو إشارة الخان عندهم. وكان مستعمل أيضا لدى الأتراك والصينيين. ويتناسب عدد الطوغات مع المكانة تناسبا طرديا وأكثرها تسع طوغات. انظر، محمد زكي باك الين، قاموس المصطلحات التاريخية العثمانية، ج٣، ص١/٥٢٢.

[٥٢٦] القميز أو خمر اللبن نوع من الشراب مصنوع من لبن الخيل شائع الاستعمال بين التتار، وطريقة صنعـه أن توضـع ألبان الأفراس في قراب، ثم تخض بشدة، وتترك حتى تختمر فتصبح صالحة للشراب. انظر فؤاد عبد المعطي الصياد، تـاريخ المغول، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٣٦.

[٥٢٧] كان للمغول قبل جنكيز خان آداب وتقاليد ولكنها لم تكن مدونة. فلما جاء جنكيزخان، أعاد النظر في هذه العادات، وردَّ بعضها وقبل بعضها، وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعد وجعل لها صبغة رسمية، وأمر أن تـدون تلـك النظـم والأحكام بالخط الأويغوري، وأن يحتفظ بها في خزائن أمراء المغول. وقد أطلق على كل حكم من هذه الأحكام والقواعـد اسم "ياسا". انظر، فؤاد عبد المعطي الصياد، تاريخ المغول، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٣٨ وما بعدها.

حتى الآن كما وضعها .

واصطفت أجنحة الميمنة والميسرة والقلب كل فى مكانه كما كان يفعل آباؤهم ووقف على رأس جناحي اليمين والشمال أصحاب المكانة الأرفع. ودار خلاف بين قبائل جيراس وبكجيك حول رئاسة جناح الميمنة وكان أمير مقاطعة جيراس آنذاك ، قاشقه محمد فتى جسورا . وكان أيوب يعقوب أمير مقاطعة "بكجك" المشهورة باسم المقاطعة. وتنازعا حول تولى الرئاسة وشهرا سيوفهما . وفى النهاية تقرر أن يتولى أحدهما رئاسة حلقة الصيد ويتولى الآخر رئاسة الصفوف. وفى صباح اليوم التالى أقاموا حلقة الصيد بجوار "سلم سيراك"[٥٢٨] ونزلوا إلى حدائق "توراك "[٥٢٩] (١٠١أ) وفي ذلك اليوم وذلك المكان أكملت أول غزل كامل لى هو :

لم أجد حبيبا مخلصا سوى حبيبى

ولم أجد محرما لأسرارى سوى قلبى .

وهذا الغزل عبارة عن ستة أبيات وقد كتبت كل الغزليات بعد ذلك على هذا الترتيب.

قطعنا الطريق منزلا تلو الآخر حتى بلغنا حافة ماء "خُجَنْد ". وذات يوم عبرنا الماء بغرض النزهة وأعددنا الطعام وتركنا الفتية والغلمان يمرحون. وفى ذلك اليوم سرقوا المشبك الذهبى الذى أضعه فى حزامى. وفى الصباح التالى هرب خسان قولى بيان والسلطان محمد وِيَس . وانضما إلى تَنْبَل. فظن الجميع أنهما السارقان

---

[٥٢٨] سلم سيراك، إحدى قرى آهنكران فى جنوب تاشكند.

[٥٢٩] توراك، حدائق جنوب تاشكند بجوار لكلكان.

لكن لم نتحقق من هذا . وأعطينا الإذن إلى أحمد قاسم كُهبَر ليذهب إلى اوراتيبـــه فلم يرجع هو أيضا من هناك وانضم إلى تنْبل .

*****

وقائع سنة ثمان وتسعمائة[530]

كانت تحرك الخـــان[531] هذه المرة بغير فائدة. فقد ذهب ورجع بدون أن يستولى على القلعة أو يحاصر العدو. وعانيت كثيرا أثناء وجودي في تاشـــكند من الجور والفقر. فلا ولاية ولا أمل في الحصول على ولاية. كما انفض عني أغلب رجالي. وأعجز العوز من ظلوا بجانبي ومنعهم من مواصلة السير معي. وكنت عندما أقصد باب خالي الخان، أصطحب معي واحدا أو اثنين من رجالي، وأفضل أن يكونا من ذوي القربى وليس من الأغراب.(١٠١ب) وعندما أنصرف من عنده وأذهب إلى شـــاه بيكـــم، أدخل عندها كما أدخل بيتي؛ عاري الرأس، حافي القدمين.

رغبة بابُر في الرحيل إلى خِطـــــاى :

في نهاية الأمر سئمنا هذا القلق وهذا الشتات، وحدثتني نفسي "أن مغادرتي لهذا المكان، خير لي من العيش وسط هذه المشـاكل. كما أن ذهابي إلى حيث ستحملني قدماي، أفضل من الشكوى والعوز لدى الخـــان". فقررتُ الذهاب إلى "خِطـــاى". وعزمتُ على الذهاب بمفردي. وكانت لدي منذ الصغر رغبة في الذهاب إلى هناك. لكن لم يتيسر لي ذلك بسبب السلطنة وبسبب أقاربي. وها هي

---

[530] هذا التاريخ يقابل عامي ١٥٠٢-١٥٠٣م

[531] يقصد السلطان محمود خان.

ذا السلطنة وقد ضاعت منى، وذهبت أمى إلى أمها وأخيها الأصغر، ولم يعد هناك ما يحول دون ارتحالى، كما انتهت المشاغل. وأعربتُ عن رغبتى هذه بواسطة خوجه أبو المكارم وعرضتها عليه على النحو التالى :

"إن ظهور عدو مثل شـيبَاق، خطره على الترك والمغول سواء، وهو أمر يستحق النظر واتخاذ التدابير اللازمة قبل أن يستحكم الأمر ويتفاقم الخطر، ولاسيما وأن الحكمة تقول :

أطفئ النار اليوم إن استطعت، لأن النار إذا اشتد أوارها أحرقت الدنيا

ولا تمكن عدوك من جذب قوسه، مادام بإمكانك أن تقتله بسهم واحد"[٥٣٢].

وخالى الخان الكبير"[٥٣٣] لم يلتق بأخيه الخان الصغير"[٥٣٤] منذ حوالى أربع أو خمس وعشرين سنة كذلك أنا لم ألتق به أبدا. ترى هل يسمحون لى بالذهاب لرؤية خالى الخان الصغير هذا والوساطة لديه وبذل الجهد ليأتى (معى) إلى هنا ؟ ".

وكنت أظن إننى إذا تمكنت من التعلل بهذه الحجة ومغادرة المكان (١٠٢أ) فلن يكون هناك مانع أو خوف من ذهابى إلى "مغولستان" و"طرفان"[٥٣٥]، ولأصبح زمام أمرى فى يدى.

لم يكن أحد يعلم بما عقدت عليه النية، وتكتمت الأمر فلم يعرف به أحد، فالافصاح به لأمى أمر صعب وكذلك رجالى الذين آزرونى كبارا وصغارا

---

[٥٣٢] الأبيات وردت باللغة الفارسية وهى لسعدى الشيرازى.

[٥٣٣] يقصد السلطان محمود خان.

[٥٣٤] يقصد السلطان أحمد خان.

[٥٣٥] طُرفان، مكان فى شرق تركستان.

وشاركوني المعاناة كلها وهم مفعمون بالآمال، لم يكن في الإفصاح لهم بما أنويه ما يسعدهم.

عندما نقل **خوجه عبد الكريم**، رغبتي هذه إلى خالي **الخان** و"**الشاه بيكم**"وافقا، لكن جال بخاطرهما أنني أريد الإذن بالذهاب لأنني لم أجد الاهتمام اللائق واعتبراها مسألة تتعلق بالشرف ولذا تباطآ قليلا في الإذن لي بالذهاب.

مجيئ السلطان أحمد خان إلى تاشكند :

في هذه الأثناء جاء رجل من عند خالي **الخان الصغير** يعلن خبر مجيئه بنفسه وهكذا لم يتحقق ما عقدت عليه العزم. وجاء رجل آخر وأعلن أن الخال الصغير على وشك الوصول. وحرصنا جميعا أن نكون في استقباله، فخرجت الشاه بيكم وأخوات خالي ؛ **سلطان نكار خانم ودولت سلطان خانم** وأنا **والسلطان محمد خانيكه وميرزاخان** لاستقباله.

لقاء بابر بخاله السلطان أحمد خان للمرة الأولى :

تقع قرية "**يغا** "وعدد من القرى الأخرى بين **تاشكند** و"**سيرام** " وفيها قبر "**إبراهيم أتا** "و "**اسحق أتا** " . وقد خرجت حتى هذه القرية لاستقبال خالي **الخان الصغير** لأننا لم نكن نعرف موعد مجيئه على وجه الدقة (١٠٢ب). فقد ركبت جوادي بسرعة وبغير روية وانطلقت به. وفجأة رأيت أمامي **الخان الصغير**، فاقتربت منه حيث يقف وترجلت عن جوادي وقد عرفني بمجرد نزولي من على ظهر الجواد . وبدا عليه الضيق، فغالبا أنه كان ينوي الجلوس في مكان ما ومقابلتي بشكل رسمي. لكني اقتربت وترجلت من فوق الجواد . ولم يكن المكان

مساعدا ولا الوقت يسمح بالانحناء له باحترام، لذا فقد ضاق صدره. وعلى الفور أمر ابنيه السلطان سعيد خان وبابا خان سلطان بالترجل من فوق الجياد ومقابلتى والانحناء لى باحترام. ولم يكن بصحبة الخان من أبنائه سوى هذين الأميرين وكانا فى الثالثة عشر والرابعة عشر من عمرهما. تقابلتُ معهما ثم ركبنا الجياد إلى شاه بيكم. وقد أقمنا هناك ودار الحديث حتى منتصف الليل عن كل ما جرى وسبب حدوثه.

هدايا السلطان أحمد خــان لبــابر :

فى صباح اليوم التالى أنعم على الخان الصغــير، وحسب العادات المغولية، بطاقم كامل من الملابس من الرأس إلى القدم، كما أعطانى حزامه، وجواد خاص مُسَرَّج. كان الطاقم عبارة عن غطاء رأس مغولى موشى، والملابس كانت من الاطلس الصينى الموشى أيضا. كذلك الحزام كان حزاما صينيا وقد علقت فى طرفه الأيسر ثلاث أو أربع وحدات من العنبر تشبه الكيس الذى تعلقه النساء فى رقبتهن كذلك فى الطرف الأيمن ثلاث أو أربع وحدات أخرى تشبهها، وقد تم تجهيزها كلها حسب الأصول القديمة ثم تحركوا من هناك فى اتجاه تاشكند. (١٠٣أ)

لقاء الأخـوان :

خرج خالى الخــان الكبـير من تاشــكند لمسافة ثلاثة أو أربعة فراسخ ليكون فى استقبال أخيه وأقام الخيام. وكان الخان الصغير قادما فى مواجهته فلما اقترب منه دار خلف الخان عن يساره ثم ترجل عن الجواد أمامه وبينما هو يتقدم نحو الخان الكبير انحنى تسع مرات تعظيما له إلى أن بلغ المكان الذى سيتقابلان فيه وعندما اقترب، نهض الخان الكبير من مكانه لاستقباله، وكان يجلس على الأرض.

فتعانقا برهة، ولدى رجوعهما إلى مكان الجلوس انحنى **الخان الصغير** تسع مرات تعظيما كما انحنى مرات كثيرة وهو يقدم الهدايا (لأخيه الكبير **السلطان محمود خان**).

كان رجال **الخان الصغير** يلبسون حسب عادة **المغول** تماما . كانوا يضعون أغطية الرأس بالشكل المغولي وملابسهم من الأطلس الصيني وموشاة وكنانة السهام من الجلد الأخضر الفاخر بالشكل المغولي، وسروجهم وجيادهم المغولية كان مزينة بشكل لم أر مثله من قبل. ورجال **الخان الصغير** ليسوا كثرة، وإنما يزيد عددهم عن الألف ويقل عن الألفين قليلا.

كان خالي **الخان الصغير** رجلا غريب الأطوار، شجاعا، متحكما في سيفه، يعتز بالسيف أكثر من أي سلاح آخر. وكان يقول : إن إصابة دبوس ذو اللسان، والدبوس، والدبوس الصغير، والبلطة الصغيرة، والبلطة، كلها تصيب الرجل في موضع واحد، أما إصابة السيف فإنها تشجه نصفين من الرأس إلى القدم. وكان لا يفارق سيفه البتار أبدا . فيعلقه في خصره أو يحمله في يده. (١٠٣ب) ولأنه تربى بعيدا، فقد كان قرويا، ويبدو خشنا في حديثه.

وكما ذكرت، جئت مع خالي **الخان الصغير**، في زينة بالشكل المغولي. وكان خوجه أبو المكارم برفقة خالي **الخان الكبير**. فلم يعرفني، وسأل قائلا : "أي سلطان هذا ؟ ". فأخبروه، فعرفني.

خروج بابر مع الخانين ضد تنبل :

بمجرد وصولنا إلى تاشكند، تحرك (الخانان) ضد **السلطان أحمد تنبل** وساقا

الجُند إلى "أندجـــان " عبر طريق ممر "كنديرلــــــك ". وعندما وصلا إلى وادي "آهنكران" تقدمت عنهم مع خالي الخان الصغـــير. وبعد اجتياز الممر، تقابل الخانان بجوار "زبرقان وكرنـــان " ليوم واحد. وقدّرا القوات التي معهما بحوالي ثلاثين ألفا تقريبا. وبدأت الأخبار تتوارد إلينا ممن سبقونا عن جمع تنبل أيضا لجنوده، وأنه متوجه إلى "اخسى ". وتبادل الخانان الرأي وقررا أن أعبر ماء "خجَنْـد " بعدد من الجُند، وأتجه إلى أُوش وأُوزكَنْد، ثم أقوم بحركة التفاف من الخلف. بناء على هذا القرار، قام كل من أيــوب بيكجــك وفرقته[٥٣٦] وجـــان حسين البـارقي والبارانين ومحمد الحصاري دوغلت، والسلطان حسين دوغلت، والسلطان احمد ميرزا دوغلت بأنفسهم ومن غير فرقة الدوغلتين، و"قنبر على" وصـــاريق باش ميرزا ايتارجي، قاموا (كلهم) بتنظيم الجند للحرب وانضموا إلى.

إنفصلنا عن الخانين في كرنان وعبرنا ماء "خجند" على ظهر أطواف من عند "سقان"، واجتزنا ضاحية خوقان سيرا من عند رباط جوبـــان.(١٠٤أ) واستولينا على "قبا "، ومن فوق ضاحية "آلآى لق "، توجهنا بسرعة إلى اوش وفي وقت السحر هاجمنا قلعتها بغتة، فسلم أهلها المدينة لنا بدون مقاومة. ولا شك أن أهل الولاية كانوا يميلون لنا كثيرا، لكنهم لم يجدوا لهذا سبيلا بسبب خوفهم من تنبـل، فضلا عن وجودنا في مكان بعيد عنهم. وعندما أصبحت اوش لنا، انضم إلينا كل سكان السهول والجبال التي في شرق وجنوب "اندجان".

---

[٥٣٦] استخدمت لفظ الفرقة هنا للدلالة على كلمة "تومان" التي استخدمها بابر. وكلمة تومان تعني "عشرة آلاف" وتعني أيضا الفرقة،، قاموس تركي، ص ١/٤٥٤.

انضمام الأهالى إلى بـــابر :

كانت هناك قلعة جيدة على حدود اوزكند العاصمة العريقة لولاية فرغانـــه . فأرسل أهلها رجلا من عندهم تعبيرا عن قبولهم التبعية لنا، وخضعوا لحكمنا . وبعد بضعة أيام، ضرب أهل مرغينـــان ولاتهم وطردوهـم وأصبحـوا تـابعين لى. كمـا انضمت كل القلاع الموجودة ناحية "اندجـان " من ماء "خجنـــد "، باستثناء "اندجان" . وبالرغم من كل هذه الفوضى، لم ينخدع تنبـــل أو يتأثر بكل ما جرى، وحصن مكانه بحفر الخنادق، ووضع الأشجار[٥٣٧] فى طريق الخانين، وأقام بفرسـانه ومشاته فى المسافة بين "اخسى " و"كرنـان" ، وجرت بينهما هناك عدة اشتباكات لكن لم يتضح أيهما الغالب وأيهما المغلوب.

ولأن أهالى وقلاع وولايات "اندجان "(١٠٤ب) أصبحوا تابعين لى، كان من الطبيعى أن تكون لدى أهل "اندجـان" الرغبة فى التبعية لى، لكنهم لم يجدوا لذلك وسيلة. وذات ليلة اقتربنا من "اندجـان" وفكرنا فى إرسال رجل للتفاوض مع "الخوجه "والأشراف، ليسمحوا لنا بدخول القلعة (خلسـة) من ناحية ما . وتحركنا من "اوش " بهذه النية. وفى منتصف الليل وصلنا أمام "جيل دخـتران" وأصبحنا على مسافة فرسخ من "اندجان "، فأرسلنا "قنبر علـــى " وبعض الفتيان الآخرين قبلنا . وكانوا سيدخلون رجلا إلى القلعة سرا، ويتكلمون مع الخوجه والأشراف.

هجوم رجال تنبل على بـــابر :

كنا ننتظر الأمراء الذين أرسلناهم، ونحن على ظهور الخيل،وكان النعاس

---

[٥٣٧] يقصد وضع معوقات من الأشجار.

يداعب جفون البعض، بينما استغرق البعض الآخر في نوم عميق. وفى الجزء الثالث من الليل، سمعنا فجأة صوت الطبل وصيحات الحرب، وإذ بجنودنا الغافلين منهم والنائمين، يسارعون بالهروب بدون أن يعرفوا إن كان العدو قليلا أو كثيرا، بل أنهم (من شدة اضطرابهم) هربوا حتى بدون أن ينظروا إلى بعضهم البعض. لم يكن أمامى متسع من الوقت لجمعهم مرة ثانية، فتقدمت ناحية العدو ومعى "**ميرشاه قوجين** " و "**باباشيرزاد** " و "**دوست ناصر** "، بينما واصل بقية الجند الفرار، باستثنائنا نحن الأربعة. وتقدمنا لمسافة قصيرة، لحق بنا رجال العدو وأخذوا يمطروننا بالسهام ويطلقون الصيحات. وإذ بى أجد أحدهم ويدعى قاشقه، محشورا بجانبي، فرميت جواده بسهم، فتدحرج على الأرض فى الحال. وبدا العدو وكأنه يتراجع لمسافة محدودة. (١٠٥أ) فقال الرجال الثلاثة الذين معى: "غير واضح فى ظلمة الليل، ما إذا كان العدو قليل العدد أم كثير. لقد ذهب كل جنودنا، فكيف يمكن أن ننال من العدو ونحن عبارة عن أربعة أشخاص فقط؟ فلنذهب (الآن) ونجمع جندنا الذين تفرقوا، ثم نعيد الكرة". ولحقنا برجالنا على الفور. لكننالم نستطع أن نعيدهم مهما ضربناهم بالسياط، ومهما حاولنا معهم. فرجعنا نحن الأربعة مرة أخرى، وأطلقنا السهام واستطعنا أن نوقفهم قليلا . ولأن العدو أدرك فى المرتين أننا لانزيد عن ثلاثة أو أربعة رجال فقد عاد جنوده لتعقب رجالنا واستمروا في ضربهم. وأعدت الكرة ثلاث أو أربع مرات فألحق بجنودى، ولا يعودوا (معى)، فأرجع مرة أخرى أنا ورجالى الثلاثة، وأطلق السهام، وأحيط

بالعدو. وتعقب رجلان أو ثلاثة الجند لمسافة فرسخ[٥٣٨]، حتى وصلوا إلى التلال التى فى مواجهة "بشامون" و"خرابوك"[٥٣٩]. وعندما وصلنا إلى الربوة، برز أمامنا مبشر محمد علي. فقلت: "إن عدد هؤلاء الرجال قليل، فلنتوقف ونستدير ونطلق نحوهم الجياد وفعلنا؛ وكما جاءوا بسرعة، إذ بهم يتوقفون مكانهم بسرعة.

تجمع الجند المتفرقون من هنا وهناك. وكان بعض الفتيان الشجعان قد انصرفوا أثناء هذا التشتت، وذهبوا إلى "اوش" مباشرة. وحدث ذلك على النحو التالى: بعض المغول التابعين لفرقة "أيوب بكجيك"، انفصلوا عنا فى "اوش" واتجهوا إلى جوار "اندجان" للسلب والنهب. فلما سمعوا صوت رجالنا، تقدموا خفية يطلبون كلمة السر. وكان للسر كلمتين مختلفتين (١٠٥ب)، إحداهما كلمة سر خاصة بكل قبيلة. وكلمة السر عند بعض القبائل، على سبيل المثال، كلمة "دوردانه" ولدى البعض الآخر "توقفاى"، وللآخرين "لولودر". أما كلمة السر الثانية فيعرفها كل الجنود. وتستخدم هذه الكلمة فى موقع القتال. ومن اكتمال الكلمتين معا، تكون كلمة السر. فعندما يتقابل الجند أثناء القتال، ينطق أحدهم كلمة، فينطق الآخر الكلمة الثانية. وهكذا يميزون الصديق من العدو. ويعرف الجندى زميله من عدوه. وفى هذه الحرب كانت كلمة السر المتفق عليهاهى كلمتى "تاشكند" و"سيرام". فإذا قال أحدهم تاشكند قال الآخر سيرام، وإذا قيلت سيرام، كان الرد تاشكند.

---

[٥٣٨] جاءت فى الترجمة الإنجليزية: "تبعونا لمسافة فرسخين أو ثلاثة"، بدلا من عبارة: "وجاء رجلان أو ثلاثة......فرسخ". انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٦٣. وجاءت فى الترجمة الفارسية: "تبعوا رجالى لمسافة ثلاثة فراسخ" انظر، الترجمة الفارسية ص٦٦.

[٥٣٩] جاءت فى الترجمة الفارسية قراتوق وبشامون، انظر الترجمة الفارسية ص٦٦.

وهذه المرة كان خوجه محمد على متقدما قليلا بجنده، والمغول مقبلين وهم يرددون كلمة "تاشكند تاشكند" وكان خوجه محمد على من السـارت ،ومن فرط حماسه وانفعاله، ردد بدوره كلمة "تاشكند تاشكند"، فظن المغول أنه من العدو، فأطلقوا صيحة الحرب ودقوا الطبول وأطلقوا السهام. وبسبب هذا الخطأ تفرق شملنا ولم نحقق خطتنا، ورجعنا مرة أخرى ووصلنا إلى اوش.

بعد خمسة أو ستة أيام، ، انهزم تنبل ورفاقه بسبب استعادتي السيطرة على الجبل والسهل والقلاع ، وبدأ جنوده في الفرار إلى الجبال والسهول ثلاثا ورباعا . وقال بعض الذين جاءوا منهم "إن عمل تنبل بدأ يفشل، وأنه بالتأكيد سينسحب مهزوما خلال ثلاثة أو أربعة أيام". عندما علمنا بهذا الخبر، تحركنا للهجوم على "اندجان"، وكان السلطان "محمد كلبك" الأخ الأصغر لتنبل، في قلعتها . فتقدمنا عبر طريق "تونتلق". وفي وقت صلاة الظهر، أرسلنا المهاجمين إلى "خاكسان" عند الطريق الجنوبي من "اندجان" (١٠٦أ)، وسرت في أعقابهم، فوصلت إلى سفح "بشته عيش" الذي في طرف "خاكان". وأبلغنا جند الاستطلاع أن السلطان محمـد كلبك خرج مع رجاله إلى خارج الحى والرياض، قاصدا سفح "بشته عيش". ولم يكن المغيرون قد تجمعوا بعد. فتحركت على الفور ناحيته دون اكتراث بعدم تجمع المغيرين.وكان عدد رجال "محمـد كلبـك" يزيد عن الخمسمائة .وواقع الأمر أن عدد رجالنا كان يزيد عن رجاله لكنهم تفرقوا للغزو. وعندما تقابلنا كنا مثله في العدد. وتوجهنا نحو العدو مباشرة بأقصى سرعة قبل أن نفكر في انتظام الصفوف. فلما اقتربنا، لم يستطع المقاومة ؛ فقط لوح بسيفه مرة أو مرتين، ثم سارع بالفرار.

وتعقبنا رجاله إلى مقربة من "باب الخاقان" وهم يتساقطون من فوق خيولهم.

انهزم العدو. وعندما وصلنا إلى "**خوجه كتـــه**" على مشارف الحي، كان الوقت مساء. وكنت عاقدا النية على مواصلة السير بأقصى سرعة نحو الباب. لكن "**ناصر بك**" و "**قنبر علي**" والد **دوســـت بــك**، وهما من الأمراء كبار السن المجربين، قالا: " الوقت الآن متأخر . والاقتراب من القلعة فى ظلمة الليل فيه من عدم الحيطة ما فيه. فلنتراجع قليلا، وننزل (هناك). فما الذي يمكنهم عمله إلى الصباح ؟! إنهم لا محالة سيسلمون القلعة على أي حـال". وامتثالا لرأى هؤلاء الأمراء المجربين، انسحبنا ونحن على مشارف الحى (١٠٦ب). رغم أن تقدمنا إلى الباب كان يعنى أن نأخذ القلعة بلا أدنى شك.

هجوم تنبــــل :

في وقت صلاة العشاء، عبرنا ماء "**خاكان** "ونزلنا بجوار قرية **رباط روزق**"[٥٤٠].

ورغم علمنا بهزيمة تنبل، وأنه في طريقه إلى "اندجان فقد غفلنا(عن الأمر) بسبب عدم خبرتنا. وبدلا من أن ننزل عند حافة ماء آمن مثل ماء خاكان، عبرنا النهر، نزلنا إلى مكان منبسط بجوار قرية "**رباط روزق**". ونمنا بدون أن نترك جندي طليعة أو مراقبا. ومع بزوغ الفجر، بينما الجند يغطون فى النوم اللذيذ، جاء **قنبر علي** مسرعا وهو يصيح قائلا: "جاء الأعداء، انهضوا" ومضى بغير توقف. وكنت دائما حتى في أوقات الأمـان أنام مـن غـير أن أخلـع ملابسـي. وبمجـرد أن نـهضت، ربطـت

---

[٥٤٠] رباط روزق، قرية بجوار ماء خاكان في فرغانه.

السيف وحملت كنانة السهام، وامتطيت جوادا على الفور. ولم يجد التوغجى وقتا لربط التوغ فى الصاري، فأخذه فى يده وركب جواده وانطلقنا ناحية العدو.

كنا عند تحركنا حوالى عشرة أو خمسة عشر رجلا. وقد لحقنا بمهاجمى العدو على مسافة رمية سهم. وكان معى عندئذ عشرة رجال. فأطلقنا السهام وقبضنا على رجلهم الذى فى المقدمة وواصلنا طريقنا وتعقبناهم لمسافة رمية سهم أخرى، حتى وصلنا إلى نقطة تمركزهم.

كان السلطان أحمد تنبل يقف ثابتا فى مكانه مع حوالى مائة من رجاله. (١٠٧أ) فتقدم عن الصف أحد رجاله وقال: "هيا اضرب. اضرب". وانتحى معظم رجاله جانبا وكأنهم يحدثون أنفسهم: "أنهرب أم نقف!!". فى هذه الأثناء كان معى ثلاثة رجال هم: دوست ناصر وميرزا على كوكلداش، وكريمداد خداي داد التركمانى. فأطلقت السهم الوحيد الذى فى الوتر على خوذة تنبل. ووضعت يدى مرة أخرى فى الكنانة فخرج منها سهم مقوس ذو تلوين أخضر كان خالى الخان قد أعطانى إياه. ولم أرغب فى إطلاقه. وإلى أن أعدته فى مكانه كان قد مضى من الوقت ما يسمح بإطلاق سهم وربما سهمين. وجذبت سهما آخر فى على وتر القوس وتقدمت قليلا، بينما رجالى الثلاث يقفون ورائى بمسافة قصيرة كان تنبل هو أحد الرجلين اللذين يقفان أمامى فتقدم إلى الأمام. وكان يفصل بيننا طريق كبير. فدخلت الطريق من جانب ودخل هو من الجانب الآخر، والتقينا بحيث أصبح جانبنا الأيمن ناحية العدو، وجانب تنبل الأيمن ناحيتنا.

كان تنبل فى كامل سلاحه كما أن حصانه كان مدرعا. أما أنا فلم يكن معى

سوى كنانة السهام وسيفى. وأطلقت السهم الذى كان فى يدى، فاخترق درعه وبلغ كنانة سهامه. فإذا بهم والوضع كذلك يطلقون سهما أصاب ساقى الأيمن. وكنت أضع خوذة فوق رأسى. فضرب تنبل رأسى بسيفه. فأصابنى دوار من جراء هذه الضربة، (١٠٧ب) ومع ذلك ظلت الخوذة سليمة لم تصب بسوء. لكن الضربة أصابت رأسى بجرح لا يستهان به. ولم أكن قد أخرجت سيفى من غمده ولم يتبق وقت لإخراجه ووجدت نفسى وحيدا وسط حشد من العدو. ولم يكن هذا الوقت المنتظر، فأدرت سرج الجواد. وضرب بسيفه ثانية فأصاب سهامى[٥٤١]. وتراجعت إلى الخلف سبع أو ثمان خطوات، فلحق بى ثلاث من المشاة، وانقض تنبل بسيفه على دوست ناصر، وظلوا يتعقبوننا لمسافة رمية سهم. حتى بلغنا ماء "خاكان" وهو نهر كبير وعميق لا يمكن عبوره من أى مكان (سوى الجسر) وشاء الله لنا أن نصل إلى جسر النهر مباشرة. وكان جواد "دوست ناصر" به وهن فسقط أثناء عبور النهر. فأركبناه جوادا آخر، واتخذنا طريقنا إلى اوش من فوق التل الواقع بين "خرابوك " و "فرغانه". وأثناء صعودنا التل لحق بنا مزيد طغايى وكان مصابا بسهم فى ساقه السليمة أسفل الركبة مباشرة، فقد ثقبها السهم ولم يخترقها. لكنه عانى معاناة كبيرة حتى وصلنا إلى اوش. وكان خيرة رجالنا يتساقطون فى هذه النزاعات. فقد سقط فيها ناصر بك ومحمد على مبشر وخوجه محمد على وخسرو كوكلداش ونعمان جهره. كما أصيب عدد لا يستهان به من الفرسان.

---

[٥٤١] يقصد كنانة السهام.

انتزاع " اندجان " من بابر وإعطائها إلـى الخـان الصغـير :

جاء الخانان بجنودهما من خلف تنبل حتى وصلا بالقرب من "**اندجان**". نزل الخان الكبير في البستان المسمى "**قوش تيكيرمان**". وهو بستان جدتي **إيسن دولت بيكم**. ويقع بجوار مرعى الخان الكبير (١٠٨أ). ونزل الخان الصغير قريبا من تكية "**بابا توكل**"[٤٢]. وبعد يومين جئت من اوش وقابلت الخان الكبير في "**قوش تيكيرمن**" وكان قد أعطى إلى الخان الصغير، المناطق التي كانت تحت ولايتي في ذلك الوقت. واعتذر لي بقوله :" إن عدوك شيباق يتقدم للاستيلاء على "**سمرقند**"، ولهذا السبب استدعينا الخان الصغير من مكانه المتناهي البعد. ولا مكان هنا يلجأ إليه، فولاياته بعيدة، ولابد أن نعطي له الولايات التي في الطرف الجنوبي من ماء "**خجند**" وعلى رأسها "**اندجان**" لتكون مستقرا له. ووعدني بإعطائي الولايات التي في الطرف الشمالي من ماء خجند وعلى رأسها "**اخسي**". وبعد انتهاء مهمة هذا المكان، سار الخانان وأخذا ولاية سمرقند أيضا، ومعها الولايات التي وعداني بها. بعد ذلك كادت فرغانه كلها أن تصبح للخان الصغير. على أي حال كان كلامه هذا بهدف خداعي. وبعد كل هذا، لم يتضح لي ما ستصير إليه الأمور، وبسبب قلة حيلتي رضيت بالأمر الواقع طوعا أو كرها.

رفض بابر التخلي عن الخـان :

خرجت من لقاء الخان الكبير. وأثناء ذهابي لمقابلة الخان الصغير، اقترب مني "**قنبر على بسك**" المشهور بالسلاخ، وقال : "أرأيت، لقد جردوك اليوم من

---

[٤٢] بابا توكل، اسم حي بجوار "اندجان".

ولايتك، ولن تظفر بشيء مع هذين الخانين. (١٠٨ب) إن اوش ومرغينان واوزكند والولايات التي أصبحت تحت إدارتكم، كلها وأهلها الآن طوع أمركم. فلتقصد اوش فورا، وتدخلها وتغلق القلاع وترسل رسولا إلى السلطان أحمد تنبل وتصالح معه، وتضرب المغول وتطردهم. وتقتسم الولايات مع أخيك". فقلت له : "إن هذا غير ممكن. فالخانان أقرب أقاربي، وخدمتهما أفضل عندي من السلطنة على "تنبل". فلما تبين أن كلامه لي بغير جدوى، إعتراه الخجل واستدار راجعا.

ذهبت لمقابلة خالي الخان الصغير. وكان عند مقابلتنا الأولى لا يعلم شيئا عني. لهذا لم ينزل عن جواده وقابلني بالمخانقة خفيفة. أما هذه المرة، فما أن اقتربت منه، حتى حث الخطى، وخرج من جنب أوتاد الخيمة لمقابلتي. وكنت أمشي بصعوبة وأتكيء على عصا بسبب جرح السهم الذي أصاب ساقي. فأقبل علي واستقبلني وأمسك بيدي وقال : "يا أخي، لقد كنت بطلا"، ثم ساعدني وصحبني إلى الخيمة.

كانت الخيمة صغيرة بعض الشيء. ولأنه تربى وكبر بعيدا (عن الحضر)، فقد كانت الخيمة ومكان الجلوس فيها عاريين من التكلف، مثلما في خيام القازاق. وفيها الشمام والبطيخ وكل أطقم الفرسان.

خرجت من لقاء الخان الصغير وتوجهت إلى مقر إقامتي، وأرسل لي الخان جراحه المغولي واسمه "اتكه بخش" للعناية بجرحي. والمغول يطلقون على الجراح الماهر اسم "بخش". وقد كان جراحا حاذقا. فكان يداوي مخ الإنسان وإن خرج من موضعه (١٠٩أ). ويضع دواء يشبه المرهم فوق بعض الجروح، كما

يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل. وقد أمر بحرق المبضع للجرح الذى فى ساقى[٥٤٣] ولم يضع الفتيل. وذات مرة أطعمنى شيئًا يشبه الجذر. وقد حكوا عنه إنه ذات مرة انكسرت عظمة دقيقة فى ساق احدهم، وتمزق مكانها تماما بمقدار أربعة أصابع وصار مهترئا. فشق اللحم وأخرج العظام تماما، ووضع مكانها دواء على هيئة التراب، فقام هذا الدواء مقام العظام. وقالوا أشياء كثيرة بهذه الغرابة وكلها تثير العجب. وقد عجز الجراحون فى الولاية عن القيام بمثل هذه العلاجات.

توجس "قنبر على" مما قاله وملأه الخوف، فهرب بعد ثلاثة أو أربعة أيام، وذهب إلى "أندِجان". وبعد عدة أيام اتفق الخانان وأرسلا أيوب بيكجيك والتابعين له وجان حسن بايرين وأتباعه البايرنيين، إلى "أخسِى"، وجعلا صغير باش ميرزا أميرا للجند، وضموا إلى حوالى ألفى رجل. وكان الشيخ بايزيد شقيق تنبل الصغير، فى "اخسِى"، و"شهباز قارلق"[٥٤٤] فى "كاسان". فى هذه الأثناء جاء شهباز وأقام أمام قلعة "نوكند"، فعبرنا ماء "خُجَند" من أمام "بيجرانا"[٥٤٥] لنهجم عليه هناك. وقبيل الصباح، ونحن على مقربة من "نوكنـد"(١٠٩ب) قال الأمراء: "من المؤكد أن الرجل شعر بقدومنا. وهجومنا عليه فى ضوء النهار أفضل من أن يهزمنا". وأبطأنا السير قليلا، دون أن نجد أثرا لشهباز. فلما اقتربنا من نوكنـد،

---

[٥٤٣] جاءت فى الترجمة الإنجليزية "ربط ساقي برباط"ص١٦٩. وجاءت فى الترجمة التركية "أمر بدهان بوجـاق "انظر، الترجمة التركية ص ١١٥، فالكلمة فى الجغتائية "بوجاق بالماق ن" ترجمت فى التركية buckak sürmemi. وترجمت فى الفارسية "بوجاق را فرسود"انظر، الترجمة الفارسية ص ٦٩يعنى أحرق البوجقاق. وكلمة وبالماق فى القاموس الجغتائييعنى احراق أو إشعال انظر سيد افندي البخاري، القاموس الجغتائي العثماني. وقد ترجمناها على هذا النحو اجتهادا على ضوء كلمة إحراق على اعتبار أن الكي بالمبضع كان من أساليب العلاج المعمول بها قديما.

[٥٤٤] شهباز قارلق، أحد رجال تنبل.

[٥٤٥] بيجرانا، مكان معبر على نهرخجند، وهو الجزء الواقع من نهر سرداريا فى فرغانه.

شعر بنا الرجل، ولاذ بالفرار إلى داخل القلعة. وكثيرا ما حدثت أمور مشابهة لهذا. فقد كانوا يضيعون الفرص لظنهم أن العدو قد علم بأمرهم. والتجارب إنما تكون بمثل هذه المواقف. ويقولون : "عندما يأتي الأمر إلى بابك، خذه بجد واهتمام ولا تتوان. فالندم لن يجدى بعد فوات الفرصة". وعند بزوغ الفجر، وقعت مناوشة صغيرة عند طرف القلعة، لكن حربا بمعنى الكلمة لم تحدث بيننا.

تحركنا بعد ذلك من **توكند** فى اتجاه الجبل عند طرف **بشخواران**، لشن هجوم هناك. فعلم **شهباز قارلق** بالأمر، واغتنم الفرصة وغادر "**توكند**" ولاذ بالفرار إلى **كاسان**، فرجعنا إلى "**توكند**" ثانية وأقمنا بها.

فى هذه الأيام شن الجند عدة غارات على الأطراف والجوار. وأغاروا مرة على قرى "**اخسى**" وأخرى على **كاسان**. وخرجوا لمحاربة **شهباز** وابن اوزون حسن ويدعى **ميريم**، وهزموهما، ومات **ميريم** هذا هناك.

وقلعة "**باب**"، واحدة من قلاع "**اخسى**" المنيعة. وقد أغلقها أهلها وأرسلوا رسولا إلينا. فأرسلنا إليهم **سيد قاسم** وبعض الفتية (١١٠أ). فعبروا النهر أمام قرى الطرف العلوى من "**اخسى**" ودخلوا القلعة. وبعد بضعة أيام وقع حادث غريب. ذلك أن **إبراهيم جابق طغايى** و**أحمد قاسم كسهبر** و**قاسم ختيكه أرغون** و**الشيخ بايزيد**، كانوا فى "**اخسى**" فى تلك الأثناء. فأمدهم **تنبل** بمائتين من الفتية الشجعان وأرسلهم ذات ليلة إلى قلعة باب ليباغتوها. ولم يكن **سيد قاسم** قد اتخذ أسباب الحيطة الكافية، وغشيته الغفلة. فوصل هؤلاء إلى القلعة وتسلقوا السلم الخشبى وصعدوا إلى القلعة وسيطروا على بابها وأنزلوا جسر الخندق. ودخل

القلعة حوالى سبعون أو ثمانون من الفرسان المسلحين تسليحا جيدا . فلما شعر سيد قاسم بالأمر، خرج بلباس النوم مع خمسة أو ستة رجال ليطلقوا عليهم السهام، واستطاعوا أن يخرجوهم من القلعة. وقطع سيد قاسم رؤوس عدد من الرجال وأرسلهم. والواقع أن مثل هذه الغفلة، عيب كبير وتقصير فى القيادة. لكن ما قام به عدد قليل من الرجال، وضربهم عدد كبير من الرجال المسلحين والانتصار عليهم وإخراجهم من القلعة، يعتبر أيضا شجاعة كبيرة.

أثناء ذلك إنشغل الخانان بمحاصرة قلعة "اندجان "، وتصدى أهلها لهم ومنعوهم من الاقتراب منها . وخرج لهم الفرسان وقاتلوهم. وأظهر الشيخ بايزيد الموجود فى "اخسى " ميلا ناحيتنا . وأرسل رسولا إلينا وألح فى طلبنا وكان سبب هذه الرغبة، هو إبعادنا عن الخانين بشتى الحيل(١٠١ب). وكان من المستحيل أن يصمد الخانان إذا تخلينا عنهم. وكان طلب بايزيد لنا بموافقة أخيه الأكبر تنبل. وكان انفصالى عن الخانين والاتفاق مع هؤلاء أمر مستحيل بالنسبة لى. فعرضت رغبة بايزيد على الخانين. وكان رأيهم أن نذهب إلى هناك ونقبض على الشيخ بايزيد بأى صورة من الصور. ومثل هذا الخداع ليس من عاداتنا وتقاليدنا، خاصة وأن بيننا عهدا مقطوعا . فكيف لنا أن ننقض العهد بهذه الصورة. وجال بخاطرى أننا إذا استطعنا أن ندخل "اخسى " بأى وسيلة، عندئذ يكون أمامنا إما قطع الصلة بين الشيخ بايزيد وتنبل، فينضم إلينا ، أو ينقلب علينا وعندئذ نستولى على "اخسى" وهى منطقة مناسبة لنا. وأرسلنا بدورنا رسولا إليه. وأبدى الشيخ بايزيد رغبته فى عقد ميثاق معنا وطلب أن نذهب إلى "اخسى "، فذهبنا . وخرج لقائنا

ومعه أخي الصغير **ناصرميرزا**، وصحبنا إلى قلعة "اخسـى"، وخصص لى مكانا ومقاما فى تكايا والدى فى القلعة الخارجية.

إنسحاب المغول من " اندجـان ":

كان **تنبل** قد أرسل أخاه **بيك تيلبه** إلى "**شـيباق خـان** "، ليبلغه طاعته، ويسأله المجيء. وفى تلك الأثناء تسلمنا الرسالة التى تعلن مجيء "**شيباق خـان**". وما أن علم الخانان بمجيئه، حتى تزلزلا ولم يثبتا فى مكانهما من فرط الخوف، وغادرا "**اندجان** ". وكان **الخان الصغير** مشهورا بعدله والتزامه بالإسلام، لكن **المغـول** الذين تركهم فى القلاع التى أصبحت تحت إدارته مثل **اوش ومرغينـان**، أساؤوا معاملة الأهالى فى المناطق التى تصدت لهم، (١١١أ) لهذا ما أن غادر الخانان "**اندجان** "، حتى انقض أهالى **اوش ومرغينـان** على أولئك **المغـول** الذين فى القلاع ونهبوهم وضربوهم وأخرجوهم منها.

أما الخانان فلم يعبرا ماء "**خجند** "، وإنما سلكا طريق **مرغينان وكند بـادم**، وعبرا النهر عند **خجند**. وجاء **تنبل** إلى **مرغينان** فى أعقاب الخانين. وكنا نحن فى هذا الوضع نشعر بالقلق. فليست لدينا الثقة الكاملة فى هؤلاء حتى نبقى، كما أننا لا نستحسن الخروج من هنا ما لم تكن هناك ضرورة.

وذات صباح، هرب **جهانكير ميرزا** من عند **تنبل** إلى **مرغينـان**، ثم جاء إلينا[٥٤٦] وكنت فى الحمام. فجاء إلى **الميرزا**، وقابلته هناك. وفى تلك اللحظة دخل علينا **الشيخ بايزيد** مضطربا وخائفا. فقال **الميرزا وإبراهيم بـك** :" لابد من

---

[٥٤٦] يقصد إلى "اخسى".

القبض على الشيخ بايزيد والاستيلاء على القلعة". والواقع كان هذا هو التصرف السليم لكنى ذكرت لهما" أن بيننا ميثاق، فكيف ننقضه؟ ".

عاد الشيخ بايزيد إلى القلعة. وكان من الضرورى أن نترك رجلا عند الجسر، لكننا لم نفعل هذا أيضا بسبب الإهمال الناتج عن عدم التجربة. ومع طلوع الفجر، جاء تنبل بألفين أو ثلاثة آلاف من الرجال مسلحين، وعبروا الجسر ودخلوا القلعة. ولم يكن معى سوى عدد محدود من الجند، ذلك لأننى بعد المجئ إلى "اخسى"، أرسلت بعض رجالى إلى القلاع وبعضهم إلى مختلف أطراف الولاية لجمع الضرائب، وظل معى فى "اخسى" مائة رجل ونيف. (١١١ب) فركبت جوادى ومعى الرجل، وانشغلت بتفقد الفئة على رؤوس الأزقة، والاستعداد للحرب، وأثناء ذلك جاء الشيخ بايزيد وقنبر على ومحمد دوست من عند تنبل على وجه السرعة، للتفاوض معى بشأن عقد الصلح. فتركتُ فئة الحرب فى أماكنهم، ونزلت للحديث معهم عند قبر والدى، كما استدعيت جهانكيرميرزا إلى هناك.

رجع محمد دوست على الفور، بينما جاء الشيخ بايزيد وقنبر على بك". ونحن على وشك بدء مشاورات الصلح فى ردهة الديوان، الواقع فى الطرف الجنوبى من المقبرة، قرر جهانكيرميرزا وإبراهيم جابوق القبض عليهما، فمال جهانكيرميرزا على أذنى وقال: " لابد من القبض عليهما ". فقلت: " لا تخافا من شئ فقد مضى وقت القبض عليهما. ولننظر ربما يمكننا عن طريق الصلح أن نبلور الأمر على صورة ما." فقد كانوا أكثر منا عددا ونحن أقل منهم بكثير. فضلا عن أنهم داخل القلعة، بينما نحن بقواتنا المحدودة هذه موجودون فى الحصن

الخارجي. وكان الشيخ بايـزيد و " قنبر علـى " حاضرين هذه المشاورات. فنظر جهانكيرميرزا ناحية إبراهيم بك وأشار إليه بترك هذا (الذي اتفقا عليه). لكنى لا أعرف هل فعل هذه الحركة نتيجة سوء فهم أم نوع من التجاهل، فقد قام على الفور وقبض على الشيخ بايزيد. وانقض كل الفتية الموجودون على الجانبين وقبضوا عليهما .(١١١٢) وهكذا قضى الأمر. وسلمنا الرجلين إلى أحد الأشخاص، وركبنا جيادنا للقتال.

خروج بابر من "الخسـى":

كانت أحد أطراف المدينة موكلة إلى جـهانكيرميرزا، وكان قليل الرجال، فخصصت له بعضا من رجالى ليكونوا تحت إمرته، وتفقدت مكانه أولا وحددت مواقع الرجال فى كل أماكن القتال ثم رجعت.

وفى مكان مستو فى وسط المدينة كنا قد تركنا عددا من الفتية، فهجم عليهم جمع غفير من الفرسان والمشاة، أطاحوا بهم وحاصروهم فى أحد الأزقة. وقد وصلت أثناء ذلك وما أن رأونى مقبلا بحصانى، حتى لاذوا بالفرار بدون مقاومة، فطردتهم من الزقاق إلى مكان مستو، وقد أصابوا ساق حصانى بسهم أثناء هجومى عليهم بالسيف. فمال الحصان وألقى بى على الأرض وسط الأعداء تماما. فنهضت فى الحال وأطلقت سهما، وأقبل "صاحب قدم كاهل"[٥٤٧] بجواد هزيل ترجل عنه وتركه لى. فركبته وتركت الرجل مكانى وذهبت إلى رأس زقاق آخر. فلما رأى سلطان محمد ويس ضعف جوادى، ترجل عن جواده وتركه لى فركبته. فى

---

[٥٤٧] صاحب قدم كاهل، أحد رجال بابر.

هذه الأثناء جاء "قنبر علي " بك"[٥٤٨] بن "قاسم بك " جريحا من عند جهانكيرميرزا وقال : "لقد ظلوا يضغطون على جهانكيرميرزا (١١٢ب) حتى أخرجوه من مكانه، وترك المدينة "فارتبكنا لذلك. كما جاء في هذه الأثناء سيد قاسم من قلعة "باب "وكان مجيئه في غير أوانه. فقد كان من الخير في مثل هذا الوقت أن تظل قلعة منيعة كهذه تحت أيدينا . وسألت إبراهيم بك : "ماذا عسانا أن نفعل الآن ؟ ". وكانت به بعض الجراح فلم يحسن الرد. ولا أعرف أكان هذا بسبب الجراح أم بسبب الخوف. ففكرت لحظة ثم قلت : "لنعبر الجسر ثم نكسره ونذهب ناحية "اندجان ". وقد أحسن بابا شيرزاد"[٥٤٩] التصرف في هذا الموقف فقد قال: "لنصعد ونضغط على الباب بالقوة ". وأخذنا برأيه ومشينا ناحية الباب. كذلك قال: "خواجة ميرميران "[٥٥٠] كلمات شجاعة في ذلك الوقت. وأثناء سيرنا بين الأزقة تحارب "سيد قاسم " و "دوست ناصر " ضد "باقي خير "، وكنت و "إبراهيم بك " و "ميرزا قلي كوكلداش" متقدمين بعض الشيء. فلما وصلنا أمام الباب وجدنا الشيخ بايزيد وقد ارتدى خرقة فوق قميصه وبصحبته ثلاثة أو أربعة فرسان وكانوا على وشك الدخول من الباب. فأخرجت سهما من كنانتي وأطلقته عليه فأحسنت تصويبه وأصبته في عنقه. فدخل من الباب مفزوعا ولاذ بالفرار من الزقاق المؤدي إلى الجانب الأيمن، وتعقبناه. وسدد ميرزا قولي كوكلداش دبوسا فأصاب أحد المشاة (١١٣أ) ولما دخل ميرزا قولي رأى أحد المشاة وقد صوب

---

[٥٤٨] قنبر على بك هذا غير "قنبر على" السلاخ المغولي الذي قبض عليه مع بايزيد. انظر، بابر نامه، ورقة ١١١ب.

[٥٤٩] بابا شيرزاد، أحد رجال بابر.

[٥٥٠] خواجة ميرميران، أحد رجال بابر.

قوسه ناحية إبراهيم بك، فأسرع إبراهيم بك بالدخول وهو يصيح "هاى هاى "فتركه يمر وأطلق ذلك الرجل سهما أصابنى فى إبطى من مسافة قريبة فقطع طبقتين من الدرع. ونجا إبراهيم بك بنفسه وأنا فى أعقابه. أثناء ذلك كان أحد المشاة يهرب من فوق الجدار فأطلقت سهما أصاب غطاء رأسه، فأخذه السهم إلى حافة الجدار وثبته هناك. وظل الغطاء معلقا هناك فلف شال عمامته على ذراعه وهرب. ومر فارس آخر من جانبى هاربا فى اتجاه نفس الزقاق الذى هرب إليه الشيخ بـــايزيد فضربته بسيفى على رأسه من الخلف فمال فوق حصانه وكاد أن يقع لولا أنه اتكأ على حائط الزقاق ونجا بصعوبة. وطاردنا الفرسان والمشاة الموجودين عند الباب وسيطرنا عليهم. لقد فات وقت تدبر الأمر، فالقلعة بها ألفان أو ثلاثة آلاف رجل بأسلحتهم مقابل مائة أو مائتين فقط خارجها. وجهانكير ميرزا مطرود من القلعة توا وقد خرج معه نصف رجالنا. ورغم قوة موقف عدونا، فقد وقفنا عند باب القلعة بسبب قلة خبرتنا وأرسلنا رجلا إلى جهانكيرميرزا يبلغه أن يأتى إن كان فى مكان قريب، لنعاود الكرة. لكن الموقف الآن تجاوز هذه المرحلة، فقال إبراهيم بـك: "إن جوادى غير سليم"ولا أدرى أكان جواده ضعيفا أم جريحا. فنزل رجل من رجال محمد على مبشر اسمه سليمان من فوق جواده بدون طلب من أحد (١١٣ب) وقدمه إلى إبراهيم بك وكان هذا تصرفا جسورا منه.

أثناء وقوفنا عند الباب أظهر كيجيك على حاكم "كـول "[٥٥٦]، شجاعة فائقة وكان آنذاك يعمل فى خدمة السلطان محمد ويـس. وقد تحرك مرتين بشكل جيد

---

[٥٥٦] تقول السيدة بفريدج فى الترجمة الإنجليزية: إن بابر يعنى بهذا حاكم كول الآن أى فى زمن كتابة هذا الكتاب وكـــان على كيجيك هذا فى كول بعد فتح الهند، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١/١٧٦. كول هى قرية فى ناحية عليكره فى الهند.

في اوش .

وقفنا بالباب ننتظر عودة الرجل الذي أرسلناه إلى الميرزا . وعاد الرجل وأبلغنا أن الميرزا مضى منذ فترة. أما وقد فات وقت الانتظار فقد انصرفنا بدورنا . فقد كان وقوفنا كل هذا الوقت بلا جدوى. وكان معنا حوالى عشرين أو ثلاثين رجلا. وبعد أن خرجنا إلى الطريق، لحق بنا رجال كثيرون مدربون، وانضموا إلينا . وفى اللحظة التي عبرنا فيها جسر الخندق، وصل أحد رجال العدو[٥٥٢] إلى طرف جسر الخندق من ناحية المدين. فصاح بنده على بك[٥٥٣] جد حمزة بن "قاسم بك " لأمه، قائلا لإبراهيم بك : "كنت دائما متعاليا وعنيدا . قف وتعال نتبارز بالسيف ". وكان إبراهيم بك بجانبي، فقال : "ولما لا تأتي أنت". وإذ بالرجل المتهور، في مثل هذا الوقت من الهزيمة، يتمسك بعناده. وهل هذا وقت العناد ! . ومشينا بأقصى سرعة فالوقت لا يسمح بالانتظار . ورجل العدو وراءنا وقد أطلق عنان جواده، ورجالنا يتساقطون واحدا تلو الآخر. وبينما نجتاز المكان المسمى كنبدجمن، على مسافة شرعى من "الخسى "، نادى إبراهيم بك، فنظرت ورائي (١١٤أ). واقترب مني "خان قولى بيان قولى "، قائلا : "أهذا وقت الرجوع !" . وأمسك بعنان جوادي وسرنا إلى الأمام. ووصلنا إلى "سنك " وكان أغلب رجالي قد تساقطوا . وتقع سنك على مسافة شرعيان من "الخسى ". فلما تجاوزناها، لم نجد رجل العدو وراءنا، فاتجهنا لأعلى بمحاذاة ماء سنك .

كان كل ما تبقى معى من الرجال ثمانية أشخاص، هم : دوست ناصر،

---

[٥٥٢] يقصد أحد رجال تنبل والشيخ بايزيد.

[٥٥٣] بنده على بك، هو ابن حيدر كوكلداش أحد أمراء السلطان محمود خان.

وقنبر علي وقاسم بك، وخان قولي بيان قولي، وميرزا قولـــي كوكلـــداش، وشاهم ناصر، وعبد القدوس سيد قره[٥٥٤]**، وخوجه خـــاص** وأنا ثامنهم. كان الطريق المؤدي إلى أعلى هذا الماء جيدا. وكان الوادي بعيدا ومعزولا عن الطريق الرئيسي. وسلكنا هذا الوادي إلى أعلى جاعلين الماء عن يميننا. ووصلنا مرة أخرى إلى واد غير ذي ماء، ومع صلاة العصر خرجنا إلى أرض مستوية. وبدت لنا في الأفق ظلمة بعيدة. فتركت رفاقي وصعدت التل سيرا على قدمي لأستطلع الأمر من فوق التل. وصعد ورائي بعض الفرسان. لم يكن في الوقت متسع لنتأكد أهم قلة أم كثرة. وركبنا جيادنا وأنطلقنا. كانوا حوالي عشرين أو خمسة وعشرين رجلا يأتون في أعقابنا. ونحن كما ذكرت من قبل كنا ثمانية فقط. ولوكنا قد تبينا أنهم بهذا العدد فقط لقاتلناهم بشكل جيد. لكننا تصورنا أن هؤلاء هم طليعة الجند التي تعقبنا (١١٤ب)، وأن البقية آتية من ورائهم. ولهذا سارعنا بالابتعاد. فجنود العدو الهارب حتى وإن كانوا كثرة لا يمكنهم الصمود أمام من يتعقبهم وإن كانو قلة. لا سيما وأنهم قالوا: "يكفي العدو المهزوم، صيحة واحدة". وقال **خان قولي**: "إن لم نفعل ما سأقول، سنقع جميعا في قبضتهم. سنتخير اثنين من الجياد الجيدة، تسرع أنت **وقولي كوكلداش** بهما، ربما تكتب لكما النجاة".

لم يكن رأيه هذا شيئا. ربما يمكن الخلاص بهذه الطريقة، مادام القتال لم يشتعل. لكن ليس من الخير ترك أحد الخواص وسط الأعداء بدون جواد. وفي النهاية قررنا البقاء جميعا واحدا تلو الآخر. وكان الحصان الذي أمتطيه قد وهن، فتخلى لي

---

[٥٥٤] عبد القدوس سيد قره، هو عبد القدوس كهبر بن سيد قره.

"قولى" عن جواده وتبادله معى، فركبت جواده بخفة، وركب هو جوادى.

فى هذه الأثناء تخلف وراءنا شاهم ناصر، وعبد القدوس سيدى قـــره، وخان قولى. لم يكن الوقت يسمح بالمساعدة أو الحماية. فقد كنا ننطلق بأقصى سرعة. ومن لا يحث السير بجواده يتخلف فى المؤخرة. كذلك جرح جواد دوسست بك وتأخر وراءنا. وبدأ الحصان الذى أمتطيه يظهر عليه الوهن فتخلى لى "قنبر على" عن جواده فركبته وركب هو جوادى وتأخر عنا، وكان "خوجه خضـــرى"*** أعرجا. فانسحب فى اتجاه التلال. وبقيت أنا وميرزا قولى كوكلتـــاش فقط. ولم يعد الحصان قادر على الجرى. (١١٥أ) ومع هذا كنا منطلقين بسرعة. وأخذ الوهن يظهر على جواد ميرزا قولى أيضا. فقلت له: "لا أستطيع أن أتركك هنا (وحدك) وأمضى، هيا سر معى، فإما نموت معا أو ننجو معا"، وسرت بما يناسبه لفترة. بعدها قال ميرزا قولـــى: "لقد أنهكت قوى حصانى، ولا يمكنه السير. دعنى وامض أنت حتى لا تقع فى أيديهم". وكان قوله هذا شديد الوطأة على نفسى. وتركت ميرزا قولى أيضا ورائى. وواصلت السير وحيدا. وظهر أمامى اثنان من الأعداء أحدهما اسمه "بابا سـيرامى" والآخر "بنـده علـــى". واقتربا منى. ورأيت جوادى منهك القوى وما زال أمامنا مسافة فرسخ تقريبا لنبلغ الجبل. ورأيت أمامى كومة من الحجارة، وفكرت لحظة: "إن الحصان مجهد وما زال الجبل بعيدا. أين المفر! ما زال فى كنانتى حوالى عشرين سهما. فلأقاتل من خلف كومة الحجارة هذه، حتى تنفد سهامى". ثم جال بخاطرى بعد ذلك: "لعلنى أستطيع بلوغ الجبل.

*** جاءت فى الترجمة الإنجليزية "خوجه حسين" انظر، الترجمة الانجليزية ص ١٧٨، وكذلك فى الترجمة الفارسية ص٧٣.

وبعد ذلك أربط بعض السهام حول خصري وأتسلق الجبل". كنت شديد الثقة في خفة حركتي. فأسرعت في السير وأنا عاقد العزم على هذا. ولم يعد حصاني قادرا على الجري بسرعة، وأصبح الرجلان على مسافة رمية سهم، ولم أستطع إهدار السهم، ولم أطلقه (١١٥ب). وتخوفا أيضا فلم يقتربا أكثر من هذا، وهكذا أصبحا يسيران خلفي. واقتربت من الجبل مع غروب الشمس. وفجأة قالا: "إلى أين نحن سينتهي بنا المطاف! لقد قبضوا على **جهانكير ميرزا**. كما أن **ناصر ميرزا** في يدهم". واضطربت لهذه الكلمات. لأننا إذا وقعنا كلنا في قبضتهم فسيكون الخطب جللا.

واصلت السير في اتجاه الجبل دون أن أجيبهما. قطعت من الطريق شوطا بعيدا، إذ بهما يناديان على مرة أخرى، وتكلما هذه المرة بطريقة أفضل من السابقة، فنزلا عن جواديهما، ونادياً، وأنا أواصل السير بدون أن أعير كلامهما أذنا صاغية.

كنت أسير في اتجاه أعلى الوادي وواصلت السير حتى صلاة العشاء. وفي النهاية وصلت إلى صخرة كبيرة في حجم البيت. سرت من جانب الصخرة، بدا بعد ذلك جرف عميق. وعجز الحصان عن السير، ونزلا بدورهما عن جواديهما. وأخذا يتكلمان معي بشكل مناسب، وأكثر احتراما وتقديرا. فقالا: "إنها ظلمة الليل. ولا طريق أمامنا. إلى أين نحن ذاهبون: وأقسما بقولهما: "إن **السلطان أحمد بك**[٥٥٦] سيبوءك مقام السلطنة". فقلت: "إن قلبي غير مطمئن لكلامكما. والذهاب إلى هناك أمر مستحيل بالنسبة لي. إذا كنتما تنويان أن تقدما لي خدمة في

---

[٥٥٦] يقصد السلطان احمد تبل

موضعها،(١١٦أ) وأكافئكما عليها لسنوات، إرشداني إلى الطريق المؤدي إلى الخائن. وسأوفي لكما أجركما رعاية وإحسانا يفوق ما تأملان فيه. وإلا فارجعا من حيث أتيتما، ولا شأن لكما بي، وهذه أيضا خدمة طيبة". فقالا: "ليتنا لم نأت. أما وقد أتينا فكيف نتركك هنا ونمضي". فقلت: "مادام الأمر كذلك فاقسما لي أنكما صادقان". فأقسما بالقرآن قسما مغلظا. واطمئنت نفسي. وأرشداني إلى طريق يمر من خلف الوادي قريبا منه. فقلت لهما: "تقدماني إلى الطريق". ورغم أنهما أقسما لي، لكن ثقتي فيهما لم تكن كاملة. وسارا أمامي. وطال الطريق لمسافة فرسخ أو اثنين، ووصلنا إلى نهر صغير، فقلت: "يبدو أنه ليس طريق الوادي الرحيب". ولم يتوقعا هذا التساؤل، فقالا: "الطريق الآخر مازال بعيدا أمامنا". لكنه كان طريق الوادي الرحيب. فقد خدعاني وأخفيا الأمر عني. وسرنا حتى منتصف الليل، ووصلنا مرة أخرى إلى ماء. وعندئذ قالا: "لقد اختلط الأمر علينا، ويبدو أننا تجاوزنا طريق الوادي الرحيب". فقلت: "إذا كان الأمر كذلك، فماذا عسانا أن نفعل!". قالا: "إن طريق غوا [٥٥٧] أمامنا وهو قريب من هنا. وبه نصل إلى "فركت" (١١٦ب)، وسلكنا ذلك الطريق. ومشينا فيه حتى الجزء الثالث من الليل. ووصلنا إلى حافة الماء الذي يمر من "غوا"، فقال بابا سيرامي: "إنتظر هنا، سأذهب لأستطلع طريق غوا وأعود". وعاد بعد فترة وقال: "لقد اتجه إلى هذا الطريق بضع رجال تحت قيادة "بوركه" [٥٥٨]، ولن يمكننا المرور منه" [٥٥٩]. فلما

---

[٥٥٧] غوا، في فرغانه.

[٥٥٨] بوركه، أحد رجال تنبل.

[٥٥٩] وردت هذه العبارة في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: "بعض الرجال يعضون عبر الطريق تحت قيادة رجل يرتدي غطاء رأس مغولي" ص١٧٩. وأظن أن هذا الاختلاف مرجعه أن الترجمة الإنجليزية تعاملت مع كلمتي بوركه بالخلق

سمعت هذا، ساورني الشك. فما زلنا موجودين داخل الولاية، وأوشك الصباح أن يشرق وما زال مقصدنا بعيدا. فقلت : "لنذهب إلى مكان يمكننا الاختباء فيه أثناء النهار. وعندما يحل المساء نعبر ماء "**خجند**" على ظهور الخيل. ومن هناك نذهب إلى **خجند** مباشرة. فقالا : "هناك تل يمكننا الاختباء عنده". وكان "بنده علـــى" واليا على كرنــان، فقال : "إن هذا سيكون أمرا عسيرا بغير طعام لنا ولخيولنا. سأذهب إلى **كرنـــان** وأعود بما يمكن إحضاره". ورجعنا من هناك قاصدين الذهاب مباشرة إلى كرنان. ووقفنا على مسافة فرسخ من كرنان، بينما ذهب بنده على وغاب فترة. وكاد الصبح أن ينجلي، ولم يأت هو بعد. وملأتنا هواجس كثيرة. وحان وقت الفجر. وجاء **بنده علـــى** مهرولا، وأحضر معه ثلاثة أرغفة من الخبز، لكنه لم يأت بعلف للخيل. وأخذ كل واحد منا رغيفا وضعه في عبه، ثم صعدنا التل والخوف يملؤنا. وربطنا جيادنا في أحد الوديان، ثم اتجه كل واحد منا إلى ناحية وارتقى مكانا مرتفعا ليراقب الطريق. وقبيل الظهر (١١٧أ) رأيت **أحمد القوشجي** ومعه أربعة فرسان في طريقهم من **غـــوا** إلى "**اخســـى**". وفكرت للحظة أن أناديه وأغريه بالوعود ليترك لنا جيادهم بدلا من جيادنا التي أنهكتها الحرب والضرب ليلا ونهارا، وكادت أن تهلك من الجوع. لكن قلبي لم يطاوعني، لأنني لا يمكن أن أثق فيهم. وقررت ومن معي الآتي : إن هؤلاء الرجال الذين رآهم سيرامي موجودين الليلة في **كرنـــان**. ويمكننا في المساء أن نتسلل إلى هناك ونأخذ جيادهم لتحملنا إلى أي مكان. وعند الظهيرة، لمحنا شيئا يلمع على ظهر

الواردتان في النص الجغتائي على أن كلمة بوركه هي "بورك" بمعنى غطاء رأس، في حين تعامل معها النص التركي على اعتبار أنها اسم لأحد الأشخاص.

جواد . ولم نستطع أن نتبين حقيقته. ثم اتضح أنه محمد باقر بك[٥٦٠] . وكان معنا فى "اخسى" . وعندما خرجنا منها وذهب كل واحد منا إلى ناحية. جاء محمد باقر إلى هنا لكنه كان يسير متخفيا. قال بنده على وسيرامى : "إن الجياد لم تأكل منذ يومين. فلنهبط إلى السهل ونطلقها فى العشب لتأكل" . فركبنا الجياد ونزلنا إلى السهل، وأطلقنا الجياد فى العشب. وعند صلاة العصر رأينا رجلا على صهوة جواد يصعد التل الذى نختبئ فيه. وعرفته، إنه "قادر بردى "وهو كبير منطقة"غـوا " . فطلبت ممن معي أن ينادوا عليه، ففعلوا . جاء قادر بـردى والتقيت به. وبعد السؤال عن الأحوال وإبداء مظاهر الاهتمام والإنعام، وبذل المواثيق والوعود، رأينا أن نرسله ليأت لنا بحبل ضخم ومناجل وبلطات وسائر ما يلزم لعبور الماء، وعلف للجياد وما يلزم لطعامنا (١١٧ب) وخيل لتحملنا . واتفقنا أن يأتى إلى نفس المكان وقت صلاة العشاء .

وعند صلاة المغرب، رأينا رجلا على ظهر جواد يعبر من ناحية كرنـان فى اتجاه غوا . سألناه من يكون، فأجابنا . واتضح (فيما بعد) أنه كان محمد باقر بنفسه. وأنه كان فى طريقه من حيث رأيناه وقت الظهيرة إلى مكان آخر ليختبئ فيه. وكان قد غير صورته حتى أننى لم أتعرف عليه رغم أنه كان معى لسنوات طوال. ولو عرفته لانضم إلينا . وكان خيرا لنا . فأسفنا لابتعاده. ولم نستطع البقاء حيث تواعدنا مع قادر بردى الغوانى.

قال بنده على : "هناك فى ضواحى كرنان حدائق خالية. وإذا ذهبنا إليها

---

[٥٦٠] محمد باقر بك، أحد أمراء جهانكير ميرزا، ووالد دوست بك أحد رجال بابر.

فلن يخطر ببال أحد قط أننا هناك. عندئذ نذهب ونرسل من يأت لنا "بقـادر بردى". وعلى هذا ركبنا جيادنا وانطلقنا حتى وصلنا ضواحى كرنـان. كان الوقت شتاء والجو قارص البرودة. وعثرنا على جلد غنم قديم، فلبسته. وجاؤوا بإناء به حساء الذرة، فشربته. وشعرت بعد ذلك براحة كبيرة. وقلت لبنده علـى: "هل أرسلت أحدا إلى قـادربردى؟". فأجاب: "نعم، لكن أولئك الأنـذال تفاهموا معه وأرسلوه بدلا من ذلك إلى تنبل فى "اخسى".

دخلت بيتا محاطا بالجدران، وأشعلت نارا واستغرقت فى النوم لفترة. وساق الفضول هذين الرجلين فقالا لى مرة أخرى: "لا يمكننا التحرك من هنا قبل تلقى الرد من قادر بردى. وهذا المكان وسط العمران. وتوجد فى الأطراف حدائق خاوية. فإذا ذهبنا إليها (١١٨أ) لن يتوقع أحد وجودنا هناك". ووافقت أن نذهب بالجياد فى منتصف الليل إلى حديقة فى الأطراف. وكان بابا سيرامى يراقب الطريق فيما حولنا من فوق الجدران. وعند الظهيرة، نزل من عند السور واقترب منى قائلا: "يوسف داروغـا "[٥٦١] قادم إلى هنا". وقد حزنت لهذا، فقلت: "لننتظر لحظة حتى نعرف إن كان يعلم بوجودى هنا أم لا". فخرج بابا سـيرامى وتكلم معه ثم رجع وقال: "يقول يوسف داروغا إنه قابل أحد الجنود المشاة فى باب "اخسـى"، قال له أن السلطان (يعنى أنا) موجود فى مكان ما فى كرنـان. وقال أيضا لقد أخفيت هذا الجندى المشاه مع ولى خزانچى. وولى هذا كان قد وقع أسيرا فى يدى، وأسرعت بالمجىء إليك هنا بغير علم الأمراء". ولما قال هذا قلت له: "وما

---

[٥٦١] يوسف داروغا، احد رجال تنبل الذين تآمروا ضد بابر.

قولك أنت ؟ ." قال : "كلهم خدم لكم، ولابد من الذهاب إليهم. وماذا بوسعك أن تفعل غير هذا . إنهم سيبؤونك مقام السلطنة " . فقلت : "كيف أطمئن إليهم بعد كل هذه الحروب والنزاعات" . وبينما نتكلم على هذا النحو، دخل يوسف (دروغــا) وركع أمامي على ركبتيه، وقال : "وما الدافع لأن أخفي شيئاً عنك ؛ فالسـلطان أحمد بك "[٥٦٢] لا علم له بهذا، لأن بايزيد يعلم بأمرك، وقد أرسلني إليك " . فلما قال هذا اعتراني حال غريب. ليس في الدنيا شيء أسوأ من الخوف. فقلت له : "أصدقني القول، إذا كان الأمر غير ما تقول ولو بقدر يسير، يجب علي أن أتوضأ"[٥٦٣]، فأقسم يوسف (دروغا) . لكن من ذا الذي يصدق قَسَمه.(١١٨ب) وفكرتُ في قلة حيلتي، وغادرتُ المكان إلى ركن الحديقة، وفكرتُ فيما بيني وبين نفسي : "إن الإنسان ميت لا محال حتى وإن امتد به العمر ألف سنة.

إذا بقيت مائة عام أو يوم فإنك سترحل عن هذا القصر
الذي أضاء القلب[٥٦٤]

وارتضيت الموت. ورأيت ماءً ينساب في الحديقة، فتوضأت وصليت ركعتين. وأستسلمت لمناجاة الله. وبينما أمني نفسي بالأمنيات، غلبني النعاس فرأيت في منامي خوجه يعقوب حفيد مولاي خوجــه "عُبَيْد الله" بن "خوجــه يحيى"، يمتطي جوادا ذا علامات بيضاء وسوداء. وقد ظهر أمامي وسط جمع غفير

---

٥٦٢ يقصد أحمد تنبل.

٥٦٣ يقصد هنا أن يتهيأ استعدادا للموت.

٥٦٤ البيت مكتوب باللغة بالفارسية .وردت ترجمة هذا البيت في الترجمة الإنجليزية على النحو التالي: إذا عاش المرء مائة عام أو ألف عام فلي النهاية لاشيء. وإلى هنا انتهت الترجمة الإنجليزية للجزء الخاص بفرغانه وعلقت المترجمة على هذا بقولها: هنا انتهى النص التركي انظر الترجمة الإنجليزية ص٢٠٢/١. وهذا مغاير للنص الجغتائي الذي تذكر الســيدة بفريــدج أنهــا اعتمدت عليه، ونتفق في هذا مع الترجمة الفارسية لبابر نامه، انظر، الترجمة الفارسية ص٧٥.

وقال : " لاتحزن ، فقد أرسلنى **خوجه "أحرار"** إليك لأبلغك أننا مرسلون لمساعدتك. ولنبوؤك مقام السلطنة. وإن اعترضتك مشكلة فى الأرض، فلتستحضرنا أمام عينيك، ولتتذكر أننا هنا على أهبة الاستعداد . والنصر الآن حليفك. إرفع رأسك واستيقظ من نومك ". فاستيقظت مستبشرا وأنا فى هذه الحال.

كان **يوسف بك** ومن معه مازالوا يتناقشون قائلين : "لابد من البحث عن سبيل وتدبير. لابد من إحكام القبضة ". وبينما أستمع كلامهم هذا قلت لهم : "هذا رأيكم، فلننظر ولنر أيكم يمكنه اللحاق بى" وإذ بصوت وقع أقدام جمع غفير من الفرسان يتناهى إلى اسماعنا من خارج الحديقة. (١١٩أ) وظن **يوسف داروغا** أنه صوت رجال مرسلين من عند تنبل، فقال : "لو أتيت معنا للقاء **تنبل**، لكنا فى وضع أفضل. أما الآن فقد أرسل كل هؤلاء الرجال للقبض عليك! " فازداد خوفى وأسقط فى يدى.

فى تلك اللحظة، فتح هؤلاء الفرسان فتحة فى الجدار الحديقة القديم دخلوا منها ، فلم يكن لديهم وقت للبحث عن باب الحديقة. ورأيتهم، إنهم "**قوتلوق محمد برلاس** " و"**باباى بركاى** "، ومعهم خمسة عشر أو عشرين رجلا. جاءوا ليلحقوا بى. فلما اقتربوا منى ترجلوا من فوق ظهور الخيل سريعا ، وانحنوا من بعيد احتراما وتعظيما ، وجثوا عند قدمى. وفى تلك اللحظة اعترانى حال غريب. وكأن الله قد نفخ فى الروح من جديد . فقلت لأولئك القادمين :"اقبضوا على "**يوسف داروغا**"، وهذين الخائنين اللذين معه. وشدوا وثاقهم"، فسارع الخونة بالفرار . وأمسك رجالى

بواحد منهم وقيدوه وأتوا به. وسألت رجالى : "من أين أنتم قادمون ؟ وكيف علمتم بأمرى ؟ " . قال قوتلوق برلاس : "أثناء فرارنا وخروجنا من "الحصى "، ذهبت - بعد أن فارقتكم - إلى "الدجان " . ووجاء الخانان أيضا إلى هناك. ثم رأيت فى منامى خوجه عبيد الله وقال لى : "إن السلطان بابر موجود فى قرية اسمها كرنان. (١١٩ب) إذهب إليه واحضره وبوؤه مقام السلطنة، فاستبشرت . وكان معى خمسة أو ستة من الرجال بين أخ وابن ، فاقترحت على الخـــانين أن يضموا لنا عددا من الفتيان لنذهب إلى كرنسان ونعرف حقيقة الأمر .فقال الخانان : نحن أيضا نظن أنه سيذهب إلى هناك. وأمدونى بعشر رجال وقالوا : "اذهبوا إلى هناك وتقصوا حقيقة الأمر وأتوا لنا بالخبر اليقين، أو على الأقل أتوا بخبر عنه". أثناء ذلك قال بابـــاى بركارى : سأذهب أنا أيضا للبحث عنه. وكان معه أخوان صغيران. وخرجنـا كلنـا ، واليوم نكون قد قطعنا مسيرة ثلاثة أيام. والحمد لله أننـا التقينـا بك " واستطردوا قائلين: "هيا بنـا فلنركب الجياد ونأخذ معنا هـؤلاء الذين قيدناهم ولنمض. فليس من الخير البقاء هنا . فقد علم تنبو ل بوجودكم، وعلينا الآن أن نلحق بالخانين " .

وانطلقنا فى الحال إلى ناحية "الدجان " . ولم أكن قد أكلت شيئا منذ يومين. وعند صلاة العصر وجدنا شاة، فنزلنا فى مكان (لنستريح) وأعدوا لنا لحما مشويا . أكلت من اللحم المشوى حتى شعرت بالشبع. ثم استأنفنا سيرنا حثيثا على ظهور الجياد، فقطعنا طريقا طوله خمسة أيام فى يومين وليلة.

خروج بابر إلى خراســـان :

دخلنا "**اندجان**" . وهناك التقيت بالخانين الكبير والصغير، وتذكرت كل الأيام الماضية. وبقيت مع الخانين مدة أربعة أشهر. واجتمع حولى رجالى الذين تفرقوا فى كل صوب وحدب، (١٢٠أ) وكان عددهم يزيد قليلا على ثلاثمائة رجل. ففكرت قائلا : " إذا كان لابد من العيش ولاية **فرغانه** بلا أرض وبلا وطن، فلماذا لا أرحل إلى مكان آخر ! !"وخرجت من **فرغانه** فى شهر المحرم قاصدا "**خراسان** ".

انتهت وقائع فرغانه

*****

فهرس الأعلام

ت

ج

د

المراجع و المصادر :

أولا: مراجع باللغة العربية:

* حسين مجيب المصرى، تاريخ الأدب التركى، ط١،دار الفكرة، القاهرة ١٩٠١ .

* زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد .بدون تاريخ طبع.

* عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند،ط٣، القاهرة ١٩٩٠،

* يحيى داود عباس، سمرقند تاريخها وحضارتها، القاهرة١٩٩٥

*أحمد محمود الساداتى، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧

*أحمد محمود الساداتى، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٤،

*حربى أمين سليمان، المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠

*خواد بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة وتعليق، على حسنى الخربوطلى، بدون تاريخ طبع،

*سيد سابق، فقه السنة دار التراث، القاهرة، ج١

*عبد النعيم حسنين، نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره، مكتبة

الخانجى، ط١،١٩٥٤.

*عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية،ط١، القاهرة ١٩٧٠.

*فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ، القاهرة ١٩٨٠

ثانيا: مراجع مترجمة إلى اللغة العربية:

*غوستاف لوبون، حضارات الهند،ط١، ١٩٤٨.

* ارمينيوس فامبرى ، تاريخ بخارا ، ترجمة أحمد محمود الساداتى القاهرة

* بارتولد ، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٥٨.
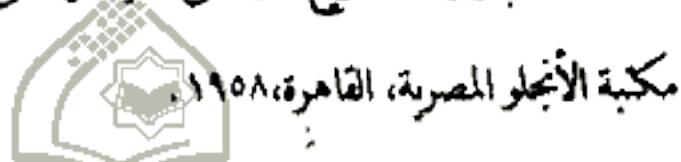
* عبد الرشيد إبراهيم، عالم الإسلام، ترجمة أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى، ط١.

* فاسيلى فلاديميروفتسس بارتولد ، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨١.

ثالثا: مصادر مخطوطة باللغة العربية:

* منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع بمكتبة أسعد أفندى تحت رقم٢١٠٣

رابعا: مصادر مطبوعة باللغة العربية:

* ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦١ .

* الشريف الأدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. بدون تاريخ طبع .

* كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢ .

خامسا: مراجع باللغة التركية الحديثة :

*Anll çeÇen, Yürk Devletleri, inkılap kitapevi,Istanbul 1986

* Halis Blylktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu,Istanbul 1941.

* Hans R. Roemer, Timurlular maddesi,I.A., Istanbul 1979,,c.12

* Y .Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c .2, Ankara1947

* Yılmaz öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,ötüken, Istanbul 1985.

*Bilal Yücel,Bâbür Divânı,Atatürk kültür merkezi yaylnl,sayl;181,ankara 1995.

سادسا: مراجع مترجمة إلى اللغة التركية:

*Fernand Grenard,Babur, devlet Kitaplarl, Istanbul 1971.

سابعا: مصادر مترجمة إلى اللغة التركية:

*Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden_çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti_Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946.

*Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan Çeviren Abdürrab Yelgar,Türk Tarih Kurumu Basımevi,Ankara 1987

ثامنا: مصادر باللغة التركية في لهجتها الجغتائية :

* ظهير الدين محمد بابر شاه ، بابرنامه ، نشرته السيدة أ.س. بفريدج نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، في لندن ١٩٠٥.

تاسعا: مراجع باللغة الفارسية:

*حسن پيرنيا، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض ساسانيان، از انتشارات كتبخانهء خيام، بدون تاريخ طبع،

* منوجهر پارسادوست ، شاه اسماعيل اول ، جاپ اول ١٣٧٥ ،

*عبد الحسين نوائي ، شاه اسماعيل صفوي ، اسناد ومكاتبات تاريخي همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاپ شد، ١٣٦٧.

عاشرا: مراجع مترجمة إلى اللغة الفارسية:

فاروق سومر، قراقوينلو، ترجمة وهاب ولي، تهران١٣٦٩

حادى عشر: مصادر باللغة الفارسية :

* بابر نامه موسوم به توزك بابرى وفتوحات بابرى ، نسخة عن الترجمة التى تمت فى عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملكها ميرزا محمد شيرازى ، مودعة بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ١٢٢٥٠.

* محمد حيدر دوغلات ، تاريخ رشيدى ، طبع هارفارد١٩٩٦

*خواندامير، تاريخ حبيب السير ، كتابفروشى خيام، جاب دوم ١٣٥٣ هجرى شمسى.

ثانى عشر:مراجع باللغة الإنجليزية:

* Edward G . Browne, A Litrary History Of Persia, vol .3,Cambridge,1928

* Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899

*Michael Edwardes, A History of India, farrar, Straus and Cuddahy,New York,

ثالث عشر: مصادر مترجمة إلى اللغة الإنجليزية :

* Annetta Susannah Beveridge, BaburÜ Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970.

رابع عشر:مصادر مترجمة إلى اللغة الفرنسية :

* Le Livre De BABUR,Memoires du premier Grand Mogol des Indes, presente et traduit du turc

tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT,paris 1985.

خامس عشر: القواميس والمعاجم ودوائر المعارف:

١- باللغة العربية:

* الأطلس العربي ، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية ، ط١، سنة ١٩٦٥

*احمد السعيد سليمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعرف بمصر ١٩٦٩.

*ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان ، ط١، القاهرة ١٩٠٦

*منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، جمعه ورتبه السيد محمد أمين الخانجي، ط١، القاهرة ١٩٠٧، ج٩.

قاموس الياس،

المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة

٢- باللغة التركية:

*Türk Dianet Vakfi ,Islam Ansilopedisi, Istanbul, 1989:

-M.F.Köprülü,Babur maddesi, I.A., Istanbul, 1979 ., c.2 *

*Faik Reşit Unat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe Çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61.

*Ziya şükün, Farsça- Türkçe Lüğat, Istanbul, 1984,

٣- باللغة العثمانية:

*سليمان أفندى البخارى، لغت جغتاى وتركى عثمانى، استانبول ١٢٩٨هـ.

*شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام ، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصحله كافة اسماء خاصه يى جامعدر، معارف نظارت جليلة سى طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ .

*شمس الدين سامى، قاموس تركى،

٤- باللغة الفارسية:

* على أكبر دهخدا، لغت نامه ، جاب سيروس ، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى ،

سادس عشر: الرسائل العلمية:

* أحمد محمود الساداتى ، ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهندستان ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٤

الفهرس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شجرة نسب الاسرة الجنكيزية
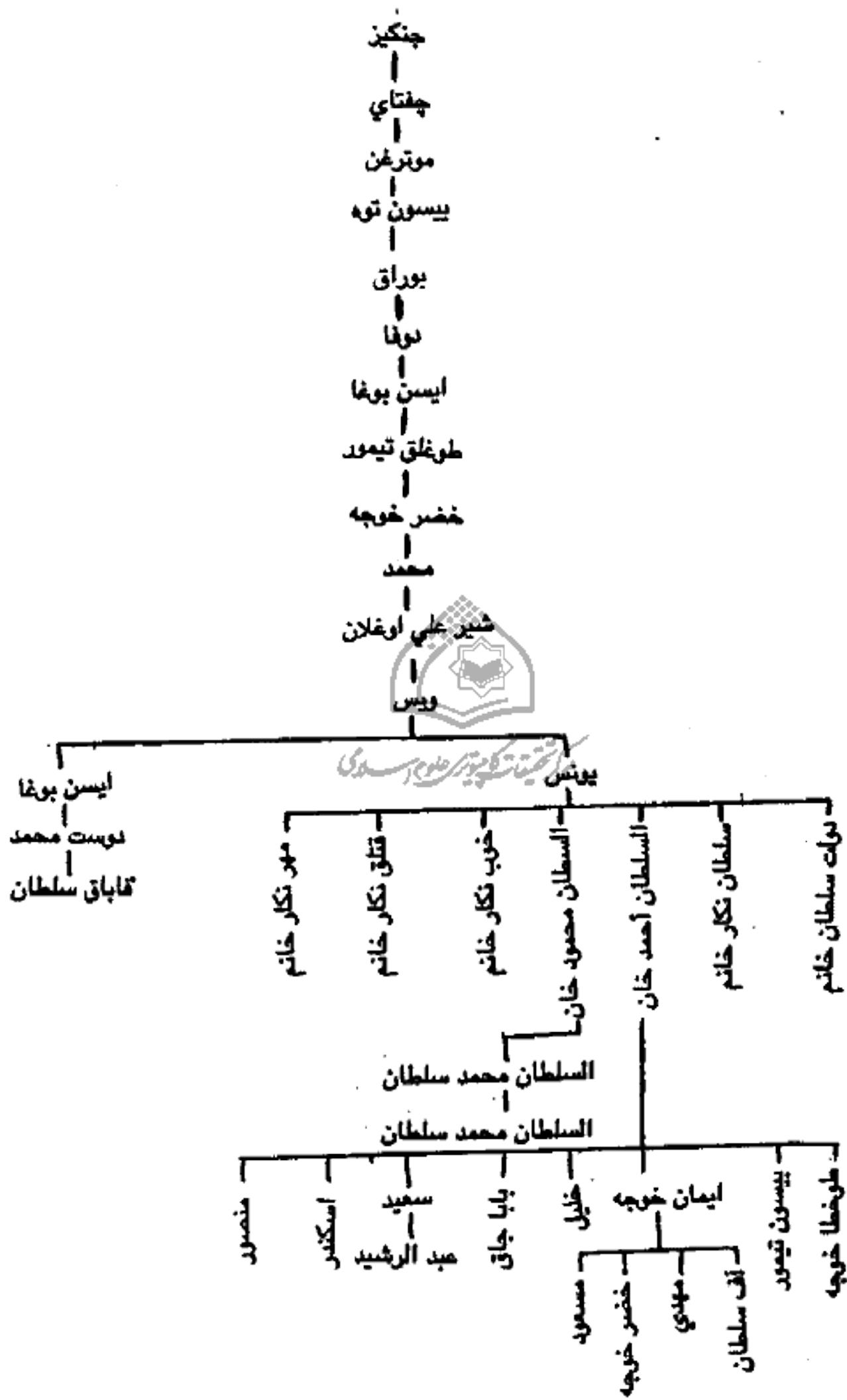
شجرة الاسرة التيمورية

تيمور الجرجاني
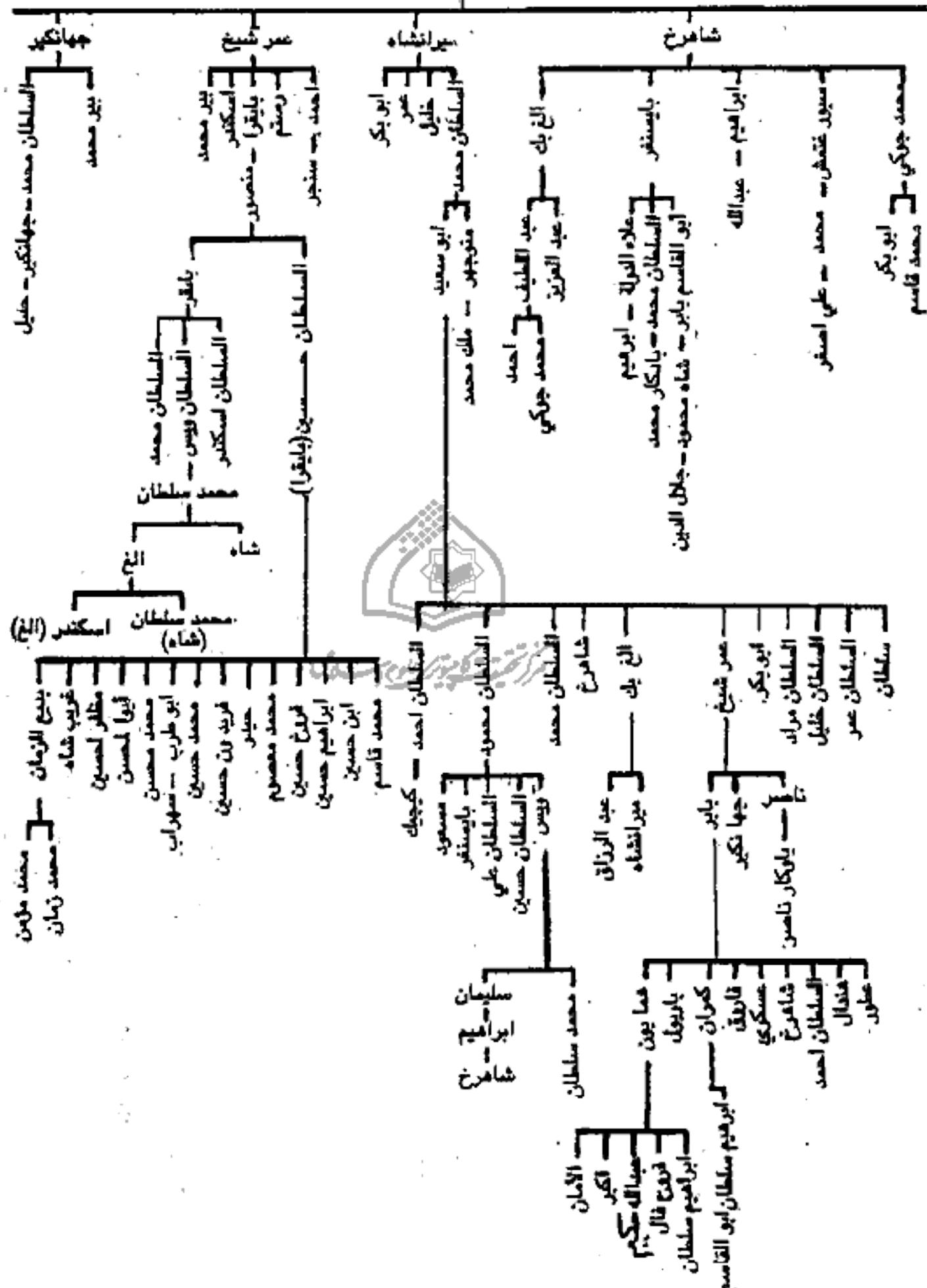
هذا الكتاب

* تاريخ بابر شاه مصدر هام في تاريخ المسلمين. فهو من التراث الإسلامي
ظهير الدين محمد بابر شاه في مطلع القرن العاشر الهجري باللغة التركية
الجغتائية ليقدم به أصدق وثيقة عن قيام الدولة التيمورية بالهند والمعروفة
باسم دولة المغول.

* ترجع قيمة هذا العمل إلى شخصية مؤلفه بابر شاه مؤسس دولة التيمورية
الذي عاش الأحداث وكان العنصر الرئيسي فيها فقدم لنا تاريخ منطقة
تشمل الآن أوزبكستان وأفغانستان والهند وباكستان.

* إن ما تضيفه هذه الترجمة العربية التي اعتمدت على النص التركي
والاستفادات من ترجماته المختلفة ليسد نقصا كان موجودا في المكتبة العربية
عن تاريخ آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية الباكستانية.